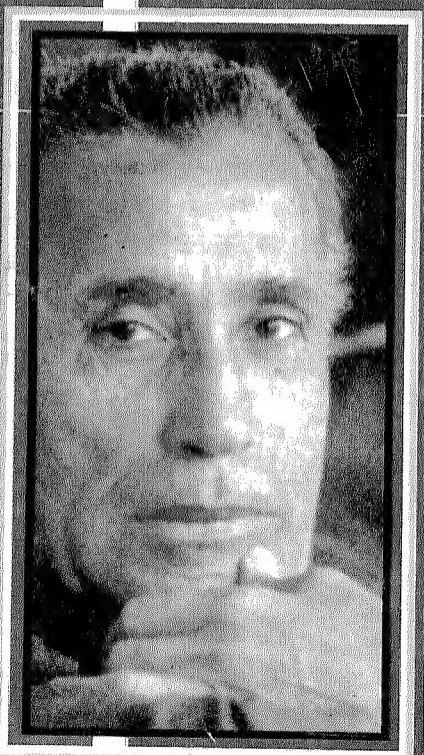
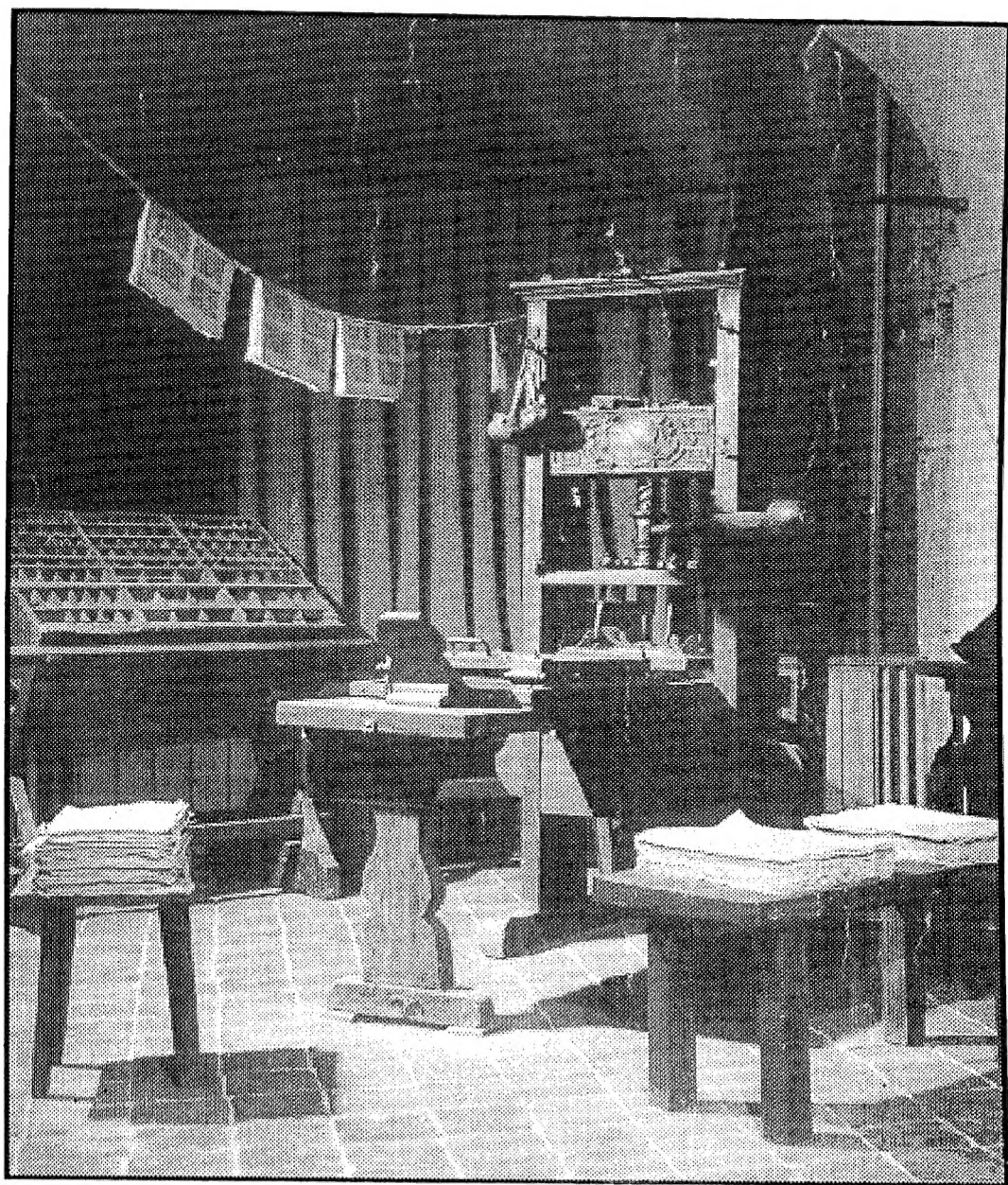


في دهاليز الصحافة



محمد حسنين هيكل





مطبعة يوحنا جوتنبرج .. اول مطبعة متكاملة عرفها التاريخ

في دهاليز الصحافة

تقديم : محمد حسنين هيكل

مقدمة الكتاب

يكتبها : محمد حسنين هيكل

عزيزى سمير



لابد لى أن أعترف أننى شديد
الأعجاب - ربما إلى حد الحسد - بشجاعة
هؤلاء الذين تطاوعهم أقلامهم على الاقتراب
من قضية الصحافة المصرية وكل ما يتصل
بأمورها من قريب أو بعيد .

لابد لى أن أعترف أيضا أنه
فى مشروعاتى - ولعلها
أحلامى - أن أفرغ يوما
لكتاب عن قصة الصحافة
المصرية كما عرفتُها وعشتُها تجربة
وحياة .

من هنا فإن أعجائى مضاعف هؤلاء الذين سيطروا على أقلامهم فأطاعت ..
ثم مدوا أطراف أصابعهم فاقتربوا ولو باللمس من المشروع الحلم !

والحقيقة أن قصة الصحافة المصرية لم ترو بعد . فلم تصدر في مصر كتب كتلك التي ظهرت في الولايات المتحدة ، مثل كتاب « القوة والمملكة » الذي قدم قصة جريدة « نيويورك تيمس » ، ولا مثل كتاب « القوة حيث هي » الذي قدم قصة أكبر وسائل الاعلام الأمريكية وهي جرائد « نيويورك تيمس » و « واشنطن بوست » و « لوس انجلوس تيمس » الى جانب مجلة « تايم » ثم قنوات التلفزيون الرئيسية الثلاث « ان . بي . سي . » و « اي . بي . سي . » و « سي . بي . اس . » . كذلك لم تصدر بعد في مصر كتب كتلك التي عرضت سيرة حياة قياصرة الصحافة البريطانية من أمثال « بيفر بروك » و « نور ثكليف » و « طومسون » وغيرهم .

لم يصدر في مصر شيء مماثل لذلك كله مع أن القارئ في مصر أحوج الى أن يعرف « عن » الصحافة أكثر مما يعرف « منها » ، هذا اذا كان في استطاعته أن يعرف « منها » الآن شيئاً على الإطلاق !



لماذا أقول أن القارئ في مصر أحوج الى أن يعرف « عن » الصحافة أكثر مما يعرف « منها » ؟

سوف أشرح أسبابي :

- ١ - ان هناك ثلاث أسس لشرعية نظم الحكم في الدنيا وفي التاريخ .
- هناك في البداية الشرعية التقليدية ، وهي في الغالب تقوم على عوامل دينية أو قبلية يستند اليها الأمر والطاعة في كل شيء .

(والسعودية مثلاً نموذج لهذا النوع من النظم)

● هناك في النهاية الشرعية الدستورية والقانونية ، وهي الشرعية التي تقوم على التوازن بين الطبقات وقوى اجتماعية حققت داخل وطنها قدرا من النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي سمح لكل منها بدور في عملية الانتاج وتوزيع عوائدها يحقق لها الحد المقبول من مطالبها ويدعوها الى الحوار الديمقراطي لتحقيق أية زيادة في هذه المطالب وما يترتب عليها من حقوق وواجبات .

(نموذج هذا النوع من النظم بريطانيا مثلا)

● هناك بين الاثنين - بين الشرعية التقليدية ذات الأصول الدينية أو القبلية ، والشرعية الدستورية والقانونية - شرعية أخرى - هي في الحقيقة شرعية مرحلة الانتقال بينهما . شرعية تمثل نظم مستمرة للانتقال بالاجتماع من الماضي الى المستقبل . وفي بعض الأحيان فإن هذه الشرعية تكون شرعية نظام رجل تاريخي يصبح عصره زمن تحولات عظمى . وقلت « في بعض الأحيان » لأن الظروف مرات تدفع برجل واحد الى موقع شاغر دون أن تكون لديه الأهلية لتحمل مسؤولياته ، وهو في هذه الحالة ينزل بالدور من قمم التاريخ الى مهاوى الديكتاتورية مما يفقد أساس شرعيته . ثم أن الظروف في بعض الأحيان تجيء بفترات من الاضطراب تختلط فيها الأمور والظواهر وتضيع الواحة في السراب ، والسراب في الواحة !

(نماذج هذا النوع من النظم الذي يقوم على شرعية الرجل الواحد ودوره كخيرة في التاريخ - « كرومويل » في إنجلترا ، و « نابليون » في فرنسا ، و « بسمارك » في ألمانيا - وفي عصرنا الحديث فان دول العالم الثالث بحكم التطور تعيش مرحلة انتقال حقلت وتحفل بنماذج متعددة من شرعية الرجل الواحد مثل « دييجل » في فرنسا و « عبد الناصر » في مصر و « تيتو » في يوجوسلافيا ، وغيرهم .)

٢ - ان الصحافة في أى بلد في العالم - وهذه قاعدة عامة - جزء من الحياة السياسية فيه .

وفي ظل نظم الشرعية التقليدية فان الصحافة مثل كل شيء آخر ملك للأسرة أو ملك لرضاها .

وفي ظل نظم الشرعية الدستورية والقانونية حيث تتعدد القوى الاجتماعية ويصبح الحوار الديمقراطي ممكنا فيما بين هذه القوى ، فان الصحافة يمكن أن تكون وسيلة لهذا الحوار الحر ، وبالتالي يتاح لها أن تقوم بدور مسؤل ومستقل في العملية الديمقراطية كلها .

وفي ظل النظم التي تقوم على شرعية الرجل الواحد - سواء ارتفع الى مستوى التاريخ أو هبط الى مستوى ديكتاتور تتآكل من تحت مقعده دواعي شرعية - فإن الحياة السياسية كلها تذوب في مصدر واحد ، ويصبح لها مركز وحيد . إن الصحافة في تلك الحالة - وهذا حكم طبائع الأمور ذاتها - تجد نفسها قرب هذا المركز ، وربما كان الخيار الوحيد الممكن لها هو تحديد مكانها : هل تكون قرب الرأس من هذا المركز أو تكون قرب الذيل ؟

ينبغي أن أقول أن الحركة التاريخية للأمم والشعوب ليست جدراناً من الصلب لا تتجاسر عليها إدارة البشر ، ثم أن مسيرة النضال الإنساني ليست نصاً كتبته المقادير فصلاً بعد فصل ، لا يرتفع عن واحد منها ستار إلا بعد أن ينزل على فصل سبقه !

الحركة التاريخية ومسيرة النضال الإنساني شيء أرحب من ذلك وأخصب ، والحقيقة أن كل مرحلة من المراحل لا تنقضي إلا عندما تبدأ قوى مرحلة تليها في الهجوم عليها وتطويقها ومطاردة بقاياها ، وهكذا فإن هوامش الحركة التاريخية كثيراً ما تشهد لحظات تداخل مهيب يبدو فيها كأن الماضي والحاضر والمستقبل معا أطرافاً في ساحة واحدة يدور عليها صراع يصبغ الأفق كله بمزيج من الألوان الباهرة !

ان مراحل التطور - بما في ذلك شرعية النظم السياسية - لا تنتهى وحدها ، وإنما تجيء النهاية حين تكون الظروف الموضوعية

قد هيأت وأظهرت القوى التي تستطيع أن تهاجم وتطرق
وتطادر ، وهكذا يتهاوى قديم ويبرز جديد .. ونمضى العجلة
في دورانها .

وعلى هذا النحو فإننا نستطيع أن نتصور أن مرحلة الشرعية التقليدية تواجه
أزمته حين تنمو في مجتمعاتها قوى جديدة تتحدى قواعد وقوائم شرعيتها ، وغالبا ما
تنتهى أزمته بظهور شرعية الرجل الواحد ، لأن هذه القوى الجديدة تكون قادرة
على تحدى التقليد دون أن تكون قد بنت لنفسها قواعد وقوائم بديلة تنقل
مجتمعاتها الى الهدف الأكبر والأعظم وهو الشرعية الدستورية والقانونية .

ونفس الشيء يحدث لشرعية الرجل الواحد - تاريخي أو ضد التاريخ - عندما
تتوافر الشروط الموضوعية لتعدد وتوازن القوى الاجتماعية الوطنية ، الأمر الذي
يسمح للديمقراطية بأن توجد بالفعل وليس بمجرد الأمل .

ثم أن هناك لحظات التداخل المهيبة حين يحدث الصراع بين بقايا التقليدى
واحتمال الرجل الواحد وطلائع الحقيقة الديمقراطية .



مما يلفت النظر فى قصة الصحافة المصرية بالذات أنها بدأت مع بداية مرحلة
الانتقال فى مصر من شرعية تقليدية - عثمانية مملوكية - الى شرعية رجل تاريخي -
محمد على .

كان محمد على هو منشئ الوقائع المصرية .

وانتقلت شرعيته بالوراثة الى رجل معاد للتاريخ - عباس الأول - وكانت محاولة
العودة مرة أخرى الى التقليدى ، ولأن المرحلة كلها كانت قد آذنت بزوال فان
الصراع استمر ، ولايزال مستمرا الى الآن .

وقد تعقدت الحركة التاريخية أكثر وأكثر بالتدخل الأجنبي الذى مهد للاحتلال
البريطانى .

وعلى الجسر الممتد بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين شهدت مصر
لحظات تداخل بين المراحل .

قوى التقليد - العثماني المملوكى - وفى نفس الخندق معها قوة الاحتلال
البريطانى ، كل منها تدعى لنفسها الشرعية .

واحتمال الرجل الواحد قائم ، ولو كمجرد احتمال لأن
الظروف لم تكن مهيأة لدوره كاملا - عراقى ، مصطفى كامل ،
سعد زغلول

ثم أن بشارات ديمقراطية لاحت فى الأفق من بعيد ، لكنها لم
تستطيع أن تكون أكثر من بشارات تقدم وعدا بجديد لا
يستطيع أن يتقدم بأمان لأن قواعده الاجتماعية - ببساطة - لم
تكن هناك .



ان هذا الجسر ما بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين كان حقبة من الزمان
عجيبة .

على صحن الشرق الأوسط الذى كانت مصر فى قلبه ، وعلى أطراف هذا
الصحن ومن حوله كانت حركة التاريخ على أشدها وفى عنفوانها ، وهكذا تهاوت

امبراطوريات وقامت امبراطوريات . تهاوت الامبراطورية البريطانية والامبراطورية الفرنسية ، وتقدم الحلم الامبراطورى الأمريكى يحاول ملء الفراغ ، واذا هو يصطدم فى طريقة بالجحافل المتأهبة للزحف تحت أعلام الماركسية .

كانت العواصف تهب من الخارج على المنطقة وكانت البراكين تتفجر داخلها ، وتفاعل الخارج والداخل وقامت ثورات وتصادمت تناقضات طبقات وطوائف ومذاهب وأقليات ووقعت انقلابات ، وتساقطت عروش وتدحرجت على الأرض تيجان ورؤوس .

ثم أندفع رجل تاريخى واحد - جمال عبد الناصر - فملاً الساحة وأكد شرعيته بالمبادئ التى نادى بها وبالمعارك التى خاضها وبالتحولات الضخمة التى شهدتها عصره .

وفجأة أختفى الشهاب الذى مرق بسرعة بعرض أفق المنطقة كله ... و...

على هامش هذا الجيشان ظهرت وانتشرت وعاشت صحافة مصر .

ماذا كان دورها ؟ ما الذى مثلته ؟ ما الذى عبرت عنه ؟

أى القوى ؟
أى التيارات ؟
أى الشرعيات ؟
أى العروش والامبراطوريات ؟

ماذا ؟ متى ؟ كيف ؟ لماذا ؟ أين ؟

كلها أسئلة لم تعثر على جوابها بعد .

ربما استطاع هذا الكتاب أن يرد على بعضها .. وربما لا يكون الأوان قد
حان بعد !

محمد حسنين هيكل

● ● ملحوظة :
هذه المقدمة كتبها الاستاذ محمد حسنين هيكل قبل دخوله السجن بسبعة شهور كاملة ● ●

الشخصية المصرية على صفحات جرائدنا .. لماذا ؟

بدأ الاهتمام بالطابع القومي للشخصية المصرية منذ بدأ التحام الغرب بالشرق وبالتحديد بعد الحملة الفرنسية على مصر ثم فك رموز حجر رشيد وظهور أهمية مصر كارض صدرت الحضارة للعالم عند فجر التاريخ .. الأمر الذى دعى الفرنسيين الى كتابة مجلدات وصف مصر « والتى بلغ عددها ٢٥ مجلدا .. »

●● إن مصر .. هى مصر .. ومهما تأثرت مصر بنزوح مختلف الجنسيات اليها على شكل غزوات أستعمارية خلال عشرات القرون فأنها فى النهاية أذابت هذه الشخصيات فى بوتقتها .. ثم أصبحت هذه الجنسيات والثقافات المستوردة - بفعل الشخصية المصرية - مصرية ايضا .. والذى يلفت نظرنا هنا ساعة بزوغ فجر الصحافة المصرية ووصول نابليون ومطبعته ، أن المطبعة كانت آلة غريبة جديدة (١) على تراب مصر . ولكن سرعان ما أستوعبها الفكر المصرى .. ونقرأ فى كتابات الجبرقى « وصفا ممتعا للمطبعة التى شدت انتباهه وجعلته يداوم على زيارة المجمع العلمى ليشاهدها بتعجب .. ويتعلم .. ويستفيد .. ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن الجبرقى ، لولعه الشديد ، بالمطبعة هو الذى أغرى الوالى محمد على بعد ذلك بشرائها .. شرحها له واثنى عليها وأقنعه بأهميتها .. فأولى محمد على بعد ذلك المطبعة والوقائع المصرية أهتماما خاصا .. بل تظهر الوقائع من اسمها وطريقة إخراجها كثيرة الشبه بصحف نابليون ومنشوراته ثم تطورت المطبعة المستوردة ، فأصبحت تأخذ شكلا مصرية ، حين اتبحت لها الفرصة .

وتشتد الحركة السياسية والاقتصادية فى مصر .. وبدأ عصر التفتح أيام اسماعيل وتظهر آثاره فى حركة صحفية جديدة سميت بالصحافة الشعبية .

وتبدأ الصحف فى استيراد الأقلام من بيروت مدافعة عن الخديوى .. بالرغم من انها كانت أحيانا تضغط عليه لزيادة « المعلوم » - ووسط هذه المعمعة تظهر فى مصر نواة

(١) المطبعة كانت فى شارع بجوار مدرسة السنية الثانوية فى حى السيدة زينب .

الطبقة البراجوازية . ثم يشتد ساعد عراقى .. ويقف وراءه النديم صحفى مصر الأول وشاعرها .. ويكتب المنشورات والأزجال والمقالات الملتبهة وكأنه حفار مصرى ينقش كلماته ويحفرها على المسلة الطويلة القديمة .. يقيم كل أخبار مصر ويدعو الى النهضة ويذكرنا بالفرعون الصغير الذى سجل حروبه وأخباره بالنقوش والرسوم والزخارف على المعابد المصرية القديمة ثم جلس بعد ذلك القرفصاء ..

وبوجود الثروة فى يد المصرى كان أول ما فكر فيه هو التعليم « يحو به غبار الاستعمار الذى ترآك عبر القرون ويتقن المصرى فن « الادبائية » الذى نشأ وانتشر فى شكل اساطير رمزية إختراعها المؤلف المصرى حتى لا يكشفه المستعمر ويعرف نواياه منها .. ويضع المصرى فى ذهنه انه يملك .. ويتعلم .. وعليه أن يعبر .. ولما كانت وسيلة التعبير هى المقالات والخطب ولما كانت المطبعة موجودة .. والفكرة أيضا موجودة .. فانتشرت الصحف كنتيجة حتمية .

ويزغت الوطنية المصرية من تعب فتحته لنفسها أثناء الاحتلال البريطانى حيث انتشرت فئة الموظفين وظهرت طبقة البرجوازية الوطنية الناشئة وبدأت خلخلة القيادات واختلفت الشعارات ، الاستعمار البريطانى شعاره « وجودنا مدنية لمصر » وشعار الخديوى « مصر قطعة من أوروبا » .. وفى غفلة الصراع الدائر بين الدولة العثمانية والولاء للخليفة والاستعمار البريطانى ومحاولة الخديوى الاستقلال بمصر ليعلن نفسه ملكا ، وقف المارد المصرى الذى ظل جالسا - القرفصاء - لينتهاز أول فرصة ليقف على قدمية وقف ينادى للالتفات حول قضيته وظهر « وجه مصر » سافرا بعد غياب وانتشرت الاقلام والصحف ، وأصبح الزعماء المصريين كلهم صحفيين .

وكانت غابة من الصحف وأصبحنا ونحن نهم بدخول القرن العشرين نسمع كل يوم عن مولد عشرات الجرائد والمجلات الجديدة .. جرائد مختلفة الإتجاهات .. صحف للاحتلال .. وصحف عثمانية .. وصحف وطنية .. جرائد مختلفة .. وانتشرت الأقلام وتبارت الافكار وتزاحمت ولم يكن هناك بد والجو الصحفى هكذا والرأى العام يتكون ويؤثر .. أن تقوم الحكومة بإيعاز من اللورد كرومر - بإعادة العمل بقانون المطبوعات - لوقف السيل الجارف التيار للصحف الوطنية كمحاولة لوقف التيار الوطنى الشاب الذى بدأ دم الوطنية يتدفق فيه ويظهر الشخصية المصرية .

كان من الصعب العودة الى الورا ، وبدأت المكائد وسياسة الوقية والدسائس ولم يدعوا فرصة الا ولعبوا فيها للتفريق بين صفوف المصريين وفي عشرينات هذا القرن الذى نعيشه نسمع عن الحملات الصحفية بين صحف أقباط مصر ومسلميها تغذيها الفكرة الاستعمارية « فرق تسد » ولم ينتبه المصريين الى هذه الوقائع والدسائس الا عند وقوفهم صفا واحدا في ثورة ١٩١٩ التى سرت كالنار في الهشيم وكان المصريين فيها على موعد .

وهام الزعماء بمسائل تصوروها أنها أكبر من الصحافة والكتابة ، أنشغلوا في الجديد من مشاكل الحكم وبدأوا يبحثون عن كتاب وصحفيين يعبرون لهم عن أفكارهم ويدعون لها .. ومن هذا الثقب بدأت الصحافة مرحلة أخرى وظهر الصحفى المحترف أكثر من ذلك حينما كان يريد الزعيم أو السياسى أن يتراجع في كلامه أو تصريحاته ، كذب الصحفى أو الجريدة .. وبظهور التكذيب في الصحف .. أنتشر على ألسنة الناس تعبير « ده كلام جرائد » .. وكثر اعتقال الصحفيين ..

● ● ولكن هل وقف الإستعمار البريطانى عند هذا الحد ؟ .. لا بد من وقية أخرى والفرصة موجودة .. فالاحزاب حديثة الولادة .. ومصر أهديت دستور ١٩٢٣ الذى يعتبر من الوجهة النظرية القانونية « دستورا مثاليا لعصره » فأنعشوا الصحافة المصرية .. وظهرت صحف جديدة .. وظهرت صحف الهزل بالكلمة والهزل بالرسم وأنتشر الكاريكاتير ، وانتشرت المطابع وسافر أصحاب الصحف الذين أصبحوا من أصحاب الثروات الضخمة الى الخارج يجرون وراء كل جديد يفيد صحافتهم ويزيد توزيعهم ويملا خزائهم وبدأت عملية إصدار الصحف التى أصبحت مسألة جادة لا بد وأن تكون وراءها قوة ، حزب أو مؤسسة أو حتى رجل يدعمها ، وماتت صحف كثيرة واختفت مجلات كثيرة لم تستطيع أن تقاوم ، « دوران الحلقة الاقتصادية » التى طوقتها ، وكانت الفرصة مواتية لليد الحديدية لتحكم قبضتها على الموزع وبائع الصحيفة وعلى مصلحة البريد التى توزع إشتراكات الصحف ووضعت يدها على مصدر الاعلان وبدأت الرقابة واحكمت اليد الحديدية قبضتها ، ولكن بالرغم من ذلك حاولت هذه القوة أن تظهر في صورة ديمقراطية فأعطت الصحفى فرصة الدفاع عن نفسه أمام المحاكم ولكن بعد مصادرة صحيفة ونسمع عن مصادرات الصحف ومحاكمات الصحفيين .. ودخلت مصر طورا جديدا من الكفاح على أيدي كتابها في الصحف .. وبكثرة الحديث عن الصحافة والصحفيون .. أصبحوا هم نجوم المجتمع تضيء سماء ليل مصر ..

والمصرى صاحب فكاهة لا تفارقة .. سريع البديهة خفيف الروح يتلاعب بالالفاظ
 واستعمل المصرى نكتته عريقة التاريخ في صحافته أيضا ، وعادة ما ينتشر الكاريكاتير والنكتة
 والرمز في الصحافة اذا ما ضعفت الامة سياسيا .. ويصبح التنكيت والتبكيث الأداة
 الوحيدة للترويج عن النفس أكثر من ذلك لقد ظهرت صحيفة عبد الله النديم تحمل نفس
 اسم « التنكيت والتبكيث » وهذه هي القدرة التي تميز بها المصرى في التعبير المخلص عن
 مشاكله في احلك الأوقات .

لقد أخذت عناوين الصحف واسماءها مدلولاً عاطفياً وشعبياً يحمل أمانى قومية
فوجد الصحف :

الوطن - مصر - الاهالى - الدفاع - المؤيد - الحرية - اللواء - وادى النيل -
 الجهاد - المصرى - الجمهورية .

● **وفي فترة أخرى أخذت عناوينها من أسماء الاحزاب :**
 الوفد المصرى - مصر الفتاة - الشعب .

● **وحاولت تقليد ومحاكاة الصحف الأجنبية فقالت :**
 الوقائع الرسمية - الحوادث - الوقت - الجريدة - البلاغ - الأخبار - أخبار
 اليوم .

● **وحاولت الاستفادة بمعالم مصر في اسمائها فقالت :**
 الأهرام - المقطم - الفنار .

أنتقد المصريون القدامى حكامهم على طول التاريخ ، حيث نجدهم ينتقدون البطالمة
 ويلقبون بطليموس الأول « بالزمار » ولقبوا القيصر سيسيتان « بتاجر السردين » وكافور
 الاخشيدي - « أبو المسك » وطشتمر « حمص أخضر » وكان التاريخ المصرى مليء
 بالمتناقضات والأساطير .. والبقاء والخلود. إن ارتفاع الشمس وارتفاع الفيضان .. كانا سببا
 في الاستقرار .. وفي التناقض ايضا .

وكذلك نقرأ الفاشوش في حكم قراقوش ونسمع عن الشعر الحلمنتيشى في العصر
 الاخشيدي .. الى أن يظهر على ورق الصحف .. ونسمع عن أبو نظارة .. و صفارة ثم
 بعد ذلك حمارة منيتى وخيال الظل والكشكول والبعكوكه وأضحك والمطرقه ، وتختفى هذه
 الرموز من الصحف بأختفاء الاستاذ التابعى الذى أطلق الالقاب على الوزراء والزعماء

وأصبح وقتها معروفا باسم صاحب الالقاب ، ولكننا مازلنا نجد الكاريكاتير الرائد في روزاليوسف وصباح الخير يرسم ويقول ..

ان المتناقضات العصرية هي التي أدت الى ظهور هذا النوع من الصحف .. تمر فترات وتختفى ثم تعود ونجدها تعبر وتعكس متناقضات فترة أخرى .. باختصار .. ان سمات الصحافة المصرية ذكية للاحية .. مرحلة كريمة العطاء .. لاذعة في وقت الشدة تماما مثل طبيعة الانسان المصرى الخالد .. وصلت الى أعماق الناس .. وقرأوا بين السطور .. واطلقوا الشائعات .. التي في حد ذاتها حقائق .

وللمصرى قدرة عجيبة على إنجاح الصحيفة .. وأفشال أخرى يقاومها بسليته ويتركها عند البائع دون أن يشتريها أو يشجعها ، وفشلت الصحف المتخصصة للعمال والفلاحين لانها تعبر عن وجهة نظر رسمية .

والصحف كجسم الانسان اذا مات وقف نمو خلاياه .. وهكذا مات البلاغ .. وانتحر المقطم ..

وتصل مصر بالصحافة الى مشارف الخمسينات الى قيام ثورة ٢٣ يوليو .. ان الحرية النسبية التي أعطيت للصحافة في هذه الفترة هي التي مهدت الطريق إلى قادة ثورة يوليو .. يكفى أن الصحف كانت تكشف يوميا الفساد والأحزاب .. لم تأت الثورة من فراغ .. ولكنها كانت تتويجا لكل الأفكار التي أنتشرت في مصر وتستمر الصحافة بعد الثورة بلا رقابة ولكن يحدث انعطاف .. ثم تتوقف جريدة المصرى .. ثم يبدأ عدوان ١٩٥٦ ثم الوحدة مع سوريا الى يوم ٢٥ مايو ١٩٦٠ .. يوم التنظيم .. وتعيش الصحافة بنبض مختلف وتمر بمرحلة جديدة .. إنتحل الصحفي لنفسه الاعذار .. وأخذ لنفسه شعارات سلبية مثل « خليتنا نعيش » الهروب نصف الشطارة (محمد حسنين هيكل نفسه قال : ان الرقيب يقبع داخل صدورنا وهذه أخطر أنواع الرقابة .)

وفي فبراير ١٩٧٤ تبدأ الصحافة مرحلة أخرى .. نالت حريتها من مبدأ سيادة القانون الذى نادى بها رئيس الجمهورية .

وبدأت - ومازالت - الصحافة تبحث عن دور جديد لتعبر به عن « شخصية مصر » .

ان ظاهرة الحديث عن الشخصية المصرية هذه الايام وبعد عبور ٦ أكتوبر تذكرنا بتاريخنا العظيم وثورتنا التي دائما ما نسأل أنفسنا بعدها .. أين نحن الآن ؟ وهذه هى قمة الإيجابية فى الشخصية المصرية .

هذه باختصار قصة الصحافة المصرية ، وهى قصة طويلة بدأت فى طريق مملوء بالأشواك .. سقط فيه الكثيرون وأدمى أقدام كل من ساروا فيه .. طريق طويل والسائرون لا يملونه ، فالمراد المصرى مازال يشجعهم بنداياته المتكررة .. يذكرهم بحضارة مصر التي اذهلت العالم فى فجر التاريخ .. ولما كان التاريخ هو الصراع المتناقل بين الأجيال .. صراع مستمر .. فإن الصحافة هى حاملة سر التاريخ « ومفتاحه » وأصبحت كما يقول شوبنهاور : « هى عقرب الثوانى للأحداث العالمية » .

وقد تطورت الصحافة اليوم .. وأصبحت صحافة مجتمع الرفاهية تبحث للإنسان عن كإلياته وتقدم صفحات الحداثى والسيارات والرياضة بعد أن كانت صحافة الأمس تبحث عن الانسان ذاته .

وكما ساعدت التكنولوجيا الحديثة على تطور الصحافة ، نجد أيضا أن التطور السريع والأزمات الاقتصادية هما السبب الرئيسى فى اغلاق الصحف .. ونسمع عن توقف مجلتي « لوك » و « لايف » الأمريكيتين لنفس السبب .

وتعرض صحيفة « التايمز الانجليزية » المحافظة لهذه الهزات الاقتصادية وتضطر الى تغير صفحاتها الاولى التي ظلت عشرات السنين تنشر الاعلانات المبوبة الصغيرة فى صفحاتها الأولى . وتخرج عن هذا المبدأ وتبدأ فى نشر العناوين والصور والأخبار .. مجازية بذلك التطور الطبيعى والذي لم تستطع حيالة ان تخفى رأسها فى الرمال وفى ٤ مايو ١٩٧٤ وينشر الاهرام فى صفحته الأولى أن التايمز البريطانية مهددة بالتوقف بعد عمر ١٨٩ سنة وقد جاء هذا التحذير من مدير التايمز الى العاملين بها بسبب عدم التوصل الى اتفاق بين إتحادات الطباعة وإدارة الجريدة بشأن الاجور بل تغلق وتفتح أكثر من مرة .

ولهذا فإن مستقبل الصحافة على ضوء ما عرفناه طوال الطريق الذى سارت فيه سوف يجرى مستقبل الصحافة فى نفس الطريق فى خط مستقيم واضح ، ونستقرأ مستقبل الصحافة فى بلادنا ونقول فى جملة واحدة : -

« سيزداد نجوم الصحافة وسوف تنتشر الصحف لتتسع لكل الاقلام .. وستقف المطبعة الحديثة تؤيدها وتشد ساعدها وستعود وتنتشر الصحف الشعبية والصحف المتخصصة ومجلات الكاريكاتير وستملأ محافظات مصر بكل أنواع الصحف الاقليمية وسيظهر جيل ممتاز في النقد اللاذع وفي الادب وفي فنون الصحافة والطباعة جيل لا يقل في خطورته عن جيل ثورة ١٩١٩ ، الذى مازالت بقاياه تتربع على عرش ثورة يوليو وستظل الصحافة بالرغم من كل « منحنيات الطريق » هى وجه مصر .

صورة من بعيد

وبالرغم من ذلك أبصر من بعيد ملامح صورة في السحاب القريب صورة الصحيفة المصرية تتحول الى إدارة هدفها زيادة رأس المال والتوسع ، وبعد أن كانت هذه الإدارة في خدمة الصحافة والتحرير .. أرى سحابة التحرير تتحول لتخدم الإدارة .. ويطاردنى سؤال : -

● هل تصبح الصحيفة مجرد سلعة غايتها الكسب في سوق الفكر ؟

ان حوادث كل يوم هى خيوط التاريخ الذى لا يقفز قفزات - الصراع المتناقل بين الأجيال .. والاستمرار في هذه الصفحات سنلقى بعض الضوء على صفحات من الماضى هى في مجموعها وجه مصر .

وهذا الكتاب ليس عرضا تسجيليا للصحافة بقدر ما هو مناقشة وحوار مكتوب أرجو أن يستمر هذا الحوار ليزداد عمقا ونسيرا في محاولة للبحث عن الشخصية المصرية داخل الصحف .

وهذا الكتاب لا يكفى بمفرده ، أن يجمع تاريخ الصحافة والشخصية المصرية ولكنه عناوين لموضوعات يجب أن تتبناها هيئة كبيرة ولتكن نقابة الصحفيين وتدعو الى عمل موسوعة الصحافة المصرية .

سمير صبحي

القاهرة - مارس ١٩٨٢



(١) .. صحافة زمان

تمتد الصحافة في الدم المصري عبر تاريخ الحضارة ، فكان المصريون أول من كتبوا وسجلوا حضارتهم ، واستعملوا ورق البردى وكان يكتبون عليه بتقسيم الأعمدة وليس بطول اللقافة (١) - وهذا يدل على أن فن الإخراج بدأ أيضا من عندهم .

ورق البردى Papyrus وأشتق من اسمه فيما بعد كلمة Paper الانجليزية واستخدم المصريون للكتابة ساقا من الغاب كان يبرى بريا مائلا بحيث تسهل الكتابة بها كتابة غليظة أو دقيقة تبعا لاختلاف توجيهها - وكان ذلك للتفريق بين أبناط الكتابة - وقد بدأ استعمال هذا القلم منذ القرن الثالث قبل الميلاد .

وبعد أن خرجت الكتابة الى الورق بدلا من الحجر الذى كان يوضع فى المعبد ليقرأ أكبر عدد من الناس الذين يؤدون الصلاة والذبائح (٢) وعندما شاع استعمال أوراق البردى ، كان هناك مندوبيون يحملون أوراق البردى الى كل اقليم على جياد مخصصة فى محطات معينة وإلى جوار استعمال أوراق البردى ، كان هناك طائفة من المنادين وظيفتهم الاعلام ، وكذلك نعى المتوفين الى أهل البلد كى يجتمعوا ويشيعوا المتوفى وكذلك البحث عن طفل ضال (٣) .

.. أكثر من ذلك .. لقد سجلت الأوراق البردية المحفوظة فى متحف اللوفر بباريس أن الانسان المصرى عرف الصحاح منذ ٣٧ قرنا (١) والوثيقة يرجع عهدها الى سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد اثناء حكم تحتمس الثالث .. تدلنا الوثيقة أنه كان هناك جريدة رسمية تنطق بلسان الحكومة وقد كتب فيها الوزير « خماراه » عدة مقالات تبين اتجاهات الحكومة فى ذلك

(١) كان المصريون القدماء يكتبون من أعلى الى أسفل جملا قصيرة .

(٢) مضمون حجر رشيد اذاعه قرار أصدره المجمع الدينى فى مدينة ممفيس لمصلحة بطليموس فى حين أن الاحجار

الاثرية التى وجدت فى كريت وفى استراليا كانت تدعو الى ولائم !!

(٣) مازالت صحفنا تخصص صفحة للوفيات ومازال هناك ايضا « باب اسمه خرج ولم يعد »

(١) مصر عرفت الصحافة منذ ٣٧ قرنا .. د. محمود نجيب أبو الليل .

العصر ويتحدث فيها عن البعثات المختلفة التى توفدها الحكومة الى انحاء الامبراطورية وعن مهمة كل بعثة فيها .

وقد عثر على برديات أخرى تدلنا على أن مدينة ممفيس شهدت صحيفة سياسية رسمية كما أن مجموعة أوراق بردى تورينو الشهيرة بكتاب الموتى والتى تقول أن المصريين لم يقتصروا على معرفة الصحف الرسمية بل كانت لديهم صحف رأى وصحف معارضة تناولت تصرفات رمسيس الثالث بالنقد والتقريع !

وكانت هناك صحف هزلية .. لم تترك فرعون مصرى الا ونقده ومنها صحيفة جريدة القصر التى كانت تروى أخبار فضائح المدينة ، والنزهات الليلية والحفلات الساهرة التى كان يقيمها فرعون مصر على شاطئ بحيرة مورييس !!

وقد تكون هذه الصحف بايعاز من الكهنة لمناهضة الحكام اذا ما خرجوا عن الخط المرسوم لهم .. وقد تكون للدعاية للحاكم .. أو لتسلية الناس ..

ونجد أيضا الملك نفر - كى - رع يطلب أن تسجل الحوادث اليومية على الحجر وتوضع فى مدخل المعبد كوتوس Coptus حتى يراها سكان هذا المكان .

وتمر أيام ٣٠ أسرة فرعونية ويدخل البطالة الى مصر ليستعملوا أيضا أوراق البردى بالطريقة التى يريدون بها إذاعة أخبارهم .. وظلت الكتابة تكتب على أوراق البردى المصرى حتى حرم بطليموس الرابع تصدير هذه المادة من مصر لمنع نمو مكتبة برجوم ، ورد يومينز الثانى على هذا العمل بأن شجع صناعة معالجة الجلود وكانت تستعمل للكتابة فى الشرق وبذلك أصبح الجلد ينافس الورق .. هكذا فعل الرومان وعندما جاء العرب استخدموا منابر المساجد كطريقة صحفية للإعلام ولا تعرف بعد ذلك الصحافة الحديثة الا بعد ظهور الوقائع المصرية ولكن خلال هذه القرون المظلمة كانت هناك محاولات هى التى ربطت خيوط التاريخ الصحفى وفيها أكدت شخصية الإنسان المصرى .

ويمر الفاطميون بمصر .. هم الذين يهتمون بالحفلات والموالد والمواسم ثم عصر الايوبيين وبداية دخول المماليك وهنا تظهر شخصيات مصرية ابن أياس (١٤٤٨ - ١٥٢٤) الذى يؤلف عدة مؤلفات منه مؤلف صحفى هو « عقود الحجاجان فى وقائع الأزمان وكذلك « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » .

ويهم ابن أياس بأخبار السلطان الغورى فهو شخصية جديدة يتردد عليه كثير من القصاد (السفراء) ويقول ابن أياس فى حوادث ربيع الآخر سنة ٩١٨ :

« ومن العجائب أن فى هذا الشهر اجتمع عند السلطان نحو أربعة عشر قاصدا . وكل قاصد من عند ملك على انفراده ، فمن ذلك شاه اسماعيل الصوفى وقاصد ملك الكرج وقاصد ابن رمضان أمير التركان » .

وكانها اخبار الاستقبالات فى صحافتنا الآن !

وأوراق ابن أياس كلها أوراق صحفية نراه فى حوادث سنة ٩١٦ هـ يقول : فلما رأو المجلس مانع تعصب الأمير قيت الرحبى أمير سلاح والأمير مصرى الى قنصوه الغورى وقالوا ما نسلطن الا هذا ، فسحبوه وأجلسوه وهو يمتنع من ذلك . ويكى .. ثم أحضر اليه شعار السلطنة وهى الجبة والعمامة السوداء فأقبض عليه ذلك .. كل هذا وهو يتمنع ويكى فلقبوه بالملك الأشرف .

ثم قدمت له فرس بالسرج الذهب والكنبوش فركبة من سلم الجرافة التى بباب السلسلة فتقدم قيت الرحبى وحكل القبة والطير على رأسه ..

وقد ترشح أمره الى الأتايكية فركب الخليفة عن يمين السلطان ومشت بين يديه الأمراء وهن بالشاش والقماش حتى طلع من باب قبل القصر الكبير وجلس على سرير الملك .. وكان الطالع بالسرطان ، فأول من قبل له الأرض قيت الرحبى ثم بقية الأمراء شيئا ، ثم أدخل على الخليفة ونزل الى دارة وأدخل على بابن وقره فى الدوادرية الكبرى والوزارة والاستادارته عوضا عن نفسه فنزل الى داره فى موكب حافل ، ثم دقت البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة ، وارتفعت الأصوات له بالادعية الفاخرة وزال ما كان من الشكوك والظنون وأقرت من الناس بسلطنته العيون ، فكانت سلطنته على غير القياس .. وتولى الملك وله من العمر نحو ستين سنة ولم يلحق بلحيته الشيب حتى عد ذلك من حجة سعدة . ويستمر بن أياس وراء الغورى يكتب اخباره ويصفه طويل القامة .. غليظ الحس ذاكرش كبير أبيض اللون .. مدورالوجه جهورى الصوت .. يلبس فى اصابعة الخواتم البياقوت الأحمر والفيروز والماس .. مولع بشم الرائحة الطيبة من المسك ..

عندما يلعبون الكرة !

ثم يصف مباراة لكرة القدم في حوادث ربيع الآخر ٩١٢ هـ فيقول : « وفي يوم الثلاثاء خامسة كان ختام ضرب الكرة بالميدان فلما انتهى ذلك أحضر السلطان ثيران وكباش يتناطحون قدامه » .

وكان الغورى مغرم بالكرة وبالورد والشجر والموائد والطعام والموسيقى حتى أنه كان يصحب في ترحالة المغنيين وكان الذى يضحكه هو « على باى » الذى يعمل عقرينا في المحمل .

ويهم ابن اياس بنشاط السلطان الغورى فيقول : وقع للغورى أشياء غريبة لم تقع لغيرة من الملوك لقد نقل الآثار الشريف النبوى من مكانه الذى كان به المظل على بحر النيل فجعله في مدرسته حتى عد ذلك من النوادر ولما نقل الآثار الشريف والمصحف العثمانى إلى مدرسة السلطان كان له يوم مشهود ونزل قدامه القضاء الأربع والأتابكى وجماعة من الأمراء المقدمين والفقراء أرباب الزوايا والأعلام وهم يذكرون .

ويصفه في الوفاء فيقول : « نزل السلطان وسير وتوجه إلى نحو تربه الأشرف قايتباى فنزل عن فرسه ودخل وزار قبره وبكى هناك وترنح على قبره وقرأ له الفاتحة ثم رسم للباوين والصوفية بمائة دينار »

هكذا عاش ابن اياس^(١) يعمل صحفيا في عصره .. ولكن بدون صحف .. كانت وسيلته هى الكتاب المنسوخ .. والملاحظ أن لغة عصره كانت ركيكة ضعيفة .. ولكنه حاول قدر الامكان أن يكون واقعا .. يصف الحدث فقط .

وتظهر الصحافة الفرنسية على هيئة منشورات أحضرها معه نابليون بوناپرت ولاقت الصحافة الفرنسية راجا ، ويصدر العدد الأول من جريدة بريد مصر Le Courier de l'Egypte وتحمل أخبار مصر الداخلية والصفحة عبارة عن نهريين باللغة الفرنسية ، وقد نشرت أخبار نقلتها عن صحف الغرب مسبقة بتعبيرات لم تكن معروفة في ذلك الوقت كتعبيرات جاءنا من .. وكتب الينا .. وكان من أطرف الأبواب باب « متفرقات »

(١) بلغ عدد سكان القاهرة ١٢,٠٠ جهادية وماليك ، ٦,٠٠ ملاك وعلماء ، ٤,٠٠ تجار الجملة ، ٢٥,٠٠٠ صناع ورؤساء حرف ، ٥,٠٠٠ صغار التجار ، ٢,٠٠ قهوجية وكان بالقاهرة ١٢٠٠ قهوة ، ٣٠,٠٠٠ سقاعون ، ١٥,٠٠٠ عمال وجمالون ، ١٢٦,٠٠٠ نساء ، ٧٥,٠٠٠ أطفال وذكور .

فتعلقت به الناس لأنه كان ينشر عادات المصريين وتحدث عن زواجهم واختيار ليلة الجمعة لعقد الزواج ، وعقاب الزانية بالقائها في النيل ، وإخلاص المصريين وسماحة طوبتهم وتقديسهم للعيش والملح « واعتبار القسم عليها قسما مقدسا »

واهتموا بالشخصية المصرية وحاولوا النفاذ الى أغوارهم ويعجب شيخنا الجبرتي بهذه الطريقة التي خلبت له فيقول :

لان القوم كان لهم مزهد اعتناء لضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم واماكن احكامهم ثم يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها في جميع الجيش حتى لم يكون منهم في غير مصر من قوى الأديان فتجد أخبار الأسر مقدمة للجليل والحقير منهم «

أعجب الجبرتي بطريقة الفرنسيين في التفكير وفي نشر المعرفة وأعجب بجريدة العشريات التي صدرت في سنة ١٧٩٩ وكانت في أول أمرها تصدر كل عشرة أيام حتى العدد التاسع ، وبعد ذلك أصبحت شهرية وفي العدد الأول - تشرح الصحيفة سياستها فتقول :

« ان الجريدة التي نحن في صدد إصدارها ستكون أدبية بحة لن نحوى على خبر سياسى أو مناقشة سياسية وانما سيجد القارئ كل ما يتعلق بالعلوم والفنون والتجارة « ستمم الجريدة بدراسة القانون المدنى والجنائى « ان الهدف الذى يصبو اليه هو تعريف مصر ليس للفرنسين المقيمين فيها وانما لفرنسا كلها وكذلك أوروبا ، فهذه البقة ، الممتازة لم تعرف بعد حق المعرفة لا مواردها ولا موقعها ولا شعبها اذ أن الرحالة والمستكشفين صادفوا صعوبات كثيرة عرقلت تحركاتهم ومنها تشاؤم الأهالى وتخوفهم واختلاف اللغة وقلقهم من تواجد غرباء في أراضيهم .. أما اليوم فالصورة تغيرت ، تماما بنجاح الحملة الفرنسية على مصر أصبح من السهل دراسة العادات والتقاليد ومعرفة طبيعة المناخ ونوعية الحاصلات الزراعية والتحسينات التي يمكن ادخالها عليها .. ويمكننا بكل اطمئنان زيادة الآثار ودراسة عجائب الطبيعة وبالتالي يمكننا تصحيح اخطاء الجهل ومبالغات الحماس »

وعند ظهور جريدة التنبيه بأمر مينو نقرأ : « استطع في القاهرة صحيفة عربية الغرض منها نشر أعمال الحكومة الفرنسية في جميع انحاء القطر المصرى وتأمين السكان من التسرع في الحكم ومن القلق الذى قد يعمل البعض على بعثه فيهم وأخيرا لتحقيق الثقة وتمكين الألفة اللتين تتوافرن أكثر فأكثر بين هذه البلاد وبلاد الفرنسيين وستحصل هذه الصحيفة اسم « التنبيه » ويشرف عليها الشيخ سيد اسماعيل الخشاب وستطبع في المطبعة الأهلية لكى توزع في القاهرة والأقاليم وستسلم عدة نسخ من هذه الجريدة لرؤساء القوافل المختلفة التي تفد الى القاهرة .

وستقسم التنبيه صحيفة بلاد العرب الى « أربعة ابواب » يحتوى الاول منها على أعمال الحكومة الفرنسية والثانى على أعمال الديوان ويختص الثالث باذاعة الحوادث العامة فى أوربا وآسيا والتي قد يهم سكان مصر معرفتها وسيعرف القسم الرابع بعض الاساليب التى تهتم بالفنون والعلوم وستضاف لبعض المقالات عن الاخلاق وعن المبادئ العامة التى من شأنها أن توجه كل حكومة صالحة .

اليد المصرية فى صحافه فرنسيه !

دخلت اليد المصرية صحف الحملة الفرنسية واصبح الشيخ الخشاب مشرفا عليها وتصبح « ظاهرة الصحف » من علامات الطريق الهامة فى تاريخ الفكر السياسى والاجتماعى الحديث منها يعمل المصرى وفيها يعبر !!

خلبت المطبعة الفرنسية لب أستاذنا الجبْرِقى فقد طبعت مثلاً « وصايا لقمان الحكيم » فى كتاب قوامه ١٢٠ صفحة ومن تأليف مدير المطبعة جان جوزيف مارسيل وثمنه « ٩٠ نصف فضة » واصدرت « قواعد اللغة العامية المصرية واستعمالها باللغتين العربية والفرنسية وكتب حروف الهجاء العربية والتركية والفرنسية ، وعمل الشيخ الخشاب مشرفا على تحرير التنبيه وأخذ يفكر الجبْرِقى فى المطبعة والصحيفة اعجوبة عصره ويصف الجبْرِقى زيارته للمجمع العلمى ويقول : « أفردوا لجماعة منهم بيت ابراهيم كستخدا السنارى وهم المصورون لكل شىء ومنهم أريجوا المصور وهم يصورون الآدميين تصويرا يظن من يراه أنه بارز مجسم يكاد ينطق ، حتى أنه صور صورة المشايخ كل واحد على حدة فى دائرة وكذلك غيرهم من الأعيان وعلقوا ذلك فى بعض مجالس سارى عسكر وآخر فى مكان آخر يصور الحيوانات والحشرات وآخر يصور الاسماك والحيتان بأنواعها وأسمائها ويأخذون الحيوان أو الحوت الغريب الذى لا يوجد ببلادهم فيضعون جسمه بذاته فى ماء مصنوع حافظ للجسم فيبقى على حالته وهيئته لا يتغير ولا يبلى ولو بقى زمنا طويلا .

وفى مكان آخر يقول : عجيباً أمر هؤلاء الفرنسيين جاءوا يحاربون ويغتصبون وأقاموا ليلها ويلعبوا ومع هذا أحضروا معهم العلماء والعارفين ولم يقصروا يوما فى البحث والتفتيح » .

تأثر الجبرتي بالطريقة الفرنسية في الكتابة وتأثر أيضا بالكتاب الذين سبقوه مثل ابن اياس وأخذ يسطر كتابة « عجائب الآثار في التراجم والاخبار » ويقدمه وهو يقول :
 « اننى سودت أوراقا في حوادث آخر القرن الثاني عشر وما يليه وأوائل القرن الثالث عشر الذى نحن فيه .. جمعت فيها بعض الوقائع اجمالية وأخرى محققة تفصيليه وغالبا نحن أدركناها وأمور شاهدناها وأسقطت في ضمن ذلك سوابق سمعتها ومن أفواه الشيخة تلقيتها وبعض تراجم الأعيان المشهورين ، من العلماء والأمراء المعبرين وذكر لمح من أخبارهم وأحوالهم وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم فأحببت جمع شملها وتقيد شواهدا في أوراق منسقة النظام مرتبة على السنين والأعوام ليسهل على الطالب النبذة المراجعة ويستفيد ما يرومه من المنفعة ويعتبر المطالع على المطالع على الخطوب الماضية ليتأسى اذا لحقة مصاب ويتذكر بحوادث الدهر إنما يتذكر أول الألباب فانها حوادث غريبة في بابها متنوعة في عجائبا .

هكذا كانت كتابات الجبرتي قرية الشبه بجريدة يومية أو اسبوعية استعمل فيها اللغة العامية المصرية .. كان صحفيا دون حوادث أيامه وكتبها مرتبة حسب الشهور والأيام .. شاهد عيان يسجل أخذ معلوماته من الشيوخ والأعيان ومن أسلوبه التقريرى أضاف الى صناعة التاريخ صناعة الكتابة الصحفية الحديثة .

استنتاج .. لابد منه !!

ومن منطلق هذه الأرضية التاريخية العريضة ومن حياة الجبرتي الصحفية تستطيع أن تستنتج أن الجبرتي هو الذى أوعز الى الباشا محمد على باصدار جريدة مصر الاولى .. فقد كان همزة الوصل الصحفية بين نابليون ومحمد على فهو معجب بالفرنسيين - ولكن على حذر - ومعجب بمحمد على فى أول أيامه ورأيه فيه يحدده كالاتى : .. وكانت له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك زمانه فلو وفقه الله الى شيء من العدالة على ما هو عليه من الشهامة والحزم والمطاوله لكان أعجوبة زمانه وفريد عصره وأوانه ..

أوعز الجبرتي للباشا محمد على باصدار « الوقائع المصرية » ورحب محمد على بالفكرة واستعد لها ، ارسل العمال المصريين الى ايطاليا لدراسة المطابع ضمن حملة البعثات التى أرسلها للخارج وبالتحديد فرنسا للدراسة وعادوا ليكونوا نواة الموظف

المصرى : وتستكمل المطبعة الاميرية أدواتها وتتحوّل الى خلية نخل لا تهدأ فيها آلاتها وتظهر « الوقائع المصرية » فى عام ١٨٢٩ يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الاول عام ١٢٤٤ هـ . تظهر الوقائع قريية الشبه بصحف نابليون من ناحية الشكل .. نفس طريقة الاخراج والترتيب وفى رأسها أصيص يرمز لشجرة القطن وكان هذه الشجرة هى البصمة الاولى التى انتقلت من الأرض المصرية على صفحة جريدة محمد على الرسمية ، وفى العدد الـ ١٨ يحذف الأصيص ونجد بدلا منه رسم يؤكد شخصية مصر التى بدأت تغزو الصحيفة « هرم الجيزة ومن ورائه الشمس وبعض أشجار النخيل أكثر من ذلك ينشر فى رأس الصفحة وعلى اليمين « ميزان هواى مصر (١) » ثم بعد ذلك فى العدد الـ ٤٣ ينشر مقياس النيل .. وكان الجبرقى يهتم به ويسجله فى يومياته .

وتمر رحلة الوقائع ويحاول كاتبها أن ينشر الأخبار الشعبية « مثلا طالب مرة بأخذية للجنانية الذين يعملون فى حدائق قصر محمد على » ويغضب الباشا أو .. كيف تنشر أخبار ليست على هوى الوالى فيطالب بعرض الاخبار عليه قبل طبعها .. ولقد كانت هذه هى أولى الصراعات بين الحاكم والصحفى . فى الزمن البعيد ..

ولا تقف المطبعة الاميرية فى طبع الوقائع المصرية وحدها ولكن تمتد لتطبع الكتب .. وتبدأ فى بذر أول بذرة للحركة الثقافية فى مصر وتتغلغل الثقافة بين الناس ويقبلون على القراءة .. كتاب « عمل الجراحة العربى » طبع منه ٥٠٠ نسخة ، وتعريب الأمثال الخاص بتأديب الاطفال طبع منه ٥٠٠ نسخة أيضا .. وطبعوا ايضا « رسالة اللغة » .. تنوع طباعى مصرى جديد .. ولماذا لا تطبع مترجمات والمصرى رفاعة رافع الطهطاوى على رأس قلم الترجمة منذ عام ١٨٤٢!! (٢) .

ويصبح فى مصر تسع مطابع أهمها مطبعة المدفعية فى طرة ومطبعة مدرسة الطب فى ابو زعبل ومطبعة الفرسان فى الجيزة ومطبعة القلعة .

(١) درجات الحرارة التى مازالت الصحف المصرية تنشره بطريقة بارزة

(٢) الوقائع المصرية رقم ١٣٧ . ٢٦ ذى القعدة ١٢٦٤ هـ « لما كانت ترجمة الكتب المرغوبة التى تشمل على القوانين والتراتيب والآداب وسائر العلوم والفنون النافعة من الفرنساوية الى التركية والعربية وطبعها وسيلة عظمى لتكثير المعلومات .. تعين حضرة رفاعة بك اميرالاي الذى كان ناظر مدرسة الالسن التابعة الى ديوان المدارس ناظرا على قلم الترجمة العربى أ هـ .

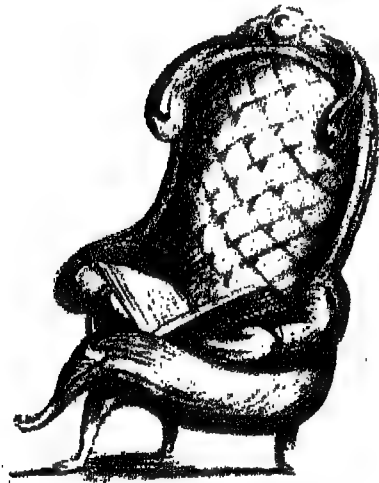
اهتم محمد على بالصحافة والطباعة كان يوزع مائة نسخة من الوقائع المصرية وكان يتولى العمل موظف يسمى « جورنال ناظرى » أى ناظر التقارير اليومية ، وكتب مرة الى الخواجة غوص فى شبرا منذرا ليكن بعلمك أنه يلزم أن ترسل الجرائد الواردة الينا من أوروبا .. ومن الآن فصاعدا لم تصل واحدة منها فاعلم انك لا تستطيع الاعتذار عما وقع !!

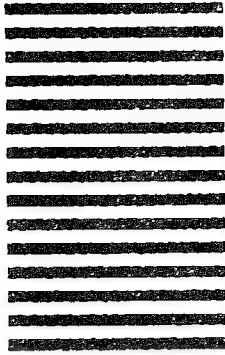
وكانت عقوبة تأخير الجورنال اذا ثبتت على « جورنال ناظرى » هى الضرب ٣٠٠ نبوت !!

كان ساعد محمد على قد إشتد وأخذ يبطش بمن حوله بعد أن استتب له الجو فهو فى السنوات العشر لحكمة فى فتن وثورات ومذابح وكان بدهائه قد استمال الشعب المصرى وزعيمة السيد عمر مكرم الذى كان وراء محمد على « لا يفعل أمرا الا بمشورة الرعية وأنه متى خالف الشروط عزلوه وأخرجوه وهم قادرون على ذلك .. كما قال الجبرتي .. فعندما تحكم ساعد محمد على « حضر المشايخ بالأزهر على عاداتهم لقراءة الدروس واجتمع المشايخ بالقبلة وارسلوا الى السيد عمر النقيب فحضر اليهم وجلس معهم ثم كتبوا عرض حالا الى الباشا يذكرون فيه الحداثات من المظالم والبدع » . ويغضب الباشا على عمر مكرم نقيب الاشراف ويغضب من الجبرتي .. أبعدته .. احترق منزله بالصناديق فى حى الحسين وركزوا على حرق مكتبه .. قتلوا ابنه وهو يخرج من سراى محمد على فى شبرا ومثلوا بجثته .. وبقيت كتاباته ممنوعة من التداول حتى أذن الخديوى توفيق بطبعة فى المطبعة الاميرية سنة ١٢٩٧هـ . (فقد بقية عمره .. واحترقت فلسفته)

ولكن .. انتظمت الوقائع المصرية وصدرت اسبوعية كل يوم جمعة وظلت جريدة اخبارية بالدرجة الأولى تشمل أخبار الحاكَم الخارجية والصناعية والتجارية والعلمية والأدبية وعين على لبيب افندى مخبرا صحفيا ، وتعين ابراهيم افندى شبراوى المشتغل بمطبعة الباشا تحت التمرين جامعا للحروف وظل عاملا فيها حتى بلغ من العمر ٩٠ سنة ، ونشرت بعض قصص الف ليلة وليلة ، الى حين استلمتها اليد المصرية وإذا برفاعه رافع الطهطاوى قد بدأ يحولها الى صحيفة رأى .. وأصبحت الافتتاحية ذات أهمية جديدة ، فلم تعد مجرد دعاية للوالى وسياسة بل بدأت تسبر اغوار الانسان المصرى وتتناول موضوعات الثقافة السياسية وتحليل نظم الحكم وفى العدد رقم ٦٢٣ من الوقائع المصرية نقرأ افتتاحية بعنوان « تمهيد » لعلها المقال الأول المصرى لتحليل نظم الحكم المختلفة يقول الطهطاوى فيها :

» .. وهذا ما يسمى بالبوليتيكية ، والمتكلم فى شأن ذلك يقال بولاتيقي
فما كان من الدول والملل يقال له بوليتيكة خارجية وكان من دولة
واحدة مما يتعلق بانتظامها وتدير ما يقال له بوليتيكة داخلية . والغالب
أن الغازيات والوقائع هى التى تتكلم عن كل من البوليتيكة
وهكذا كانت كلمة بوليتيكا هى أول كلمة سياسية فى القاموس
المصرى تظهر فى صحافة الحاكم الى المحكوم !!





(٢) أقلام من بيروت

وتمر الأيام ويشاهد الإنسان المصرى ظهور أول صحيفة أهلية فى مصر تصدر إسبوعية .. تحت اسم « السلطنة » وبالتحديد فى عام ١٨٥٧ فى عصر سعيد ، والفوضى تدب فى المطبعة الاميرية الأمر الذى يضطره إلى إهدائها الى عبد الرحمن رشدى ، وكان صاحب « السلطنة » تركى أسمه اسكندر شهلوب . وصدرت بايعاز من الباب العالى لتكشف أعمال سعيد .. وتساء اليه فى عقر داره .. ولم تدم « السلطنة » طويلا .. ويقول أيضا أمين سامى فى تقويم النيل : أنه سمح باقامة جريدة ايطالية هى جريدة الطرمبيته الايطالية بالاسكندرية وهى سياسية تجارية مالية ! وأصدر سعيد أمرا بأن يكون هناك ادراتين للمطبوعات واحدة للمصحافة الوطنية وأخرى للمصحافة الأجنبية .

ويجىء الخديوى اسماعيل .. وتنتشر الصحف الشعبية .. أوروبا كلها تتحدث عن مطبعة الروتاى الجديدة التى أحدثت إنقلابا فى عالم الطباعة حيث اخترعوا فى عام ١٨٦٨ مطبعة سموها « والتر » نسبة الى جون والتر محرر التيمس فى القرن التاسع عشر .

من أين جاء اسم « البالو »

وتعددت أشكال الحياة فى عهد اسماعيل اصلاحات فى كل مكان .. كوبرى يربط بين القاهرة والجزيرة باسم كوبرى اسماعيل .. برلمان لأول مرة مثل أوروبا .. نهضة مسرحية .. تعمير فى كل مكان .. المنازل ترتفع طوابقها .. الانارة بالامر فى الشوارع .. والأمراء والأغنياء تسمع فى بيوتهم الموسيقى والليالى الراقصة فى عيد جلوس الخديوى التى أخذت اسم « البالو » .. الحديث باللغة الفرنسية والتركية وموائد العشاء تدخلها الاطباق الافرنجية والخمر والرقص .. « الوقائع المصرية » تنشر وصفا لسباق الخيل الذى يشترك فيه الخديوى والطبقة التى حوله .. ثم يفتح بعض أبواب المراهنات للفقراء .. ولتكتمل صورة المراهنات .

من هنا نشأت المتناقضات في مصر !!

وتنتشر النكات في المجالس والمقاهى تضحك .. وتسخر من المتناقضات التى تعيشها مصر .. والإستدانة ليقيم الاحتفالات .. صورة كاريكاتورية .. وتصبح المقهى هى المنتدى للأدباء والمفكرين وكل الناس .. وفيها تدور القصص وتؤلف النكات وتخرج منها الاشاعات والحقائق .. حتى أصبحوا يقولون للضحك البسيط .. « هو انت قاعد فى قهوة » !

وسط هذا الجو تخرج الصحف وراء بعضها وتشتد اليد المصرية وأقلامها على صفحات الجرائد ، ظهرت صحف تنكيت .. والمتزمتون والحريصين على روح الجدل راحوا يتحدثون بالتنكيت ويؤيدون رأيهم بأن مصر فى حاجة الى الجدل أكثر من أى وقت مضى !

وتنتشر الصحف فى مصر ، وتظهر شخصية إسمها كاستلى ، وهو صحفى ايطالى يمتلك مطبعة شعارها أنه فى خدمة أى جريدة أو مجلة ، يطبعها مقابل ما يطلبه من مال .. وقد وضعته السلطات لاتصاله بالخدوى مباشرة يبلغه محتويات الجرائد .. (فما المانع !!)

تنتشر الصحف فالى جانب الوقائع المصرية هناك صحيفتان عسكريتان هما جريدة أركان حرب الجيش المصرى^(١) ، والجريدة العسكرية المصرية الأولى شهرية وصدر العدد الأول منها فى ١٥ جمادى الأول سنة ١٢٩٠ هـ (١٠ يوليو ١٨٧٣ م) مازالت أعدادها موجودة فى دار الكتب حتى أكتوبر ١٨٧٨ م . وكان من كتابها أستون باشا ومحمد مختار أفندى وحمام بك عبد المعطى ويقوم بتصحيح المجلة الشيخ حسن الطويل العالم المشهور فى العدد الصادر منها بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٨٧٤ نجد كلمة تاريخية عن حملة فريزر على مصر سنة ١٨٠٧ بقول كاتبها محذرا : « وإذا قدر الله بغزو هذه الديار مرة أخرى فلي تذكر ضباط الجيش المصرى غزوة سنة ١٨٠٧ وليكن كل ضباط مصمما على المدافعة عن وطنه ولا يرتكب العار فى التسليم كما أرتكبه أمين أغا بل يدافع بنفسه وبعساكره عن كل نقطة يتجه الهجوم اليها كما فعل على بك السلانيكى »

(١) أنشأ فى عهد اسماعيل هيئة أركان حرب الجيش برئاسة الكولونيل الأمريكى استون وكان لها مطبعة خاصة لطبع رسومها وخرائطها ومكتبة كبيرة ومتحف حرنى للأسلحة وقد غادر ستون باشا مصر نهائيا سنة ١٨٨٢ عند قدم الانجليز ومات فى نيويورك سنة ١٨٨٧ .

وهذه هي الصحافة العسكرية الاولى تحت الهمم عن الدفاع عن أرض مصر.

تنشر الصحف .. وتندلع شرارة الصحافة الشعبية .. برلمان جديد بأسم مجلس شورى النواب عام ١٨٦٦م^(١) .. كلام في البرلمان .. وكلام في الصحف .. وكلام في المقاهى .. عن مكان يستطيع أن يضع فيها قدمه بين اسماعيل المتفرنج الذى تورط بين الفرنسيين والانجليز .. وبين من يحكمون ولو بالاسم عن الاستانة ... !!

وأنشئت الصحف الشعبية .. لأن الأصوات والوطنية بدأت تعلو .. وصل جمال الدين الافغانى .. وسمع الناس ماذا يقول عبد السلام المويلحى^(١) في مجلس شورى النواب وظل الفنان أبو نظارة يمثل ويلحن ويكتب الازجال ويصدر الصحف ويسخر من نوبار رئيس الوزراء ويلقبه « غبار » وينال من مجلس شورى النواب ويسمى « مجلس الطرايطر » .. ويصل توزيع جريدته الى ١٥ ألف نسخة (١) ودخلت المجلة الى المقاهى وصالات الغناء وأنشئت أغنية « المضطهده » التى كان يغنيها الملحن الشعبى أحمد سالم ، وفي المجلة كان القراء يشاهدون الكاريكاتير الذى يرسم الخديوى اسماعيل يبيع جريدة الاهرام (وهو هنا يريد أن يقول أنه لم تبق الا أهرامات الجيزة لتباع في سبيل ملاذ الخديوى اسماعيل وحبه للظهور !!)

ويتحول الانسان المصرى بعد أن يجد له مكان يتكلم فيه وصحيفة تنشر أفكاره .. الى موقف الشاكي من الظلم الذى يراه في عهد اسماعيل - على الاقل من كثرة الضرائب !!

مجلس شورى وصحيفة شعبية في نفس العام !

وتنشر الصحف وتظهر جريدة وادى النيل لعبد الله أبو السعود في عام ١٨٦٦ - نفس العام الذى شهد مولد مجلس شورى النواب ، وتصبح هذه الجريدة الوليدة دار واسعة للنشر

(١) عرف عبد السلام المويلحى كأول زعيم للمعارضة في مصر الحديثة وكان المجلس يجتمع في أحد قصور قلعة المقطم شهيرة كل عام .. وكان العمل أولا مقصورا على تناول طعام العشاء ولكننا نجد في عام ١٨٧٨ يقف المويلحى ليقول لرئيس النظار :

« أن القانون الخاص بالشئون المالية لم يعرض على المجلس مع أن سائر ما يختص بالادارة العمومية في تحصيل أموال وفرض ضرائب على المجلس مع أن سائر ما يختص وكل ما يقصد به الاهالى لابد من عرضة عليهم ولا بد من رضاهم على طيبب خاص قبل وضعه وتكليفهم به وحيث أنهم أنابوا أنفسهم نوابا منهم منوطون بالموافقة عنهم والمحاماه عن حقوقهم فمن الواجب أن يعرض جميع ما يتعلق بالاهاالى على نوابهم لينظروا فيه ويتدبروه .

وتطبع أيضا روضه المدارس « لعلى باشا مبارك وتطبع رحلة أبن بطوطه وينفرط العقد ويستدعى الخديوى أسماعيل صحفيين من لبنان الى جانب الوقائع المصرية .. يدافعون عنه لما ينشر فى الصحف الاهلية .. كتاب يمدحونه أو على الأقل يكتبون مقالات معتدلة ، وتنتشر فى أوساط مصر صحف الوقائع المصرية ، واليعسوب وهى مجلة طبية شهرية يتولاها الدكتور محمد على البقلى رئيس أطباء الحكومة وروضة المدارس نصف شهرية ، وجريدة أركان حرب الجيش والجريدة العسكرية ، ووادى النيل سنة ١٨٦٧ مرتين فى الأسبوع ، ونزهة الأفكار لابراهيم المويلحى ومحمد عثمان جلال ، والوطن سنة ١٨٧٧ لميخائيل عبد السيد ، ومصر سنة ١٨٧٧ لاديب أسحق وسليم النقاش ، والتجارة ، وروضة الاخبار لمحمد أنس نجلى عبد الله أبو السعود والكواكب الشرق لسليم باشا الحموى ، والأهرام ١٨٧٥ ، والاسكندرية ١٨٧٨ لسليم حمدى ، والكواكب المصرى لمحمد وفاء ، ومراة الشرق لابراهيم اللقانى ، وأبو نظارة عام ١٨٧٧ وتظهر أيضا صحف أفرنجية هى الجارد الكسندرى فى الاسكندرية عام ١٨٧٤ وجريدة البروجية أجيسيان وجريدة الريفيوم .

وتنتشر الطباعة ، ويتولى حسين بك حسنى إنشاء مصنع للورق فى عام ١٨٧١ وكان هذا المصنع يورد الاوراق اللازمة لمصالح الحكومة ويطلع المؤلفات والدفاتر اللازمة للتجارة . وحسين بك حسنى خريج مدرسة المهندسخانه وكان الى جوار تدريس العلوم الرياضية يعمل بجوار المطبعة وأنتج من الورق ما كان يغنيه عن ورق أوروبا إذا تعطل وصوله . كما كانوا يقولون فى الوقائع المصرية وفى العدد ٤١٠ أول يونيو ١٨٧١ «

وتنشر الأقلام الصحفية التى يثيرها المويلحى فى البرلمان .. وتثير الحرب الروسية التركية جولات هامة فى مصر .. وتتناقلها الصحف المصرية بالنشر والتعليق .. ويثير التدخل - الانجليزى التعليق .. ويثير التدخل الانجليزى الفرنسى فى ادارة مصر ووضع أيديهما على صندوق .. الانسان المصرى الذى بدأ يقف على عتبة الحضارة .. ووسط هذه الاثارات .. تكثر الأفكار ثم تتحدد لتكون رأى العام .

ويأخذ الصراع البرلمانى شكلا عنيفا بين رياض باشا والنواب ، رئيس الوزراء يصف النواب بأنهم همج ويتصل بأصحاب الصحف ويحذرهم من الكتابة فى مصلحة النواب !! ويتحدها ، ويكتب المويلحى عدة مقالات فى صحيفة التجارة تحت عنوان خواطر .. كتب بتاريخ ٢٤ يونيو ١٨٧٩ يقول :

ورد فى قرار تشكيل الوزارة إن الوزراء مسئولون ، ولكن ما هى هذه المسئولية ومن هو السائل

وما هي القوانين المهنية لوظائف الوزراء المظهرة لعلاقتهم المعنية لتكاليفهم المهدد لواجباتهم المعرفة لحقوقهم وعند أى حد تقف سلطاتهم وفي أى الأحوال يكونون مذنبين فإنه حيث لا تكون هذه القوانين فلا وجود للواجبات ولا للحقوق وبالإضافة لا وجود للمستولية فلا بد والحالة هذه أن يكون مجلس الشيوخ والنواب هو السائل وأن تضع حكومتنا قانونا بهذه المسائل؟؟..

لغة جديدة في صحافتنا تعبر عن وطنية الانسان المصري .. وأسلوب أستفهامي يصل به كاتبه الى ما يريد أن يقول .. ويتحدى كل السلطات !!

جلسة تاريخية لا قبل لنا بها ؟

وفي ٢٧ مارس ١٨٧٩ ينعقد مجلس شورى النواب برئاسة أحمد رشيد ويدخل عطوفتلو رياض باشا الداخلية يحمل الامر بفض الدورة ويشكر الاعضاء .. وتحدث هذه الدراما التاريخية :

المويلحي : لا أرى معنى لشكرات الحكومة فأنا لم نقم الى الان بعمل يكون له هذا الشكر .. !
ولو شبه فائدة قد عادت أو ستمود على البلاد فما هي المآثر التي ستركها وأراءنا لشكرنا عليها الحكومة فيما لو فرضنا المستحيل وأنفض المجلس ؟

وتستمر المناقشة ساخنة :

رياض : يعنى حضرتكم تقلدون نواب فرنسا اللذين ثاروا على حكومتهم ؟
يعنى حضرتكم الآن بعمائمكم وجهلكم مثل نواب أوروبا وأمريكا ؟
أحمد العويس : ياباشا أنت الآن شمتنا .. ما هذا الكلام .. يعنى عطوفتك شمت نواب أمتك التي تعطيك أنت وغيرك مرتباتكم الشهرية :

عبد الشهيد بطرس : أنا أعتبر هذه العبارة أهانة من ناظر الداخلية للمجلس وأطلب أثباتها في المحضر وأقول لعطوفتك وأن كلامك هذا وقاحة وأن المجلس لا يقبل الوقاحة من ناظر الداخلية بل يردها عليه .

المويلحي : أصمعت ياباشا ؟ أرايت عاقبة تسرع عطوفتك في الكلام وعدم ضبطك لعواطفك ؟ أعلم أن المسألة ليست مسألة زى وثياب بل المسألة مسألة نواب هم عقول تفهم جيدا رغائب الأمة التي أنابتهم عنها ، وأعلم ياباشا أن أهل وطنك ليسوا بأقل شعورا بمحالمهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات مثل الأمم الأخرى التي هي في الواقع أقل منا كثيرا في المكانة المالية والعمرانية .. ثم ثق أن كنت تعتقد أن مصر لم تتمخض ولم تلد سوى عطوفتك منذ عهد رمسيس الى الان .. أنك غلطان والى غلطان ياباشا .. الم يكن من العيب الكبير وأنت وزير وزارة يزاملك فيها . وزير إنجليزى وآخر فرنساوى وهما في الحقيقة خفيان عليكم وعلى الحكومة ثم تجتمع أمس مساء أمام هذين الوزيرين الأجبيين مع أصحاب الجرائد وهم ميخائيل عبد السيد وتقلا وأديب آسحق وسليم النقاش وغيرهم ويقول لهم : أن الحكومة عزمت على فض مجلس شورى النواب غدا ، فالخدر كل الخدر من أن تنشروا كلمة واحدة على هؤلاء النواب في جرائدكم لانهم ناس جهلاء .

حسن عبد الرازق : أن مقالة عبد السلام المويلحي هو أعراب عن أفكارنا ومطابق مطابقة تامه .
وقال جميع الاعضاء .. موافقون .. موافقون
رياض : اذن أنا منسحب .. ويخرج رياض وهو يردد أنتم عصاه ثوار .. ويقول المويلحي لسكرتير المجلس لا تحذف حرفا واحدا مما قيل في كتابة المحضر ، حتى اذا ما نقلته الجرائد اليوم ، علمت الأمة والناس جميعا من هم المهج .. النظار .. أم النواب .
... وتسقط الوزارة بسبب استمرار انعقاد المجلس ليلا نهارا بالتناوب .

جريدة أم صحيفة ولماذا ؟

وتنتشر الصحف الأهلية .. والاقلام تتضارب وتتصارح وتصبح الصحافة ركنا هاما في حياة مصر .. فالمطبعة دخلت الشرق الاوسط بالترتيب تركيا ولبنان وسوريا ومصر وأول من أستعمل كلمة صحيفة هو الكونت رشيد الدحداح وهو لبناني الجنسية وأصدر جريدة « برجيس باريس .. أنيس الحبيس » ووصفها بتعبير « صحيفة »

أما لفظ جريدة فكانت تطلق في مصر على قائمة تسجيل الحساب وضبط الأقوال وكانت الجريدة العسكرية تهتم بهذه الشؤون في أول أمرها .. ثم أستعملها أحمد فارس الشدياق في تسمية « الجواب » ، أما كلمة مسجلة فصاحبها هو الشيخ إبراهيم اليازجي .. وكانوا أحيانا يسمونها الكازية .. وأستعملوا كلمة الياومييات ولكنها لم تدم .

وتعمل الصحافة على تطور اللغة العربية ... تصبح أكثر سهولة فالتداول بها أصبح كثيرا ... ويصل الى كل الأوساط والثقافات .. وكان هذا هو أهم ما قامت به الصحافة في الدهاليز « حتى وصلت إلى بلاط .. وأصبحت صاحبة جلالة !!

ويفرح أسماعيل باشا بالصحف التي تهاجم أنجلترا وفرنسا والدول العثمانية ، ويعجب بشخصية أبو نظارة وفرقة المسرحية التي مثلت على المسرح الخديوي ثلاث روايات هي آنسه على الموضة ، غندور مصر ، الضرتان « وبعد أن يشاهد مسرحياته يهتفه ويقول له « أنت موليرنا وسيخلد أسمك » ... ومن يومها ويعقوب صنوع هو مولير زمانه !!

الوقائع المصرية مشغولة بالكتابة عن نشاط الخديوي :

وبالرغم من ان الوقائع المصرية كانت تنشر كل أخبار الخديوي بما يرضيه ويحاول تدعيمها بكل الطرق الا أنه كان حريصا على إستيراد الصحفيين من سوريا ومن لبنان ...

وأعقد عليهم بالمال (١) وأنعم عليهم بالرتب ، ويقول الدكتور نجيب أبو الليل : أنه لولا صحيفة ليجيت لانطون موريس التي أخذت تهاجم الخديو من باريس لتأخر أسماعيل في التفكير في إصدار الصحف الاهلية !

أراد لاجد رشيد بك ناظر المالية « حيث أنه قد رتب ستون ألف قرش في كل سنة لصاحب الجورنال المستقل البلجيكي وجاء تأديتها كل سنة بمعرفة المسيو زيزينا فيناء عليه يجب أن تبادروا بصرف وتسليم الستين ألف قرش المخصصة لسنة ١٨٦٣ الميلادية لطرف المسيو الموماً اليه من خزانة المالية وخصصها وفرقها لطرف الديوان على وجه الأصول (تقويم النيل - أمين سامي) .

أما عن الإنعامات النقدية التي كان يقدمها للصحفيين فنقلها في عام ١٢٨١ هـ كالآتي :

جنيه	
٢٠٠	لاجد فارس الشديان صاحب « الجوائب » « التي تصدر في أستانبول
٢٠٠	لجورجل أفندي صاحب « الحوادث » التي تصدر في أستانبول بالتركية
٣٠٠	لصاحب جريدة « فورييه دوريانا » وهي فرنسية تصدر في أستانبول

دعم أسماعيل باشا الوقائع المصرية ، وعمل ترتيب قلم الوقائع كالآتي :

٣٠٠	لمدير قلم الوقائع : راسخ أفندي من أرباب الرتبة الثالثة
٢٥٠	للمترجم الاول : رمى أفندي من أرباب المرتبة الرابعة
١٠٠	للمترجم الثاني : حسن أفندي
١٥٠	للمحرر العربي الاول : الشيخ أحمد عبد الرحيم أفندي
٥٠	للمحرر الثاني
٥٠	للكاتب العربي : على عطري أفندي
٣٥٠	للبعين : حافظ مصطفى أفندي
٢٥٠	للموزع
٢٥٠	لاثنين من السعاة لكل واحد منهما ١٢٥ قرشا .

٩٨٥٠ قرشا

للوقائع المصرية .. أهمية كبرى

وفي ٣ رجب سنة ١٢٨٢ لإرادة لناظر المالية فيقول فيها : أن من منافع الجرائد سواء كانت لصالح الاهالي أم لصالح الحكومة من الامور المهمة المسلمة وحيث أنه وضع الوقائع المصرية في صف الجرائد المعتمدة من أهم رغبتنا وقد صدر أمرنا لصاحب السعادة شريف باشا ناظر الخارجية والداخلية ولصاحب السعادة خيرى بك المكتوجى بهذا الخصوص وعرض علينا الجدول المرتب من طرفهما بتخصيص مرتبات قدرها تسعة الاف وثمانمائة وخمسون قرشا كما هو محرز أعلاه فبناء عليه دافعنا على العمل بموجبه وقد اقتضت أرادتى قيد قلم الوقائع

(١) أمر صادر يوم ٢٩ من ذى القعدة سنة ١٢٧٩ هـ :

مستقلا وعلى حدة وقيد الشيخ أحمد عبد الرحيم أفندى المحرر العربى الاول بمرتب قدره الف وخمسة قرش - فى المالية مع أبقاء معاشه المقيد فى الرزنامة بصورة استثنائية أبقاء كيفية المحاسبة الجارية بخصوص مصاريف طبع الجريدة وتدارك الاوراق والادوات المكتبية اللازمة تعلم الوقائع فى ديوان المدارس كما كانت قبلا ولذلك أصدرنا أمرنا هذا وأرسلنا اليكم .

« تقوم النيل عن ترجمة ص ٣٩ نقد ٥٥٧ قسم أول »

وراء التكنولوجيا !!

ويطلب الخديوى ما كينة طبوغرافيا لطبع الرسومات والاشكال ويطلب تدريب مصريين عليها الى جانب الخبير الفرنسى الذى سيشرف عليها ، ويعين المسيو غلبليت والمسيو سيلي الخاليين من العمل لعضوية قلم الجورنال للنظر فى الامور المتعلقة بالجرائد والمطبوعات ويقيد محمد حلمى أفندى ناظر القلم التركى بالخارجية ناظرا لهذا القلم .

أخذ يدعم الوقائع ... وقلم جديد ينشأ للصحافة .. ولكن كيف كانت تنشر الوقائع أخبار الخديو وأخبار مصر وما هو الاسلوب الذى سارت عليه ؟

الوثاق تقول :

« قد انقسم الآن جميع العمود والأعيان فى الجهات القبلية والبحرية الاذن بالتوجه الى الاسكندرية من طرف سعادتنا والباشا مفتش عموم الأقاليم للقيام بأداء الواجب لاستقبال الجناب الخديوى الأكرم والتشرف بملاقاة حضرته والفوز بمشاهدة طلعه التى طال التشوق لأنوارها البهية والتشوق لرياض بحرها الخيرية والابتهاج بحصول أمالها ودوام اقبالها واشراق شمس سعادتها على الأقطار وتأيد عنايتها على مدى الزمان ويعلم من المشهود المنظور من دواعى السرور والاجتهاد فى التدراكات الحسنة والاستحضارات العظيمة والاستعدادات التى ما عليها من فريد من طرف وجميع الخدم والعيود والأهالى والتبعة الذين من مصر والاسكندرية وسائر المدن والقرى المصرية انه ما سيعيد من الشلكنات ومراسم المسرات التى تشرق أنوارها بأفق التهاى ويتهلل ببشائرها وجه الأمانى قدوم حضرة الخديوى الأفخم وتشريفه المقرون بالخير والنعم أقصى ما يراود وأبهى ما تجملت به العباد والبلاد مما لم يسبق له مثال بحال من الأحوال فمن الله على الجميع باقباله بجاه بنيه البشر وآله » .

● ● العدد ١٣٤ السادس الصادر فى ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ :

وتستمر الوقائع فى نشر كل أنواع الأخبار فنشر الأخبار العسكرية والأخبار الشعبية فتكتب عندما طلب مجلس شورى النواب من الأهالى التعاون فى انشاء مكاتب أهلية (مدارس) فى جميع الأقاليم ، وتنشر أسماء المتبرعين وتقول : فشكرا منا لمن أعان تربية أبناء الأوطان وساعد فى المراد على وقف السداد فانه الحرى بأن نهنيه نيابة عن الوطن يمينه ونسطر

الواقع في صحف الوقائع في صحف ذاكرين الآن من سارع الى المعروف لنشر العلوم على طبق ما ورد الينا من تفتيش العموم وهذه صورته الواردة وهى بالجميل شاهدة ، وتنشر الأسماء يوما بعد يوم ومن بين الأسماء الفقى كمشيش وسالم ماضى عمدة ميت أبو الكوم ومحمد جاهين عمدة طبلوها والعزب المصرى عمدة زفتى والعزب موسى عمدة نهطاي وحضرة هلال بك بكوم النور وجرجس سليمان عمدة كفر عبد الملاك منصور .

ومن الأخبار المحلية التى أهتمت بها الوقائع المصرية هذا المثال الذى جاء فى العدد ١٦٤ . ورد الينا كتابة من حضرة فخر السادة ومعدن السيادة الأمير المعلوم صاحب المنطوق والمفهوم رئيس امتحان مدرسة المبتديان فى هذه السنة عزتلو رفاعة بك ناظر قلم الترجمة وأحد أعضاء قومسيون المدارس مضمونها : « أنه ابتدء » فى امتحان هذه المدرسة فى يوم السبت عاشر هذا الشهر بحضور كثيرين من أفاضل العلماء الأزهرين كالأجدين الأمثلين الشهيدين العلامة الشيخ اسماعيل الحلبي مفتى الأوقاف سابقا والفهامة الشيخ محمد الامباي وغيرهم من حضرات الذوات المعترين والأفندية المنتخبين وامتحن أمامهم من كل فرقة واحد فيما حصلوه من العلوم العربية والتركية والحسابية والقواعد الخطية فنطقوا بالصواب وأحسنوا الجواب وأسروا الحاضرين أجمعين حتى استكثروا ما جاءوا به حين اختبارهم بالنسبة لأعمارهم وأنه بعد تمام الامتحان ترسل نتيجة البيان وأرسل خطبتين تليتا فى ابتدائه احدهما لنفسه والأخرى لرئيس مدرسى العربية بتلك المدرسة السنية العلامة الأجد والفهامة الأوجد الصفى حضرة الشيخ أحمد المرصفى .

الوقائع تنشر محاولة اغتيال الخديوى :

وبعد ثلاثة أسابيع وبعد الدعاء بدوام حياة
الجناب العالى تنشر الوقائع المصرية فى
عددتها رقم ٢٨٦ الصادر ١٢ ابريل ١٨٦٩
محاولة اغتيال الخديوى وتقول :

« منذ أيام وقعت واقعة غريبة وحادثة مستبشرة عجيبة لا تصدر من ذى رؤية ولا صاحب انسانية ولا يتجارى عليها الا لئيم ولا يتجاسر عليها الا ذو خلق ذميم أثر منفعته الخصوصية على المنفعة الشاملة العمومية وما يدرى أن يقع فى سوء مكروه ويدمى قريبا بسهم غدره كما علم من السنة الأولى الالهية فى سائر البديهة ولنذكر لك هذه الحادثة حكاية لورودها وسوء مقصدها لأن الحر لا يطبق ذكرها فضلا عن ذكر من يعلم أنه أجراها .

وهو أنه وجدت تحت الكرسي المعد لجلوس الحضرة الفخيمة الخديوية عند التياترو المصرى آلة يقال لها « ماشين انفرنال » ممتلئة بارودا وأجزاء خارجة فعلم من قرائن الأحوال أنه ليس ذلك الا سوء قصد عن خائن ذى حقد يريد منفعة نفسه باضرار الناس وقد خيب الله قصده وكشف بلطفه سره وحده وسلم تلك الحضرة السنية من المقاصد الخبيثة الدنية وشكل قومسيون مخصوص مؤلف من مأمورى الحكومة وحضرات قناصل فرنسا والانجليز وأوستريا وإيطاليا للبحث بحضور حضرة مأمور الضبطية بالتدقيق عن فاعل تلك الفعلية الشيعة وداس دسيسه هاتيك الآلة القطيعة وحجز « مناس » ناظر ذلك التياترو ومن سىء به الظن من خدمته وهما هو جار السؤال لهم واستكشاف الحال وبتمام التحقيق تفاد نتيجته بالبيان على طبق الأمر الواقع الذى كان تم بظهور هذا الخبر بادر الى سرية الجيزة كل من حضرات العلماء والأعلام والمأمورين الفخام وقناصل الدول المتحابية وكثيرين من أمراء الأهالى والأجبيين لتهنئة الجناب الخديوى بالسلامة الجديدة ونجاة ذاته السنية بالاطلاق من تلك المكيدة .

وتأخذ الوقائع المصرية فى نشر أخبار الخديوى وتنقلاته وسكناته .. النشاط كله وتصف محاولة اغتياله بأسلوبها المصرى الذى أخذ طابع المدح والتفخيم وأكثر من ذلك تبدأ فى نشر أخبار التعيينات الجديدة ، فمثلا تكتب عن تعيين على باشا مبارك فى ديوان الأشغال وتكتب حركة تنقلات المحافظون وتشر الانعامات الخديوية . وتشر الوقائع تفاصيل احتفالات افتتاح قناة السويس وتسير فى كتابة هذا الوصف مستعملة التوقيت الزمنى للوصف منتصف فى شروق اليوم .. وتبدأ الفقرات .. فى منتصف الساعة الحادية عشرة .. وفى الساعة الثالثة .. وهكذا الى أن تنتهى من وصف وصول الملكة أوجينى وزيارتها معالم مصر حيث زارت الأقصر وأسوان والشلال وشجرة مريم بالمطرية والمساجد الشريفة العتيقة وتصفها أيضا وهى تركب وحضرة الخديوى العربية الملهمة البهية المحرورة بأربعة من الخيول .

تنشر الوقائع كل الأحداث ويتغير أسلوب الكتابة فى الحياة المصرية أصبح أسلوبها يمزج بين العربية والعامية وتدخل اللغات الأوربية فى بعض الأحيان .. فالصحيفة وراء كل الأحداث حتى عند تركيب كوبرى قصر النيل تجدها تبرز الخبر وتقول « اجتمع لتركيب الكوبرى المعدنى^(١) الموصل من قصر النيل إلى الجزيرة المتعهد به قومبانية (فيليفل) كل من

(١) الوقائع المصرية الصادرة فى ١٨ مايو ١٨٧١

حضرة سعادة ناظر الأشغال العمومية وبعض حضرات رجال المهندسين والذوات المعتمدين والمدعوين من مسيو (جانجى) مأمور أشغال ذلك الكوبرى البالغ طوله ٥٠٠ قدم كان موضوعا على سطح تراب بطول سور قصر النيل مرتفع قليلا عن الأرض بعجلات صغيرة معدنية فحركة جماعية قليلون بآلة ادوارها يقال لها « الونش » فأخذ فى السير الهوينا على عجالاته بلا مشقة ولا تعب متجها جهة المكان اللازم لتركيبه عليه من النيل فعلم من عملياته أنه بواسطة إدارة تلك الآلة وبعض الحبال والرجال المهرة يستغنى فى تركيبه فى محلة مع أن المهندسين منذ عشر سنين كانوا يضطرون الى عمل أنواع منه وقتية من الخشب ليتركبو عليها الكوبرى المقصود قطعة بعد قطعة مع أن تركيب تلك الأنواع وتحليلها فيما بعد يستلزم مصاريف تعدل مقدارا عظيما من قسم ذلك الكوبرى ومهندس ذلك العمل قد استعمل الطرق الهندسية اللازمة فى أحكام الكوبرى ومتانته بحيث لا يؤثر فيه العوارض وقد تم من الأكتاف الثمانية اللازمة له كتفان والثالث أسست أساساته والخمسة الباقية متلبس بعملها وقد بقى على ميعاد زيادة النيل ثلاثة أشهر وهى كافية فى انتهاء أشغالة اللازمة فى المياه والذى يراه ذلك المهندس بمقتضى سرعة العمل الحاصلة فيه أنه يتحقق تمام تركيب أجزائه فى آخر فصل الصيف ويكر عليه العالم .

هذا هو أسلوب الصحفية الرسمية وهى تتعرض للأحداث والأخبار وهكذا وصفت أخبار التعمير .. أخذت تصف فى كوبرى قصر النيل فذكرت أطواله ولا تخفى اعجابها بذلك الونش العجيب الذى يوفر فى الوقت وفى الطاقة الانسانية وتعلن انه فى نهاية الصيف سيمر عليه كل الناس . وهذا يؤكد لنا أن الصحيفة الرسمية التى صنعت لتخدم أغراض الحديوى بدأت تهتم بالأخبار المحلية وأخبار التنقلات بين المصريين وأخبار التعمير بدأت أيضا تنزل الى الناس ، تنشر أخبار الانعامات والترتب والاستقبالات وفى نفس الوقت تهتم بالاقتصاد المصرى وتعلن لنا فى عام ١٨٦٢ أن القطن قد بلغ محصوله ٧٢١ و ٥٢ قنطارا ومتوسط ثمن القنطار ٤٦٠ قرشا ويبلغ الإيراد فى القطر المصرى كله ٣,٧٠٧,٠٠٠ جنيه وتنشر أيضا الاعلانات فتنتشر مثلا بنود الاتفاق بين مصر والشركة التى ستقوم بتشغيل السفن التجارية بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر تحت عنوان « نظامات القومية المصرية » وتنشر تفاصيل مشروع شارل لوبون لاضاءة القاهرة بالغاز ، تنشر تحت تفاصيل مشروع ودستور تام « نص ترجمة وثيقة عقد الشروط

المنعقدة في ١٥ فبراير ١٨٦٥ . أكثر من ذلك ، يواجه الانسان المصرى
موجه من غلاء الأسعار فتنشر الوقائع المصرية أنه صدر أمر سمرت فيه
كافة اللحوم والبقول والفواكه والمياه .

وتكتب الوقائع المصرية أيضا عن أبطال ومنع بيع الرقيق منعاً كلياً .

كانت الوقائع المصرية .. هى الجانب الرسمى للدولة الحديثة ولكنها لم تستطع أن تنفصل
عن الانسان المصرى .. وفى الجانب الآخر كانت صورة الانسان المصرى قد أخذت تنمو
وتظهر فى الصحف الشعبية وتبدأ أولى الكتابات فى حب الوطن بدلا من الكتابة فى التباهى
والمديح .. بدأت أيضا الكتابة فى حق الحاكم والمحكوم .. وبغير أسلوب الكتابة أصبحت
أكثر موضوعية ومهدت لبداية الحركة الفكرية فى مصر .

استفادت الصحف الشعبية من وجود المطابع فى مصر .. واستفادت أيضا من إخراج
الوقائع المصرية وشكلها الصحفى وأخذت تقلدها وتنشر بعض الأخبار الحكومية .. وكانت
فى بعض الأحيان تنقل عن الكتب الفرعية ، وعند نشوب الحرب التركية الروسية تجد ضالتها
وتنشر ما يهم الناس من تفاصيل ووقائع هذا الحرب ، وعندما أصدر محمد أنس ابن عبد
الله أبو السعود جريدته « روضة الأخبار » يأخذ الاذن بنقل أخبار الوقائع المصرية فى
صحيفته وكان صدر الخديوى يضييق من هذه الصحافة الناشئة .. ولكنها كانت بالنسبة له
سلاح ذو حدين يريد بها .. ويكرهها .. وظهر ضيق صدره واضحا حينما يغلق نزهة الأفكار
لأبراهيم المويلحى وعثمان جلال عند صدور العدد الثانى بحجة أنها تنشر آراء تدعو للتمرد .

وحاول اسماعيل أن يجلب الصحفيين من الشام من سوريا ومن لبنان ومن الآستانه أيضا
وسمح بإنشاء صحيفة فرنسية عام ١٨٦٧ تصدر فى بورسعيد باسم « جورنال دى كانال »
لتدافع عن مشروع ديليسبس وتنشر أخبار القناة .. وتقف ضد الهجمات التى تشنها عليها
الصحف البريطانية على قناة السويس والخديوى ، ويسمح بإنشاء جريدة الأهرام والتصريح
بأنه أولاً بإنشاء مطبعة فى المنشية فى الاسكندرية .. والجريدة يشترط عليها أن تشتمل على
التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية وبعض مقامات الحريرى وبعض ما يتعلق بالصرف
والنحو اللغة وما يماثل ذلك من الأشياء اللازمة بعدم التعرض للدخول مطلقا فى المواد
البوليتيكية وامثلة لقانون المطبوعات ويشترط أيضا اسماعيل على الصحفيين القادمين من
الشام أن يقدموا نسختين من صحيفتهم الى قلم المطبوعات بالخارجية ، ولكننا نرى الأهرام
تنتهز الفرصة وتنبه السلطة الى المعانى التى وراء هذه الأحاديث فتوجه انذارا الى الأهرام

بالكف عن هذه الكتابات ، ونجد أيضا أديب اسحق في جريدته « مصر » يهتم أيضا بالحديث عن الحرب الروسية التركية . ولا نستطيع أن ننكر الدور الذى لعبه جمال الدين الأفغانى الذى جاء الى مصر ويتصادف أن تقوم هذه الحرب بين الروس والترك أثناء وجوده فى مصر وكان له فيها رأى كأى موضوع يهتم المفكرين .. وكان يناقش هذه الموضوعات فى قهوة « متايا » فى العتبة الخضراء .. فى وسط القاهرة .

وتنمو الصحف المعارضة .. فنجد « صحيفة التجارة » تهاجم فكرة تعيين الأجانب فى وظائف الحكومة .. وأخذت الصحف أيضا تهاجم نوبار حتى يستقيل حتى الصحفيين الذين جاءوا من الخارج يدافعون عن الخديوى انقلبوا أيضا ضده .. وهذا هو « سر مصر الخالدة وسحرها » .. ومن هؤلاء الصحفيون القادمون .

● ● أحمد فارس الشدياق (١٨٠١ - ١٨٨٧) :

ولد فى بعشوت ببلنات ومات فى الآستانه .. تعلم فى المدارس المارونية .. جاء الى مصر وعمل فى الوقائع المصرية واشترك فى تحويلها الى العربية وفيها اعتنق الاسلام .. ثم سافر الى مالطة هربا من مصر وأقام فيها ١٤ عاما يدرس ويتولى تصحيح ما يطبع وألف كتاب « الواسطة فى معرفة أحوال مالطة » وينشأ جريدة « الجوائب » وهو يريد من اسمها أن يعرف القارىء أنها تجوب الدنيا وتعرف كل شىء وألف كتابه الذى اشتهر به « الساق على الساق فيما هو الفاريق » و « سر الليالى فى القلب ولا يزال » .. « والجاسوس على القاموس » وفيه نقد القاموس المحيط و « كشف الخبايا عن فنون أوروبا » .

واهتم الشدياق باللغة العربية واهتم بتصحيح البروفات فى المطابع وبالطباعة أيضا وأهتم أيضا بالتأليف وكانت الصحافة بالنسبة له « نوع من الرزق » السهل .. صحيفته للدفاع عن الملوك وفى داخلها يقول أنها من أجل تجديد شباب الأمة الاسلامية فى إطار السيادة العثمانية وأفكاره « مسك العصاه من النصف »

ويهتم الشدياق بالطباعة فنجده يقول .. وفى الحقيقة فان جميع ما اخترع من الصنائع فى هذا العام هو دون صناعة الطبع . نعم أن الأقدمين بنو أهراما ونسبوا أعلاما وشادوا هياكل وحصنوا معازل وحفروا خلجا وأقنية للماء ومهدوا مسالك للعساكر الا أن صنائعهم تلك بالنسبة الى صناعة الطبع لم يبق احتمال لاضاعة المعارف التى ذاعت وشاعت أو لفقر الكتب كما كانت الحال حين كانت تكتب بالقلم وقد قيل أن المعرفة قدره ، فإن المثقفين بالمعارف وهم الأقل الذين يتولون الأمور ويؤسسون الجهود وهم الأكثر .

ويهتم أيضا الى جانب الطباعة بالصحافة ، فيذكر لنا أنه بلغ عدد الجورنالات في إنجلترا ٢٢٠ جورنالا وفي اسكتلنده ١١٠ وفي أيرلنده ١٠٢ وأول جريدة ظهرت في اكسفورد عام ١٦٦٥ ، وفي فينسيا عام ١٦٢٠ ظهرت كازته وسميت على اسم العملة التي تباع بها . وأول جريدة في فرنسا عام ١٦٣١ وفي ألمانيا عام ١٧١٥ وفي أمريكا عام ١٧١٩ وفي هولندا ١٧٣٢ وفي أيرلنده ١٧٦٧ .. وأن عدد الجرائد والمجلات في لندن أكثر من ١٦٠ وفي باريس ١٧٠ وفي أمريكا ٨٠٠ وأن الصحافة في إنجلترا أكثر حرية من فرنسا .

ويهتم الشدياق بالحرب بين جرمانيا وفرنسا عام ١٨٧٠ ، ويهتم بالأحداث الخارجية فنجدة يكتب تحت عنوان :

في فشل أهل الشورى ونسبة بعضهم الامبراطور الى الخيانة وطلب تغيير الوزراء « قد أوردنا في إحدى الجوانب ترجمة ما جرى في مجلس النواب بباريس عن المحاورة والمذاكرة على وجوب الحرب وعدم وجوبها .. والآن وجدنا في بعض الجورنالات نبذة تتعلق بهذه الذاكرة وهي جديرة بالترجمة لغرايتها فانها تدل على أن أهل المجلس يومئذ كانوا مفكرين في معاداة بعضهم أكثر من تفكرهم في معاداة بروسية وقد جرى بينهم في ذلك اليوم وهو اليوم التاسع من أغسطس عن التنافر والتشاجر مالا يجرى في مواقع القهوة ، فمن ذلك أن رئيس المجلس لما أراد أن يقرأ أمر الامبراطور بالاجتماع وأوله نابليون بنعمة الله .. لم يكدهم هذه الفقرة حتى ابتدره بعضهم وقالوا يكفي .. لا نريد أن نسمع أكثر من هذا فقال أن لجبكم لا يمنعني من اجراء الواجب على ... »

وعن أخبار الحرب التي أهتم بها يكتب مقالا في الجوائب العدد ٤٨٧ تحت هذا العنوان :

في « زلات الامبراطور نابليون وتهافته على الحرب لمجرد اعتماده على سعد طالعه وفي أبطال معركة غشونى وخدعونى » .

وفي العدد رقم ٤٩٨ الصادر في فبراير ١٨٧١ وتحت عنوان :
« في تناقض أخبار التلغراف وفي انه يجب على الدول ان تعاقب على الكذب وغير ذلك »
يكتب يقول : قد سئمنا .. والله .. من تناقض حوادث التلغراف حتى وددنا لو نجد الجوائب منها ونملأها بقصة عنتر أو بحكايات ألف ليلة وليلة ثم نفكر ونقول أن هذا التخليط والتناقض إنما يأتي من بلاد يخلط الخير فيها بكذا وكذا صنفا ولا يكاد الانسان يجد

فيها شيئا خالصا لوجه الله تعالى فلا غرو أن تكون أخبارهم مثل مأكولاتهم ومشروبهم وملبوسهم ثم نقول انه كان يجب على أصحاب السياسة هناك أن يغرموا روتر وشركاه على هذا التضليل وهذه الأكاذيب لا بل يجب على كل دولة أن تضع عقوبة على الكذب كما تضع على السرقة بل الكذب آضر وادهى ولا سيما أيام الحرب ... »

« ومهما كان رأينا في الشدياق .. فانه نقل الصحافة العربية لتهم بأحداث العالم .. استفاد من وكالات الأنباء وانتشارها بالرغم من صراحة فيهم لنقلها أخبار عسكرية كاذبة ، ولفت الشدياق نظرنا الى صحافة خارجية أخرى .. أفادت الانسان المصري والصحفي العربي في تطوير صحافته ، على الأقل وجد مادة تلغرافية تنشر في الصحف اذا ما وجدت الصحف نفسها في مأزق لا تستطيع أن تنشر الأحداث الداخلية !!

يعقوب بن صنوع :

وهو صحفي يهودى مولود فى مصر .. احبه الخديوى اسماعيل وقربه اليه وتعرف على كل رجالات مصر الحاكمة وتقرّب منهم ونشر الشعر فى مديحهم .. ولكنهم انقلبوا عليه .. ويتقرّب اليهم مرة فمرة عن طريق المحافل الماسونية التى دخلت مصر فى ذلك العصر .. أكثر من ذلك ذهب بن صنوع الى القنصلية الايطالية وينال حمايتها كما كان يفعل الصحفيون فى ذلك الوقت وخرج ليصدر العدد الأول من مجلة أبو نظارة زرقاء وكتب تحت العنوان جريدة مسليات ومضحكات ، وكان بن صنوع هو أول من صنع صحافة الكاريكاتير بالكلمة والرسم فى مصر فكانت أهم شخصياته هى شيخ الحارة « الخديوى » « والحدق » هو شخصيا وأبو اشتري المناق وأبو العنين « شاهد العيان » « وأبو الغلب » « المصرى » . واستعمل أبو نظارة اللغة العامية فى تحرير صحيفته ليقراها كل الناس .. ولأنها لغة طيبة خفيفة الدم ، ولم يقتصر على اللغة العامية فقط بل استعمل بعض اللهجات التركية والشامية والانجليزية والفرنسية والتي كانت تصنع الحوار اليومى فى القاهرة . ولم ترق الصحيفة للحكام وتقرر اغلاقها فيصدر عدة صحف تحمل اسماء مختلفة كلها أسماء هزلية .

ولكن كل ذلك لم يعتقه من النفى ، كانت صحف أبو نظارة دائما تحمل اسم مصر « أبو نظارة » مصر للمصريين « ويصدر صحيفة بعنوان « الوطن المصرى » فى ٢٩ سبتمبر ١٨٨٣ .

العفو من رب العالمين ، وزالت كراهته من قلبي ونسيت الآسية لان الله يرحمه كما قال اسماعيل مدة ما كان الجندي في عز ميدانه ، اذا تجاسر حليم ودخل وادى النيل ورأس افندينا أجيب لك رأسه وآدى سبب كراهه أبناء مصرنا فيه ، إنما احنا قلبنا حليم قلنا عذاب نابولى ستين يكفى يغفر خطاياهم ويفتح له باب النعيم يا أهل شاهين قتل شيخ الحارة اتنيلوا والطموا على الخدين سبع بيتكم مات في بلاد النصارة ولا كان جنبه شيخ تقى يقرأ له كلمتين ، آه عند طلوع روحك يا شاهين ما كان خلاك الا اسماعيل الشيطان فما خلاك تستشهد كالمؤمنين »

عاش أبو نظارة في عهد اسماعيل وفي عهد توفيق أيضا وبرزت فيه الطريقة المصرية في الكتابة التي اكتسبها من الشارع المصرى ومن الحارة المصرية أيضا ولماذا لا يستفيد من صديقه وأستاذه الشيخ جمال الدين الافغانى بعد أن استفاد من رفاة الطهطاوى الذى أنشأ روضة المدارس وقال فيها « مصر جدية بالحلب لخصبها وخيرها وهى معبد العلم والحكمة من قديم الدهر وحديثة » ... ولماذا لا يستفيد من عملاق التغيير المصرى فى العصر الحديث وهو الى جانبته يتحدثون ويفكرون فى أمور مصر وما وصلت اليه فهى عنده كما يقول « مصر أحب بلاد الله الى نفسى » استفاد أبو نظارة من كل الظروف التى جعلت منه الصحفى المصرى الساخر « وجعلته يتقدم فى أول هذا الصف »

عرف اسماعيل قدر الدعاية ، وأنشأ مكتب للصحافة فى باريس اهتم بالدعاية فى الأستانة وأخذ ينفق المصروفات لفارسه الشدياق وفى بيروت استثمر صحيفتى الجنان وصحيفة الأخبار لحسابه وتمكن من شراء صحيفة لييجيت بالاتفاق مع صاحبها انطوان موريس فى مقابل اعانة قدرها ١٣٠٠ جنيه مصرى .

ونراه يعسف بصدى « الأهرام » فى أبريل حينما كتب مقالا بعنوان « ظلم الفلاح » فقد كانت كوارث استئانة اسماعيل هى التى اثارت السخط العام فى مصر .. وكانت الوسيلة السهلة للدول الأجنبية لخلعة ، وكانت الأمثال الشعبية على ألسنة الناس فى مصر تقول « ماحدش بييجى من الغرب يسر القلب » وتقول أيضا طلع من المولد بلا حمص .. وقالت الناس أيضا « أصبر على جار السوء يارحل ياتيجى له داهية » ..



(٣) الصحافة .. قدمت للشورة

أصبحت المعارضة تأخذ شكلا رسميا بعد « جمعية حلوان » وأخذت تقف وراء هذه الشخصيات خاصة وأن شريف باشا بنفسه كان يؤيدها !!

وتنمو البرجوازية المصرية .. برجوازية من الأرض الزراعية وخيراتها .. ومن وظائف الحكومة ومربياتها وشيوخ الأزهر ورجاله وكتابه يخرجون الى الصحف !! كل هؤلاء - تزعموا القضية الوطنية في صورة الرفض للواقع والبحث عن مصير جديد .. ولأن البرجوازية بطيئة الانفعال فقد تلاقيت مع الشعب المصري بطيء الانفعال أيضا وهو لا يرضى عن الظلم ولكنه صبور يقول « الى يجوز أمى أقوله ياعمى » ولكن في نفسه ثورة صبورة لا تظهر الا في حينها وعندما يفيض به الكيل .. أنفه المرتفعه تأبى عليه أن يؤثر في كل لحظة .. وكبرياءه يمه بصبر عجيب كأنه « اليبات الشتوى !! تضحياته انتحارية ومواقفه كلها عندما يهب « دروس في الكرامة .. لكل الشعوب .. !! »

انتشرت المعارضة الرسمية وأخذ المسئولون وأولى الأمر في البحث عن مخرج من أزمة المعارضة قبضوا على جمال الدين الافغانى الذى أخذ ينشر أفكاره ونفوه .. ونسوا أنه ترك تلاميذ كثيرين ، يكفى أن يكون تلاميذه هم عبد الله النديم والشيخ محمد عبده وسعد زغلول وابراهيم اللقانى وسليم نقاش وأديب أسحق صحفيو عصرهم وفي يدهم القلم وصحفهم تنشر وتكتب كل شئ .. فقد علمهم الافغانى المناقشة في كل شئ حتى الأمور الدينية والافغانى نذر ما كتب دائما كان علمه بالتلقين خطابة ، ومناقشة ، حوار وكانت عاداته اذا جلس للحديث او وقف للخطابة أن يحك أسفل ذقة بعرض كفة على طول السبابة وكان اذا ما تناول الطعام ييسط النفس من الأحاديث الفكاهية المضحكة .. بنفس روح الفكاهة المصرية .

وتلتهب مقالات الصحف .. بقيام صحوة عرابى .. وتقدم الصحافة للثورة العرابية وأصبحت الصحافة قصة جهاد ذو رسالة وعبادة وفن . وكان من أهم شخصيات هذه الفترة هو :

عبد الله النديم :

كان النديم خطيباً وزجلاً قال عنه الافغانى ما رأيت مثل النديم طوال حياتى فى توقد الذهن وصفاء القرينة وشدة المعارضة موضوع الدليل ووضع الالفاظ محكما بازاء المعانى أن خطب أو كتب وكان للنديم ثلاث صحف هى :

- ١ - التنكيث والتبكيث : لاذعة .. جدية فى اسلوبها وتبويبها (٦ يونيو ١٨٨١) .
- ٢ - الطائف : جديدة تدعو للثورة العرابية .
- ٣ - الأستاذ : للاصلاح الاجتماعى .

وفى رحلة عمر النديم التى بدأت بولادته فى الاسكندرية عام ١٨٤٥ بعد أن حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة وعمل عاملاً للتلفراف فى القصر العالى مقر الاميرة جوشييار والدة الخديوى إسماعيل ، بخبرنا أنه حينما اصدر التنكيث والتبكيث يملأها بالفكاهات والازجال والمحاورات ويبتكر الشخصيات المصرية الفكاهية المعلم حنفى ولطفة والشيخ مرعى ويكتب مقالات « صبح النهار طلع » والفلاح والقطار والتاجر الحمار .. تجديد فى الصحافة ومحاولة لسبر أغوار المجتمع الجديد ونجدة فى الطائف يدعو للثورة ويصبح صحفى عرابى ، ونجدة فى « الأستاذ » ينادى بالاصلاح الاجتماعى ويدعو الى « انشاء الشركات المساهمة والمصانع المصرية . ويهاجم الاقبال على المصنوعات المستوردة .. ويهاجم الخمر والقمار » ولم يعجبه حال الجامع الأزهر فى هذه الأيام فهو يرى بعينه أحد تلاميذ الأزهر وقد تفوق على الأزهر نفسه فقد كان الشيخ محمد عبده والنديم يقرأون المستقبل معا . ويدعو الى إنشاء « مجمع اللغة العربية فى محاولة عصرية لتجديد اللغة أكثر من ذلك كان النديم أول من صك شعار « مصر للمصريين » .. !!

كان المجتمع أيام النديم يمتلىء بالمجالس الأدبية ولكن فى البيوت ، كان هناك المجلس الذى يعقد فى سراى حسن بك حسنى البارودى بياب الخلق وكان المفكرون والأدباء يستمعون الى أبنه محمود سامى ، وكذلك ندوة محمد باشا سيد أحمد فى شبرا .. وتنقل المجالس الأدبية الى الدكاكين ونسمع عن دكان الشيخ أحمد وهبى فى الغورية حيث يبيع الطرايش ويجلس

الشعراء يتبارون ويتسائلون وهناك تخرج النكتة لتلف بأرجاء مصر ، وكان هناك قهوة البوسطة في العتبة وفيها التقى النديم بأستاذة الافغانى ويسمعه يتحدث عن « الأستاذ » فليتقيا فكريا بعد أن عانى النديم من بطش خليل أغا .

أمتلأ النديم حماسا أخذ يعبر عنه بالكلمة المسموعة وبالكلمة المكتوبة فعندما يصدر التنكيث صحيفة إسبوعية أدبية هزلية يطبعها في مطبعة جريدة المحروسة في العدد الأول يقول : « هي صحيفة أدبية تتلو عليك حكما وآدابا ومواعظ وفوائد ومضحكات بعبارة سهلة وتصدر الحوادث والوقائع في صور تتراح اليها النفس ويميل اليها القلب . هجومها تنكيث ومدحها تبكيث ولا تنكر عليها ما تحدثك به من مثل طبقة على أحوالنا ولا تظن أن مضحكاتها هزرا بنا ولا سخرية باعمالنا فما هي الا نفثات وزفرات يصعدها مقابلة حاضرا بماضيها .. »

لم يكن النديم يؤيد طبقة الأعيان الناشئة ولم يكن يحتمل الاستعمار ولم يكن يؤيد الخديوى وكانت مصر وشعبها هي شغله الشاغل كتب في التنكيث والتبكيث يقول :

أهل البنوكا والأطيان .. صاروا على الأعيان أعيان
وابن البلد ماشى عريان .. ممعا ولا حق الدخان

وبدأت الجريدة تشترك في تحريك الناس من الجمود الذى سيطر عليها خلال تاريخها الحزين .. قالت مامعناه أن الخديوى مهما كان لن يشعر بشعور المصريين وأن الثورة هي الطريق الوحيد الذى سوف يعيد صقل ذكاء هذا الشعب وكان الجيش هو السبيل لتحقيق هذا الأمل .. الجيش يعود بعد هزيمة في الحبشة وبدأت بوادر الفتنة .. الضباط يلغون اللوم على العساكر .. وهم بدروهم يتحدثون عن سوء القيادة وقلة الأسلحة .. فصل نحو ٢٥٠٠ ضابط مصرى عام ١٨٧٩ وتخرج مظاهرة تبدأ مسارها من المدرسة الحربية في ١٨ فبراير وتقف عند نظارة المالية يطالبون سقوط وزارة نوبار ويتناقل الناس أخبار المظاهرة بالاشاعات .. وتنتهز الصحافة الوطنية الفرصة .. وتكتب !!

حدث بعد حرب ١٩٤٨

وتظهر شخصية عراقى ويدخل في حزب شريف الذى أطلق عليه الحزب الوطنى ويأخذ النديم منشورا لعراقى ويجوب به القطر مهيجا رأى العام ويجمع العرائض لتأييد عراقى .. وأطلقوا على هذا المنشور اسم « المحضر الوطنى » .

وفي يوم ١٨٨١/٩/٩ ، يوم زحف عرابى الى عابدين كان النديم هو المدنى الذى رافق هذا الركب العسكرى وكان يكتب مقالات بعناوين مثل حقوق الحاكم وحقوق الشعب . ونرى النديم يرد على جريدة التايمز التى كتبت مقالات فى سبتمبر ١٨٨١ يقول : « فهناك دول كبرى تريد الفتك بمن ضعفت قوته وتعددت كلمته ولزمه الخذلان والعاقل من يقف على بواطن الدول ومقاصدها السياسية فلا يغتر فيقول جريدة ليس لها .. تدخل فى مصر بعد علمه أنها تصدر على لسان أمة لها مائتا عام تحاول حل عروة نظامنا لتحتل بلادنا .. »

وكان يوم ٦ أكتوبر يوما تاريخيا فى حياة القاهرة فقد رفعت فيه الزينات وخرجت القاهرة تودع بطل التحرير عرابى وهو يخرج بالالايه ليعسكر فى رأس الوادى وتجمع الناس فى ميدان المحطة ودخل عرابى مبناها .. يده فى يد النديم وبعد أن خطب عرابى طالبت الناس بخطيب الثورة فقال : أرونى أمة بلغت مناها بغير العلم أو حر الأمانى

قضت علينا الشعوذة بوجودنا فى زمن الخسف ومدة الاستبعاد فرأينا المشنوق من أهلنا والمصلوب والمذبوح والحريق والموضوع على الخازوق والمشرذ والمغرب والمنفى والمسجون والمنهوب والمسلوب ولا ذنب لنا فى هذا كله إلا عدم المحافظة على البلاد .. كانت هذه هى الخطبة التى القيت فى ميدان المحطة ثم خرجت التنكيت والتبكيت فى عددها التالى لسفر رجال الجيش وتحت عنوان « زفاف الحرية فى مصر » وتصف موكب عرابى .

ويتلبد الجو السياسى .. الخديوى فى ناحية .. والقوى الاجنبية تستقر ، رياض الديكتاتور شريف ظاهرة وطنى وباطنه متمر ، قائد مصرى للجيش له نفوذ فى موكب المصريين .. صحافة تعشق الحرية .. النديم يندد بالذين يحررون التذاكر السرية لابعاد زيد ونفى عمرو « والاشاعات فى كل مكان عن المدرعات الانجليزية والفرنسية التى وصلت الاسكندرية ونقرأ النديم فى التنكيت والتبكيت العدد الصادر فى ١٦/١٠/٨١ يقول : « إني لن أغفل هذا السعى ولن أبخل بكلمات اسطرها وخطابات أسيرها فى البلاد . حتى نبعث فى الالوف منا روح الادراك السياسى »

وفي حوار بين عرابى والنديم يطلب الزعيم أن يغير اسم الجريدة الى « لسان الأمة » ولكن لاسم لم يعجب النديم فهو صاحب العناوين ومطلق الأفكار ومبتكر الكلمات فيختار لها اسم الطائف ولعله اختار هذا الاسم لانه ينطبق عليه وهو الطائف وراء عرابى في كل مكان ينزل فيه وكانت الطائف في حجم الصحف اليومية وليست في حجم الكتاب وتكونت من أربع صفحات ، وبدأت الطائف تنافس الأهرام ذات العشرة صفحات في توزيعها .. وتهاجم الطائف التصاريح التى تعطى للجانات والمراقص والصلوات وهاجمت التسعة آلاف جنيه التى أعطيت إعانه الى دار الأوبرا .

وعندما تحدث أزمة مجلس النواب الذى يجتمع فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ ، ويطلب المراقبان الأوربيان عدم التعرض للميزانية .. تطير وزارة شريف وتأتى وزارة البارودى ويأتى عرابى وزيرا للحرية .. كانت الصحافة تقول الكثير وكانت الطائف هى أولى الصحف التى تقول هذا الكثير ، يتحدث النديم عن الحرية كحق لكل فرد ويتحدث عن الحياة الدستورية وحق الانتخاب والترشيح .. وكانت أذهان الناس قد بدأت تتجاوب مع هذه الأفكار .. ووصلت الى قاع المجتمع المصرى .. الذى بدأ يتحدث عن مستقبل بلاده .. تنتشر الطائف وتطلب الادارات الحكومية الاشتراك فيها وتنشر الوقائع المصرية بعض خطب الزعيم ومقالاته .. وعندما تحدث أزمة توفيق والوزارة تعطل الطائف بعد ١٣ مايو ١٨٨٢ وتستقيل الوزارة فى ٢٦ من نفس الشهر وتظل مصر بدون وزارة ٢١ يوما وتعود الطائف للظهور فى ٢١ يونيو .. وفى هذه الأثناء قامت أزمة بين الصحف الوطنية وصحف الشوام فقد أتهمت احدى الصحف الوطنية بعض الصحفيين الشوام بأنهم أعداء الأمة/ويدرك النديم خطر الفتنة فكتب مقالا بعنوان « المصريون والشاميون » ينادى فيه بوحدة الصف العربى ويثنى على دور الصحافة الشامية فى مصر » .

وعند دخول الانجليز الى الاسكندرية يقف وراء عرابى ويعمل مراسلا حربيا ويحارب الدعايات التى تنشرها صحف الاسكندرية ويصدر ملحقا خاصا من « الطائف » عنوانه « سليم وبشارة تقلا وتوفيق » يهاجم الصحافة المتقلبة ويهاجم صحيفة الاعتدال للشيخ حمزة فتح الله ويتهمها بأنها طبعت بمطابع « الايجيشيان جازيت » ويصدر مرة أخرى ملحقا بعنوان « فعل الخديوى » ومن أهم مقالات النديم :

- رياض الوسائل وحياض الوسائل .
- السنة والدنة فى أولاد مصر الزنة .
- الشجرة الغشاشة فى أولاد مصر الحشاشة .

- شدة البلاء في اكثاف أهل بولاق .
- حاريتى ياطيطة في الطربوش والبرنيطة .

وكان نشاط النديم لا يقف عند حد ، نجده يتصل بجمعية مصر الفتاة التى نشأت على غرار تركيا الفتاة تدعو للإصلاح العام ، ونجده يكتب في المحرسة وفي العهد الجديد صحف سليم نقاش بمقالات عنواناتها مثيرة مثل « الاستقامة - حليفة الناس الأدب - صاحب الحق ممقوت - قولك الحق يهيم ويدل !

وينشئ الجمعية الخيرية الإسلامية .. وتفتح مدارسها في الاسكندرية في ٨ يونيو ١٨٧٩ وبعدها تتكون الجمعية الخيرية القبطية وتقوم بنفس الغرض .. حركة تعليمية مصرية صميمية لمواجهة مدارس الإرساليات الالورية .

وقبل أن ينتهى القرن التاسع عشر يشاهد العالم « باستير » استاذ في الطب والتحاليل وداروين يتحدث عن نظرية أصل الانسان وفارادى يتقدم في العلوم الطبيعية ويتحدث عن الفيزياء وأهميتها ومالتوس يتحدث عن الاقتصاد وجون ستيوارت ينشر نظريات الفلسفة ، وظهر أميل زولا وبلزاك وموباسان وتورجينيي وتولستوى وتشارلز ديكنز ..

هكذا انتشرت الحضارة في العالم .. التيار الواقعى يغلب على التيار الرومانسى وتستفيد مصر من هذا التطور ويظهر ذلك أول ما يظهر في الصحف المصرية وبدأ الكتاب يتكلمون بالواقع . يقول المستشرق مارتين هارتمن استاذ اللغة العربية في مدرسة برلين والذي أصدر كتابه بعنوان « الصحافة العربية في مصر » ان ارتقاء الصحافة العربية في مصر سببه إطلاق سراح المطبوعات فمنذ ولاية توفيق باشا سنة ١٨٧٩ حتى الاحتلال عام ١٨٨٢ فان أشهر الجرائد اليومية السياسية في مصر هى المؤيد والمقطع والأهرام وقال عن المؤيد إنها جريدة اسلامية منتشرة في العالم الاسلامى من غرى مراكش الى شرق الهند كما كانت الجوائب مثله . وقد بلغت الجرائد في مصر ١٦٨ جريدة ومجلة .

تتصل مصر بالحضارة الغربية .. وتشاهد الحياة الاقتصادية تأسيس البنك العقارى المصرى في عام ١٨٨٠ وهى شركة عقارية لرهن العقارات المصرية تخفيفا عن الفلاح المصرى وكان رأس مال ٣,٠٨٦,٠٠٠ جنيها وبلغت أرباحه حتى عام ١٨٨٨ الى ١٨٩٦ نحو ١٠٣,١٩٤ سنداته ب ٣٪ وعلى الرهائن ٧٪ ، وجاء الغرض من إنشاء البنك .. وأفلس الفلاحين !!

وتلتقى مصر في نفس العام بالحضارة الفرعونية ويكشف العالم رولية مع المصرى صبحى أفندى يوسف على مقبرة تحتمس الثالث .

كانت الحياة في مصر دوامة كبيرة أفكار متضاربة .. مستعمر على الأبواب يبحث عن خيط يدخل به مصر .. خديوى ضعيف والطبقة الجديدة تنمو ويدخل إليها رجال الجيش والصحافة تنمو وتقوى وتبدأ السلطة تقاوم. وتعطل جريدة الوطن لميخائيل عبد السيد وجريدة التجارة تعطل لمدة خمسة عشر يوما وتنشر القرار في عددها الصادر ١٨٧٨/٦/١ تحت عنوان :

« اخطار رسمى من إدارة المطبوعات »

مع سبق إخطار ارباب الجرائد بتعديل مسلكهم بالنسبة للمكان والزمان مازال مشاهدا عدم الالتفات لذلك وحيث أن ما سطر في كل من جريدة وطنى والتجارة مخالف فقد إستوجب الحكم بتعطيل الجريدتين المذكورتين مدة خمسة عشر يوما .

وتعلق الجريدة قائلة : .. فأمثالا لهذا الاخطار الرسمى وجب علينا تعطيل جريدتنا مدة خمسة عشر يوما وكنا نود لو صرح في هذا الاخطار ببعض العبارات التى لم تحظ بالقبول أو خرجت عن الأصول وذلك لاصلاح الخلل وعدم الوقوع ثانية في الزلل لا أن تعمد الى تعطيلها بدون سبب فاننا لم نعلم سبب سوى ذكرى عن لزوم تنقيص فائدة الديون أما اذا كان التعطيل بسبب ذكر حقوق أعضاء مجلس النواب فهذا ليس بشيء بالنسبة لما هو مذكور ... »

ويبدأ التضييق على الصحف ، تغلق صحيفة مصر الفتاة ، صحف أديب اسحق لاستمرارها في الحملة على الأجانب ، وكان الشيخ محمد عبده قد حول « الوقائع المصرية الى جريدة رأى وتنشر الاخبار الرسمية وتبتكر باب جديد اسمه « فنون متنوعة » وكان الشيخ محمد عبده الى جانب رئاسة التحرير في ٢ أكتوبر ١٨٨٠ قد طلب ليعمل رئيسا لقلم المطبوعات وأخذ يكتب مقالات هادفة بعناوين مثل : حكومتنا والجمعيات الخيرية - حب النفس وسفه الفلاح - الثورى .

ويتعرض الشيخ محمد عبده للنقد دبروا له مكيدة وتنشر جريدة « الحمارة » صورة مزورة للشيخ محمد عبده مع سيدة اجنبية ويرد عليهم اللقائى قائلا :

مكيدة لفقوها بصورة مستعارة

ودبروها وكانوا
ولطعوا بعد هذا
بقية الاستشارة
بالطين وجه الحمار

وتمر الأيام وينفى الشيخ محمد عبدة ويسافر الى باريس ويقابل الافغانى فى عام ١٨٨٤ ،
ويألف معه جمعية العروة الوثقى التى تنبثق منها جريدة بنفس الاسم وكانت جريدة اسبوعية
تصدر بالعربية وتحرر فى حجرة ضيقة على أسطح أحد المنازل وترسل سرا الى الاقطار
الشرقية .. وحينما نجىء الى مصر يأمر نوبار باشا بفرض غرامة مالية على كل من يقرأها وقد
صدر عن هذه الجريدة نحو ١٨ عددا فقط وكانت تهاجم توفيق فتكتب تحت عنوان :
« خائن الوطن .. عميل الأعداء »

« لسنا نعنئ بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ويسلمها للعدو بثمان بخس وكل ثمن تباع به
البلاد فهو بخس بل خائن الوطن من يكون سببا فى خطوة يخطوها العدو فى أرض الوطن بل
من يدع مقدما لعدو تستقر على تراب الوطن وهو قادر على زلزلتها هو الخائن فى أى لباس
ظهر وعلى أى وجه تقلب .. »

للصحف .. الهاربة !!

بدأت سياسة تعطيل الصحف وهرب بعض الصحفيين الى باريس .. وكانت
الصحف تفضح بالكلمة الملتبهة عن الفساد الموجود .. وكانت الحركة العرابية تنتقل .. وبدأ
الهمس والصراخ بالفساد الذى حل بالبلاد .. ووقفت الصحافة شوكة فى حلق الوزارات
فاضطرت الحكومة الى إصدار قانون المطبوعات فى عام ١٨٨١ فى تسع مواد صارمة منها :
المادة الاولى : لا يسوغ لأحد أن يكون صاحب مطبعة الا بعد أن تغطى له رخصة من
نظارة الداخلية وبعد أن يودع عشرة آلاف قرش بصفة تأمين وللحكومة
فى كل حال أن تنزع منه هذه الرخصة عند الاقتضاء .

المادة الثانية : المطابع السرية تقفل وتضبط ادواتها ويجازى مالكيها أو المودعة عنده
بغرامة من خمسة آلاف قرش الى خمسين ألف قرش .

المادة الثالثة : لا يجوز لأحد من أرباب المطابع أن يطبع صحف قبل أن يقدم لادارة
المطبوعات بنظارة الداخلية كتابة معلنة بغرضه من طبعها وكذلك لا
يجوز له بأى طريقة كانت بيع أو نشر تلك الصحف بعد طبعها إلا
بعد أن يقدم خمس نسخ منها للادارة المذكورة ...

وبالرغم من صرامة قانون المطبوعات وهجرة الصحفيين ، تنتشر في مصر مرة أخرى الصحف والمجلات ويأتى الى مصر شاهين مكاريوس وفارس غر وصراف ليصدر المقتطف ، وتنتشر طائفة متعهدى الصحف في القاهرة والاسكندرية وتظهر صحف جديدة وأقلام أخرى ولم يكن لأصحاب الجرائد ومحريها إدارات ومكاتب بل نجد بعض الصحفيين في المقاهى والبارات وكان معظمهم يجلسون في مقاهى ميدان باب الخلق والعتبة الخضراء وعمارة المتاتيا وميدان الخازندار وفي هذه الأماكن كانوا يكتبون ويحاسبون وكلائهم ومحصليهم ويساومون الذين يريدون النقد فى غيرهم فقد كان أكبر راتب للمحرر أو المترجم يتراوح بين خمسة وثمانية جنيهات وكان أغلبهم من الشوام .

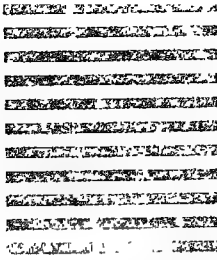
لاقت الصحافة الاضطهاد والتعطيل ويظهر منشورا كتبه الساخظون على الوضع وطبع منه عشرون ألف نسخة وزعت على الناس ولم تعرف الحكومة على من الذى كتبه ولا الذى طبعة والا الذى وزعة !

وبعد ذلك حدثت حركة الضباط .. وثار الناس من ضخامة حجم الضريبة ! ويوزع رياض - منشورا الى جميع موظفى الحكومة ينبههم الى منشور النظارة الذى يقضى بأنه لا يجوز مطلقا مخابة أية جريدة تطبع في مصر أو في الخارج عربية أو غير عربية ولا يسوغ لهم قط ابداء افكارهم في الجرائد ولا القيام بمكاتبتها أو التوكيل عنها .. وتمر الأيام وتسقط وزارة رياض .. وكان من أشهر المطابع في هذه الفترة المطبعة الأهلية ومطبعة الشيخ شرف .

كان الصراع السياسى قد خمد قليلا في المكاتب بعد الثورة العراقية وأصبحت الدعوة الى الاصلاح الاجتماعى هو شعار الوطنية .. ولم تسكت الصحف وجدت سبيلها في هذا الاصلاح وأخذت تعبر عنه .. وكانت جريدة الاهرام وتوقفت دخول الانجليز من يوليو ١٨٨٢ وعادت الى الظهور في ٢٩ سبتمبر ١٨٨٢ لتصف عراقى بالعاصى ورفاقة البغاة وفي ٥ أكتوبر تنشر أول صورة في الاهرام على عمودين ومقال عن العاصى عراقى ! وفي ١٩ أغسطس ١٨٨٤ صدر الأمر العالى بتعطيل الأهرام وكان الأمر يقول :

« نظرا لأن جريدة الاهرام نشرت جملة مواد سياسية من شأنها خدش سلطة واعتبار الحكومة الخديوية ونظرا لان العدد الصادر من هذه الجريدة في ١١ أغسطس ١٨٨٤ نشر فيه عن مراسله في لندرة من هذا القبيل أشد طعنا مما سبق نشرة ونظرا وحالة الافكار يعد مخلا للنظام العمومى ، تغلق الاهرام شهرا من تاريخ إعلان صاحبها » .

وتروى الاهرام قصة اغلاقها قائلة. أنه « بعد إصدار هذا القرار يلوح أنه ترائى لدولتو نوبار باشا أحد امرين أما أنه ظن يكون صاحب الاهرام لا يقبل الأمر لانه ظالم من جهه



(٤) حرية صحافة في عز الاحتلال .. ولكن !!

تغيرت الحياة بعد الثورة العرابية واحتلال مصر واستكان الخديوى توفيق ولجأت البرجوازية المصرية الى الخضوع من أجل لقمة العيش .. وكانت الحياة بطيئة .. الصوت الوحيد العالى هو صوت الكاتب والصحفى ولكن فى ماذا يكتب وهو مشغول .. بالأدوات الطباعة الحديثة التى بدأت تنتشر ويواجه غلاء الطباعة وتكاليفها من حبر وورق .

ويرى المستعمر ان اطلاق حرية الصحافة بشكل نسبي سوف يشغل بال الناس وتشغل الصحفيين أيضا . سوف يشغلهم ببعض الامور غير السياسية وفرصة للتفيس بالكلمة وساعدوا على انشاء الصحف الكبيرة والصغيرة ، ونسمع كل أسبوع مجلة أو جريدة جديدة ينشأها سورى أو لبنانى قادم الى القاهرة وأصبحت الصحافة مهنة من لا مهنة له .. وأصبحت ميدانا لإبتزاز الاموال من العمد والاعيان وتصدر صحيفة « حمارة منيتى » صحيفة ساخرة لحمد توفيق وتبلغ من الشهرة التى توزع ١٠ آلاف نسخة . ولا يقف المستعمر موقف المتفرج يشترك أيضا فى المعركة الصحفية وتصبح له صحف تعبر عن رأيه « ووجدوا فى أصحاب المقتطف أرضا خصبة لهم ويتصل بهم السيد افلين يانج « اللورد كورمر » ويصدروا المقطم فى أوائل ١٨٨٩ ، ويستأجر لها صروف ومكاربوس دكانا صغيرا فى شارع أولاد عنان سموه دار المقتطف وتأخذ طريقها مدافعة عن الانجليز ، ويحاول الانجليز أبعاد الصحف عن السياسة ، يلاحظ مصطفى رياض باشا أن الصحفى ميخائيل افندى عبد السيد صاحب الوطن لم يعد يكفى للوقوف فى وجه أصحاب المقطم لانشغاله بالتدريس ويصدر الشيخ على يوسف المؤيد فيصلر بعد المقطم بستة أشهر ويشترك فى تحريرة الشيخ أحمد ماضى وفى سنة ١٨٨٩ تصبح المؤيد منبرا للاقلام الوطنية يكتب فيها مصطفى كامل وفيها نسمع الشاعر أحمد شوقى يعلن رأيه صراحة فى المقطم ويقول :

زعم المقطم أنه ينشئ وينشر فلسفة
صدر المقطم ياله من فليسوف في السفه

ويستمر المؤيد في رحلته الى أن نقرأ في الأهرام في ٢٥ أكتوبر ١٩١٢ ويوم وفاة الشيخ على يوسف رؤية في هذه الجريدة فيقول : « سار المؤيد بين عثره من قلم المطبوعات وعسر مالى ولكن عين المغفور له رياض باشا ظلت ترمقه وتقيه العثرات الى أن أشد ساعدة وكثر إمثال الامة عليه بعد نشرة تلغراف عن الحملة السودانية بقيادة اللورد كيتشنر » .

حاول المستعمر أن يبعد الصحف عن السياسة ، الموضوعات السياسية المسموحة بنشرها هو رأى الانجليز وحده ، وبالرغم من ذلك أصبحت البلاد مسرحا لجرائد كثيرة وزاد عدد القراء وأصبح يناهز المائة ألف في عهد عباس حلمى الثانى وكانت حرية الصحافة في هذه الفترة هى تصارع القوى الحاكمة وقد شهدت هذه الفترة بعض الظواهر الصحفية الهامة .

● ظهر كتاب رجوع الشيخ مطبوعا في المطبعة الاميرية .. وذهل الناس وتساءلوا ويستدعى مصطفى فهمى رئيس النظارة مدير المطبعة الاميرية ويقرر احالة موظف المطبعة المسئول الى المحاكمة ، وقال رئيس المطبعة انه رجل اجنبى لا يفهم من العربية حرف واحد وأن جميع المطبوعات العربية منوط بوكيل المطبعة حسن بك أمر الاشراف عليها وقرر أن الشيخ عبد المطلب رئيس قلم المخطوط فأفتى بجواز طبعة بحجة أن الاسلام يبيح لكل من الزوجين أن يحيط ببعض هذه الأمور علما وان كان رئيس المصححين من رجال الأزهر فقد صدق على ما طالع وأمر باجازة طبع الكتاب » .

● مجلة الأزهر : يشتريها مهندس انجليزى يدعى مستر ديكلكوكس في فبراير ١٨٩٣ ويشاركه فيها الشيخ أحمد الأزهرى ويكتب مدافعا عن اللغة العامية .

● الاستاذ والمقطم : كانت الاستاذ تطبع نحو ١٠٠٠ نسخة وأصبحت تنافس المقطم الذى كان يوزع على رجال الحكومة والموظفين ويشن المقطم وأصحابه حملة على النديم تحت عنوان « طريقة الوصول الى تكوين الرأى العام » ويطالبه بالحياة الديمقراطية وتكوين مثلما يحدث في بلاد المحتل النديم ويهاجم الصحف المتلونة ويقول :

أعجب عجائب مصر أن كل وارد عليها وكل مسترزق فيها من الغرباء يطمع في كرم المصريين وطيبة نفوسهم .. لقد إلترمن جرائد الاجراء

تحويل الإنظار بما تنبه لغير المصريين من أعمال وما تدعية عن الاصلاح
وفى الناس من إدراك القرن الماضى ورأى فيه من الأعمال وعرف ما قام
به من الرجال .

وتخرج مظاهرة بقيادة مصطفى كامل الى دار المقطم وتقذفة بالطوب ، ويضيق
صدر أصحابه وكرومر من ورائه وينفى بعد ذلك النديم وتغلق الأستاذ ..

أصبحت الصحف تهاجم بعضها ونجح المستعمر بأسلوبه فرق تسد ، المقطم يهاجم
الأهرام وتظهر جريدة النيل وفى العدد الأول الصادر فى ١٧ ديسمبر ١٨٩١ تقول : انه نيل
مصرى لا يشارك الجرائد المشيعة للانجليز بغير الحق فى ترجيح كل أعمالهم وتحسينها فى أعين
المواطنين كما لا يقاسم الصحف المتطرفة ضدهم بلا تبصر ولا ترو فى اهتضام مساعيهم
وتقبيح أعمالهم جميعا » ويتقدم سعد زغلول ليحصل على رخصة باصدار جريدة
العدالة « لينافس بها المقطم ولكنه يعدل عنها ويفضل العدالة فى المحكمة ويصبح
قاضيا !



كان عباس حلمى الثانى ينزل الى الناس يتعرف على الأعيان ويغدق الالقاب والرتب
ويزور المساجد ويصلى الجمعة فيها ويزور المدارس ويتعرف على الطلبة . ومنهم مصطفى كامل
ويتعرف على كل صحفى عصره ولكن هل يتركوه .. لقد جعلوه يعتذر عن تصريح له وأين
فى الوقائع المصرية ، فعندما وقعت حادثة الحدود الشهيرة فى ديسمبر ١٨٩٤ حينما استعرض
الجيش المصرى وألقى اللوم على نظامه بعدها وضع كتشتر سردار الجيش استقالته ..
وحدثت أزمة بين الانجليز والحدويى أضطر بعدها الحدويى أن يعتذر فى الوقائع المصرية
وتكتب الصحيفة فى ٢٦ يناير ١٨٩٥ ..

« رضاء الحدويى عن حالة الجيش واعترافه بفضل الضباط
الانجليز وما أدوه من خدمات الى جيشه »

وتتشغل الصحف بحرب الكلمة فيها بينها ويكتب المقطم عن الصحف فيقول :
« .. فان الجرائد فى أوروبا من أهم الادوات للكشف عن الطيب
والخبيث ولكننا هنا فى الشرق لا نزال فى بداية الطريق والبصير يرى أن
مايصدق على أوروبا لا - يصدق على مصر اذ لا أحزاب فيها ولا

تنافس بين حكومتها ورعيتهما ، لذا فالنقد والمعارضة لا فائدة منها وإنما
يؤول الى القاء النفرة والوحشة بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة مما
يقضى على الفتنة والثورة وما مقدمة الحزب والبرار .
(دعوة الى الاستسلام فى المقطم ١٨ نوفمبر ١٨٩١) .

وتتهم المؤيد بمحاربة القمار وتطبع خطاب يمكن للقارىء أن ينزعه ويملاً البيانات ويرسله
إلى الجريدة أو نظارة الداخلية مطالباً باغلاق دور القمار التى بلغت ٧٤٧٥ داراً للعب .
(اتهامات اجتماعية صاحبت الفساد الموجود .)

● وتتهم الصحف بالحديث بالامور القانونية مثل سقوط الحق فى الكمبيالة وتتهم
بالاختراعات الحديثة ويتحدثون عن التلغراف المصور فى امريكا وعن جريدة تنشر بالتليفون
فى بوا ديبست أسمها تليفون هرمندو » .

● وتصدر رواية الفرسان الثلاثة لاسكندر دوماس الكبير بعد أن نقلها الى العربية
نجيب الحداد فتنفذ الطبعة الأولى مترى نجيب صاحب مطبعة ومكتبة المعارف يهتم باعادة
طبعها فى أربعة أجزاء ٨٠٠ صفحة تحت عناوين « رجع ما انقطع » و « عود على بدء » !

● ويطلع كتاب قاسم أمين « تحرير المرأة » وذلك عندما بدأ محمد على كامل يجمع
رسائل قاسم أمين وينشرها فى كتاب وذلك فى مطبعة بجوار محل سوسان الساعاتى
وأسمها « مطبعة الترقى » وبعد انتشار الكتاب يوسع المطبعة وتنقل الى مكان محلات عمر
أفندى فى شارع عبد العزيز وتصبح أكبر مطبعة خاصة فى ذلك الوقت . ويتعرض الكتاب
لهجوم عنيف ولكن صاحب « الهلال » يدافع عنها ويقول :

« لقد هجعت جرائدنا فى هذه الأثناء بذكر هذا الكتاب الجليل لمؤلفة الفاضل عزلتو قاسم بك
أمين المستشار بمحكمة الاستئناف مصر وكثر تحدث الناس به ولا غرو فان اسمه يدل على
موضوعه ذو شأن لا يعرف قدره الا الذين يعرفون قدر المرأة وينزلونها من الهيئة الاجتماعية وهم
كثيرون ولكن الذين يجاهرون به قليلون لاعتبارات دينية قد بين حضرة المؤلف خفيتها وأثبت
بالبرهان الدينى والاجتماعى أن الاسلام من أقوى العوامل المساعدة على تحرير المرأة وتعليمها
وتثقيفها وليس حضرة المؤلف أول كاتب جاهر بهذه الآراء العصرية فقد كان المرحوم أحمد فارس
الشدياق يوالى البحث فى ذلك بجريدة الجوائب بوله فيها الفصول الصافية بالحجاب ونحوه مما
يدل على أن الأذهان متباعدة لقبول هذا الاصلاح فى المرأة . وتشكر حضرة المهام محمد أفندى
على كامل صاحب مكتبة الترقى ومطبعها لنشره مثل هذه الآثار النفيسة والكتاب بعشرة قروش »

● تصدر صحف ومجلات كثيرة ، نهضة طباعية يغلب عليها الطابع الأول وتنشأ

جمعية من نخبة المشتغلين بالمطابع وتجتمع في منزل المعلم حسن شداد ، لتعمل :

- تصدر الموسوعات لـ أحمد حافظ عوض ، والصادق والمرصاد .
- وينتشر طبع التوراه وتنشر احصائية بيعها فتصل الى ٣٠٠,٠٠٠ . نسخة .
- تصدر الامل جريدة سياسية أدبية تجارية تجارة للفاضل نجيب أفندي غرغور بالاسكندرية وتصدر « مثالا » منها توزعه مجاناً . « والمثال » ٨ صفحات كبيرة من الورق اللامع الجيد في صدرها رسم الجناح الخديوي وفاتحة بين فياً المؤلف غرض الأمل وموضوعها وشروط الاشتراك ثم صورة كتشنر وشذرات أدبية وصورة دولتو البرنس فؤاد باشا ومقال عن الصحف ومكاتبها .
- تصدر عروس النيل مرتين في الشهر لصاحبها سليم أفندي وينشر فيها رواية البعث لتولستوى .
- الفتى : اسكندر شهلوب .
- الفتاة : هند نوفل كريمة الوجهة نسيم أفندي نوفل .
- المنظوم : أحمد نجيب
- الراوى : بطرس حنا .
- المهندس : أحمد كامل .
- الهدى : أحمد لطفى .
- الثمرة : انطونيوس منصور .
- المدرسة : مصطفى كامل .
- الشرائع : أحمد لطفى وسماعيل حكيم .
- النديم : أحمد عبد اللطيف .
- رياض التوفيق : جمعية التوفيق بأسيوط .

ويكثر وكلاء الصحف وترس « مجلة الهلال » (مندوبا متجولا وتقول : لقد وجهنا الأدب النشط خليل أفندي الشدياق وكيل متجولا للهلال في مديرتى الشرقية والدقهلية بدلا من حضرة محمد أفندي مصطفى وكيلنا السابق .

وتتم الصحف وتكتب الهلال سنة ١٨٩٩ :

« لا شيء يدل على ارتقاء الأذواق في الأمة مثل رواج بضاعة أدب فيه ومن أدلة ذلك إلتزام ارباب الصحف على تحسين صحتهم حجما وموضوعات ومن هذا القليل ما أدخله زميلنا الفاضل صاحب المؤيد صحيفته الشهيرة فانه ضاعف عدد صفحاتها حتى أصبحت أكبر جريدة يومية على سطح الكرة مع بقاء بدل الاشتراك على حاله وهو دليل على الرواج لا ريب فيه .

وتتصل الصحف بالحركة الأدبية في العالم كله ويأتى نجيب الحداد وهو أحد محررى لسان العرب ووالدته كريمة الشيخ نصيف اليازجى وأمين حداد شقيقة وعبد بدران ويتولى تحرير «أنيس الجليس» وتهم الصحف كما اهتمت « الهلال » بالحركة الصحفية في العالم وتنشر عدة مقالات . في الهلال سبتمبر ١٨٩٥ تقول : حملتنا حيال الجرائد المصرية في هذه

الأيام من التطرف والتهور على التكلم في الجرائد وإدارتها والشئ بالشئ يذكر وقد رأينا لزيادة الفائدة أن تقسم كلامنا الى أربعة اقسام :

- ١ - تاريخ الجرائد في اوربا منذ انشائها .
- ٢ - تاريخ الجرائد العربية .
- ٣ - آداب الجرائد وواجباتها .
- ٤ - الجرائد المصرية وعبرها .

وتقول الهلال : نراها بعجبة بما نالت من تلك الجرائد اقتداء بجرائد الافرنج وتمتعا بما اوليته من إطلاق العنان منها ولكننا بلغت في ذلك الى حد حدد لنا الاستعباد وقد فاتها ان الحرية بين أسنة اقلماها كالسيف بيد الطفل يطوف به على رقاب الناس ولا يحتاج في تأييد ذلك الى كبير مشقة وهذه الجرائد المصرية قد اتخذت تلك الحرية ذريعة للسباب والشتم ونهش الاعراض والطعون في الأمم والممالك والتعريض بالمذاهب والأديان مما يترك محلا للريب في أن الحرية جارتها هبة في غير محلها وثمره من غير أوانها فاذا كرتنا أيام تفشت بها الحرية بوادى النيل منذ بضعة عشر عاما مجرت عليه ما هو منشأ اختلاف الصحف الآن ونرى صحفا أخرى قد سودت صفحاتها بمقالات صافية في المسائل الشخصية فتقطعن في أشخاص تسميهم باسمائهم وتنال عليهم بالسب والاهانة حتى قد تنطرق الى انتقاد ما يأكلون أو يلبسون أو يطبخون وأى علاقة بين ذلك والمصلحة العامة التى انشأوا جرائدهم لأجلها وما بهم القراء ما يقولونه عن فلان وما يأتيه في منزله أو كيف شب في صغرة ومالنا وللبحث عن أصله وفصله وقريته وجيرانه فان آداب الصحف تمج هذه الأبحاث وتنفر من رائحتها وقد يتبادر لمحري تلك الصحف ان ذلك من قبيل تشديد اللهجة التى تساعد أحيانا في تقوية الحجة واقناع الخصم والقراء بصحة دعواهم ولكنهم اخطأوا المرمى ووقعوا في عكس ما يؤملون فان القراء اذا رأوا في ما يقرأونه تعريضا أو أطعنا امسكوا عن قراءة لانهم إنما يهتمهم من الجرائد وأخبارهم وابحاثهم السياسية على انهم لو صبروا للنفس على مطالعتها فان يطالعوها يثقون وهم يعتقدون تحامل الكاتب على مناظرة ومبالغة في تحرير رؤية فلا يثقون بمقدماته ونتائجه ومهما اشتهرت الجريدة بصدق أخبارها وصحة آرائها فلا تلبث اذا اكثرت من الطعن والشتم أن تنحط لها ويرتاب القراء في صدقها .

□ □ □ « وهكذا حول الاستعمار الصحافة الى منبر للمهاثرات والمسائل الشخصية .. ثم عادت مجلة الهلال تشكو من الحال الذى وصلت اليه صحفنا في هذا الوقت »

وتستمر موجة ظهور الصحف :

● السيار : سياسة أدبية ظهر العدد الاول باسم الخديوى ومقال من مصر والشام وتظهر الوطنية المصرية على شكل اجتماعى فتتألف لجنة وطنية للنظر فى تخليد ذكرى على باشا مبارك شيخ المعارف المصرية وترى أن تقيم له مسلة مصرية فى أحد ميادين القاهرة عارية من الرسوم والتماثيل طلبوا أن ينقش عليها علامات رمزية وإشارات تدل على الفنون والعلوم التى اشتغل بها ونىغ فيها وأسماء مؤلفاته

وفى نفس العام يهتم جماعة من سكان العاصمة فى إنشاء معرض للحفر والأزهار يفتحونه فى أوائل العام فى حديقة الازبكية وتشجع الحكومة هذا الاتجاه الاجتماعى فتتبرع بمبلغ مائتى جنيه إعانة .

وتستمر موجة ظهور الصحف :

- الوظيفة : زكى الفندى رزق الله . سياسة علمية أدبية .
- بصير الشرق : أحمد رشيد بك . سياسة أدبية زراعية . مكانها ١٠٦ شارع محمد على .
- القاهرة : تعود للظهور بعد ٩ سنوات وتحمل اسم محمد الفندى شرف مدير لها .
- البغضاء : فكاكية لنجيب غرغور .
- الفلاحة المصرية : شخود بك الس .
- انيس الحلييس : نسائية أدبية فكاكية صاحبها الكسندروا فريزو .
- الظرائف : حسن أفندى على .
- العباسى : محمد أفندى يوسف .
- المنار : أدبية سياسية محمد رشيد رضا وكتب عن اصلاحات كتاب العصر «
- الحدود : ادبية فكاكية لامين افندى ابراهيم واسكندر أبادير .
- الكمال : لبطرس افندى المصرى .
- باب الفتوح : جماعة من أهل الادب الشيخ أحمد سلامة وأحمد سمير .
- الكبرياج والعفريت : عبد الله القدسى .
- الغزالة : أدبية فكاكية . جوائى زنابرى باللغة العامية .
- طيب العائلة : للدكتور عيد وقد خصص جوائز للمشاركين .
- مصباح الشرق : سياسة اخبارية علمية للكاتب ابراهيم المويلحى .
- الضياء : إبراهيم اليازجى ، واشتهرت بكتابتها موضوعا « لغة الجرائد »

وبانتشار الصحف يكثر التحدث عن الفن الصحفى وكيفية نقل الصور الفوتوغرافية وكيفية طبعتها فى الجرائد ، ويبتكر العراق جميل صدق الزهاوى شكلا حديثا للحرف العربى ، وتبدأ القاهرة فى تسيير خطوط الترام ويفتتح الخط الموصل بين بولاق فى ١٢

العجيب الذى جاء من الدنيا الجديدة والذى يسمونه بالأعجمية « سينما توغراف » وهو بالتعبير العربى الفصيح « خيالة » ، بدأت مشاهدة هذا الاختراع العجيب فى مغرب أمس بعد أن بدأ الظلام يحيم على المكان ، فرفعت جميع الثريات وصار المكان دامسا وفجأة سمعنا صوت الآلة يتحرك على المكان ، صوت الآلة يتحرك ويحدث طنيناً أشبه بصوت الآت - الطباعة وهى تتحرك ثم خرج من هذه الآلة شعاع أبيض تركز على قطعة قماش بيضاء كانت أمامنا ونحن نجلس وإذا بنا نرى أشخاصا يتحركون أمامنا يروحون ويحيئون وقد شاهدنا منظرا لميدان الأوبرا بباريس شاهدنا صاحب الفخامة رئيس جمهورية فرنسا وهو يسلم على مستقبله عندما زار مدينة ليون ، ثم شاهدنا صاحب الجلالة فى اليوم الثانى فى زيارته لمصنع بمدينة برلين وتتابع خيالات أمامنا بعض العمال فى مصانعهم وبعض الناس فى الطرقات العامة والحداث وقد طربنا كل الطرب لهذا الاختراع الجديد الذى هو أفضل بكثير على هذا الاختراع وقال : انه سيعمم فى جميع أنحاء العالم ومن المؤكد ان هذه المعجزة التى لا يمكن ان يفكر فيها شيطان مارد يعد أعظم عجائب القرن التاسع عشر .

وتهتم الصحافة بالصحافة نفسها : وتفسر موقفها وتقول قد يتبادر الى الذهن ان الصحافة والعلم شيئا واحدا وهما متأبطان أو متلازمان وأن الصحافى يجب أن يكون عالما وان كل عالم يقدر ان يكون صحافيا والواقع غير ذلك لان العلم شئ آخر . فالعالم قد يكون صحافيا ولكن ليس كل عالم صحافيا ولا كل صحافى عالم . وسر الصحافة التفنن انما هو فى اختيار المواضيع الطلية على ما تقتضيه الحوادث الجارية وكتابتها على اسلوب سهل لا يحتاج فى تفهمه الى أعمال الفكرة لأن الصحافة انما انشئت لتنشر على الناس ما لا يتيسر لهم الاطلاع عليه فى الكتب ولا يتعلمونه فى المدارس ، وعلى كتاب الصحف أن يسيطروا كلامهم ما استطاعوا الى بسطه لئلا يمل القارئ فالصحافة من أوعر سبل الأعمال وخصوصا فى بلادنا للأسباب التى قدمناها مع ما يعترض أقلام الكتاب من تباين مشارب قرائهم وتضارب أخلاقهم وعاداتهم مما لا يكون فى بلاد الفرنج ، ولذلك كانت الصحافة وعندنا من الصحف فى السنين العشر الأخيرة وقابلنا عددها بما بقى منها حيا لرأينا الخطر على حياتنا لا يقل عن تسعين فى المائة ولا تكاد تجد فى العالم تجارة أو صناعة فى مثل هذا الخطر ليس ما بين أيدينا عن الصحف والمجلات الحية وهى لا تتجاوز العشرين أو الثلاثين الا بقية مئات من الجرائد وأكثرها لم يعيش إلا أشهر قليلة ..

وتهتم الصحف بالازياء ، تنشر الهلال مقالا بعنوان : « دلالة الازياء على الاخلاق وفيه

تحدث عن هندام الثوب والطربوش ،قص الشعر . وتحدث في مقال آخر عن « شقاء الأغنياء » !!

وتألف في القاهرة شركة مساهمة مصر رأس مالها مليون جنيه افرنجي تنقسم الى مائة ألف السهم عشرة جنيهات لانشاء البنك الاهلى المصرى .

ويفتح البنك الاهلى في نفس اليوم ، الذى يفتح فيه مبنى الأهرام الجديد في شارع مظلوم . وكان هذا من حديث الأستاذ نجيب كنعان مدير تحرير الأهرام السابق . حينما كان يذهب إلى عمله على دراجة !

الفن الصحفى .. ينشأ .

والسبق الصحفى .. خطر ممنوع !

وفى أثناء غيبة الصحف الوطنية تبدأ الصحف الأخرى فى اهتمام بالفن الصحفى وبالتوزيع وبالاعلان ايضا « الهلال ينقل مطبعته فى أول سبتمبر ١٨٩٨ من شارع الفجالة الى شارع الظاهر بجوار منزل بطرس غالى ويعلن الهلال » أن هناك بعثة فى أوروبا تستجلب أدوات حديثة لإتقان مواد المطبعة والادوات والنقوش والحروف والكتب والمؤلفات مما يزيد مطبعة الهلال اتقاناً ونظافة ويزيد نور الهلال اشراقاً » !!

ويهتم الهلال بالاعلان وينشر المقالات على الصفحات قد تصل الى ستة وثمان صفحات ويقول مثلاً أن فى أنجلترا محل للصابون اسمه « صالون بير » لا تكاد تظهر جريدة الا وينشر اسمه على رسم ينبه الاذهان وأن ترجمه التيمس الانجليزية فى السنة نحو ٢ / ١ مليون جنيه وأن التيمس اليومية من ١٦ الى ٢٤ صفحة تدرج الأخبار فى خمس أو ستة صحائف والباقي لنشر الاعلانات !! ويعود ويتسائل هل الاعلان أفضل فى الصحف أم المجلات ثم يعدد مزايا الاعلان فى مجلة الهلال .

وفى هذه الفترة تظهر حادثة صحفية هامة هى :

« قضية إفشاء التلغرافات »

وقد قضيت فيها الجرائد المصرية بضعة أسابيع لا شاغل لها الا الخوض فيه حيث جرت المحاكمة بين النيابة وحضرة الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وأحد مستخدمي التلغراف المصرى .

والقصة : ورد على نظارة الحرية تلغراف من السردار أثناء حملة دنقلة يتعلق بماقاساه

الجيش هناك من الشقاء بسبب الزوابع والوباء وبعد وصول هذا التلغراف بيومين نشرت جريدة المؤيد صورته بالرغم من تحذير نظارة الحربية من نشره فأخذت تبحث عن كيفية وصوله الى المؤيد وتشتهب الحربية في موظف التلغراف توفيق كيرلس الذى رآته يدخل الى جريدة المؤيد واتهمته أيضا بأنه أوصل تلغرافا كان واردا إلى جريدة المقطم فسلمه الى المؤيد ، ودارت المحاكمة في محكمة عابدين الجزئية ثلاثة أيام متوالية صباح مساء ، وإهتمت الصحف بالحادث ، وإهتم الناس أيضا بها حتى أن فناء المحكمة والشارع امتلأ بال جماهير يستمعون الى دفاع المحامين . الرأى العام ورجال مصر ينتظرون أول حكم على الصحافة من نوعه ..

وفي مساء ١٩ نوفمبر ١٨٨٦ يصدر الحكم : -

حكمت المحكمة حضوريا أولا بحبس توفيق افندى كيرلس مدة ثلاثة شهور وحرمانه من التقاعد بأى وظيفة مربية مدة خمس سنين نظير إفشائه تلغراف سعادة السردار مع الزامه بدفع المصاريف . ثانيا ببراءته من تهمة افشاء تلغراف جريدة المقطم .

ثالثا براءة سماعة الشيخ على يوسف من تهمة الاشتراك في افشاء التلغرافين المذكورين وإضافة نصف المصاريف على جانب الحكومة .

وكان لتبرئه صاحب المؤيد التى لاقت الاستحسان في نفوس المصريين أن حملة الناس على الأعتاق قاعة المحكمة الى عريته .

ومن المصادفة أن القاضى كان هو « محمد فريد » !

الصحافة اعادت عراى من منفاه

وتبتم الهلال أيضا بالبطل عراى الذى يعيش في المنفى في سيلان فيرسل صاحب الهلال اليه رسالة ويحبب عليها بخطه وتنشرها الهلال وهى تقول « خدمة لحضرات القراء » والخطاب يقول : « الى حضرة اللوذعى الفاضل جورجى افندى زيدان »

بعد إهدائكم .. الخ ...

فقد حظيت بكتابكم ومعه مجلتكم الفيحاء والقائمة المشتملة على أسماء مؤلفاتكم وقد سرنا كرمكم واجتهادكم في البحث لإستيضاح الحقيقة وإفادة العامة بعبارة رائعة وروايات شائعة وبناء على رغبتكم قد ارسلنا اليكم صورتنا الفوتوغرافية الاخيرة مع هذا البريد . أما عن وصف حالنا في أرض نفينا فيها فقد علم الكل ما نقاسية من تباريح الغربة وذلل الأسر والاستبعاد في ديار الغارب والآم النفسى عن طول البعاد عن الأهل والأبناء والأخوان وقد مضى عليها ستة عشرة سنة ونحن نكابد تلك المصاعب والأهوال حتى قل صبرنا وضاق ذرعنا فلا يقضى علينا فنحوت على أفئدتنا من الأسر ولا قريم لن يهملهم ما نقاسية من الأكرام .

ونريكم الآن اننا أموات في صورة أحياء أو أحياء في صورة أموات ولكننا لسنا بأسفين لاعتادنا من الواجبات الشرعية والحقوق الوطنية بكل نصح وامانه جهد الاستطاعة ولا غبره فيما يقوله بعض أهل الصحافة والناسجون على فائهم يقولون بالسنتهم ويكتبون بيراعهم ما يخالف إعتقادهم بقلوبهم وعلى كل حال فإننا نتضرع الى الحق سبحانه وتعالى الى ملك الملوك ورب الأرباب ان يوفق ولاية أمور بلادنا العزيزة الى تعميم نشر المعارف والفنون في أبناء البلاد والى إيجاد ما تحتاج البلاد اليه من الصنائع الضرورية والى حفظ كيان استقلالها وحقوقها وان يوضح لابناء وطننا العزيز طرق الهدى والنجاح انه على كل شىء قدير وبالإجابة جدير .

خادم الوطن العزيز
أحمد عرابى الحسينى المصرى

تحريرا في كندى سيلان
في ١١ مايو سنة ١٨٩٨



عرابى



افندى مطران ويشترك معه فيها محمود مسعود أحد محررى المؤيد وينشر شعر أحمد شوقي .
ويعاد صدور « الوطن » بعد اختفائها ، تعود يومية ويتولاها جندى افندى ابراهيم ويدخل
فيها تبويبا وترتيبيا واخراجا جديدا ويخصص الصفحة الاولى لنشر الاخبار المحلية - وهذا تقليد
جديد - وينشر التلغرافات ويصدر كل تلغراف بعنوان يدل على موضوعه

وتصدر الصباح فى الاسكندرية للأديب عبده بدارن ، وتصدر مجموعة من الكتب ،
كتاب « الحمامة » لآحمد فتحى زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية يبدأ بمقدمة عن
« الحمامة فى الأمم القديمة » ، ويصدر كتاب الطريقة المبتكرة لتعليم القراءة العربية لابراهيم
زيدان مدير مكتبة الهلال ، ويصدر مفتاح اللغة الانجليزية لمنصور افندى عبيد وكذلك
يصدر كتاب مبادئ الحساب .

وتشاهد هذه الفترة أيضا قمصر العثمانيين الذين يعيشون فى مصر ويحصلون على
الجنسية المصرية .

تظهر صحف ومجلات جديدة تظهر « مجلة الشتاء » وهى مجلة أدبية علمية تاريخية
فكاهية شعرية تظهر فى الشتاء وتحجب فى الصيف لصاحبها سليم عنجورى الشاعر
الدمشقى اشتراكها ٤٠ قرشا فى العام . وهى أول مجلة تظهر بهذه الطريقة وذلك لإنشغال
صاحبها وقت الصيف بحيث يعمل فى دمشق فينشأ المجلة ويصدرها فى الشتاء فى مصر
وينشر بها مختارات من نظمة فى ستة اجزاء شهرية بين أكتوبر ومارس .

وتحتفل جريدة « الاتحاد المصرى » بعامها السادس والعشرين وتقيم يوبيليا فضايا يحضره
« عليه القوم » و « أرباب الصحف » وتتلو فيه الخطب ويهتفوا صاحبها روفائيل أفندى
مشافة ويقولون انه يجر ذيل الافتخار لتغلب جريدته على مشاكل الصحافة العربية ٢٥ عاما
وأن ذلك نادر فيها .

بماذا ينجح الصحفى ؟

وتذكر مجلة الهلال فى نوفمبر ١٩٠٦ فى مقالات بعنوان بماذا ينجح الصحافي ؟ تذكر يوم
الصحافي فى انكلترا وتقول : كتب الدكتور روبرتسن نيكول محرر جريدة بريتش ويكلي مقالة
يصف بها يومه فى التحرير وخلاصة ذلك أن يشتغل كل يوم من الساعة الثامنة صباحا الى
التاسعة مساء أى ١٣ ساعة يقضى الساعتين الأوليين منها فى مطالعة الجرائد ثم يتناول
المراسلات ويأخذ فى قرائتها ثم يرد على ما يحسن الجواب عليها ويقضى فى ذلك ساعتين

آخرين ويصرف ما بقى من الصباح فى التحرير للجريدة فيكتب ٢,٠٠٠ كلمة ثم يتناول الغذاء ويقضى ساعتين أو ثلاثة فى المطالعة استعداداً لتحرير الغد ثم يتناول الشاي فى العصر على عادتهم ويعود الى العمل من الساعة السابعة فمكث ساعتين آخرين فى التحرير ويقضى ما بقى من السهرة من التاسعة الى الحادية عشرة مع عائلته فى شؤونه الخصوصية »

مساوئ الحرية !!!

وتتحدث الهلال أيضاً عن حرية المطبوعات وتعدد مساوئ الحرية !! تقول فى عام ١٩٠٠ فى صفحة ٥٤٢ :

« لا مشاحة ان حرية المطبوعات المدنية ودليل الارتقاء فكل أمة حرمت منها باتت فى أسوأ حال وأصبحت مغلوله اليد واللسان . ولكن يظهر أن حرية المطبوعات ليست من أسباب المدنية بل هى من نتائجها وبعبارة أخرى ان الأمة اذا لم تبلى من المدنية ما يؤهلها لقبول هذه الحرية كانت الحرية ضربة عليها وسببا فى اختلال أمورها فلا يحسن والحالة هذه أن تطلق حرية المطبوعات فى بلاد لم يتكامل مدنياتها والحكومة طبيب الأمة ووصيا يحس نبضها فاذا أنس فيها استعدادا لقبول تلك الحرية منحيا اياها والا فانه يمنعها منيا ولو بلغ صراحها عنان السماء لأن المريض قد يلتمس الطعام ويلج فى طلبه لشدة جوعه وطيبه لا يأذن له بما لم يتحقق قدرته على هضمه وربما انخدع الطبيب بمظاهر مريضة فيحسبه شفى فيأذن له بالطعام ثم لا يلبث أن يندم حيث لا ينفع الندم »

صحف على مناديل !

تنتشر الصحف .. وتظهر « الانسانية » وهى أسبوعية سياسية أدبية بمصر لصاحبها ومديرها محمد أفندى أبو نصر المحامى ونسمع عن أغرب جريدة وهى المنتزة ادبية هزلية تصدر مرة فى الاسبوع لصاحبها السيد على أفندى الحريرى وهى تطبع على مناديل يمكن غسلها واستعمالها . ويدل اشتراكها خمسون قرشا فى السنة !!

ويجئ عام ١٩٠٢ وتزدهر الطباعة .. طباعة الكتب ونرى فى « خلال ١٥ اكتوبر ونحت عنوان مطبوعات جديدة وعلى مدى ٥ صفحات تنشر أنواع وأسماء الكتب الجديدة وعن

كل كتاب نبذة في عدة سطور يصدر كتاب « الاخلاق مجموع عادات » لعيسى اسكندر « الروايات - العقوبية » ليعقوب متى منصور المياوى ، الدروس الابتدائية في المدارس الجغرافية ، « الساحر العليم » وهو كتاب حساني فكا هي يعود العقل على حل المشكلات الرياضية ويروض القوى العقلية ، وكتاب ترجمان « في أربع لغات ، « وأسرار النفس » وهي رواية عن أعمال جمعية القصص السري تبحث في ماهية الروح ومحالها عن الجسد وعن التنويم المغنطيسي الشائع في أوروبا وعن الزار والمغول بالاقطار الشرقية تأليف محمد حسين محرر جريدة البوسطة ويصدر أيضا « الأسلوب الوجيز في لغة الانجليزية »

وتصدر صحف أخرى مثل « التهذيب » أدبية علمية تاريخية دينية لطائفة الاسرائيليين القرايين بمصر تصدر مرة في الأسبوع لمحررها مراد فرج المحامي وهي أول جريدة عربية صدرت مصر لهذه الطائفة وبدل اشتراكها عشرة قروش في السنة .

وتصدر « المصري » جريدة علمية مدرسية تصدر في الاسكندرية لجمعية التلاميذ الاسلامية ويحررها مدير الجمعية على عبد الكريم المصري .

وتتميز الجوائب المصرية « لخليل مطران لعددها الاسبوعى « عدد الجمعة » فيظهر مصورا بصور ملونة وبعض الحوادث الجارية وتتناز عن سائر الجرائد اليومية بأنها تصدر في الصباح .

وتظهر مجلة « السيدات والبنات » لناظرة مدرسة البنات الامريكية في الابراهيمية المداموزيل روندا أنطون .

وانتشرت الصحف .

البريد ساعد على أنتشار الصحف وتؤكد كذلك مجلة الهلال فتكتب تحت عنوان الصحافة العربية ومصلحة البريد المصرية وتشيد بفضلها تقول :

« كان لمصلحة البريد الفضل في تنشيط النهضة الصحفية ، لقد أدرك مدير البوسطة العاقل البصير ، لتخفيض أجور البريد من التأثير على هذه النهضة العلمية فضلا عن تسهيل المعاملات التجارية وغيرها . فخفض أجور المطبوعات والمراسلات في داخل القطر الى أقل من الضعف ، فالجريدة التي كانت نفقات ارسالها ومخبراتها ألف قرش صار يكفيها خمسة أو رعمئة فتكاثر الجرائد والمجلات وتحاكت الأقطار وتصادمت الاقلام وزادت النهضة نشاطا وحدة - ولا عبة فيما تخلل ذلك من الصعود والهبوط والاقدام والاحجام فان هذا التشويش

طبيعى فى الآمة عند أول صعودها فى سلم المدينة كالطفل فى أول مشيه فانه يقع ويقوم مرارا قبل أن يستطيع المشى ، وعاد فى ذلك أيضا على مصلحة الجريدة بزيادة الدخل .

ولا نعرف رئيسا ساهرا على اتقان مصلحة وضبطها واحيائها مثل سهر سابا باشا مدير البوسطة فانه لما رأى ما ترتب على تخفيض الأجور من النفع المتبادل للحكومة والاهالى عاد الى تخفيضها مرة أخرى .

.....

غابة من الصحف تنتشر هذه الأيام والحديث فى مجالات مثل الهلال والمقطم يطلب بفرض الرقابة على الصحافة وتقابلها الوطنية مرة بالفكاهة والتريقة ومرة بالحزن والهم ومرة بالصوت العالى والقلم الصارخ .. طبيعة الشعب المصرى وشخصيته .

وتنتشر مجلة مثل « حمارة منيتى » ويبلغ توزيعها فى ذلك الوقت عشرة آلاف نسخة ، وكان صاحبها محمد توفيق ضابطا فى الجيش المصرى وقد اشتهر بقدرته على التنكيت والاضحاك وسبق غيره من كتاب العربية الى فن الباروى « المسخ » « وقلد النديم فى تدوين المحاورات البلدية .. وأخذ صاحب « حمارة منيتى » فى مهاجمة الشخصيات البارزة من رجال السياسة والزعماء

وتصدر مجلة « سركيس » لسليم سركيس وهى أول مجلة عربية سميت باسم صاحبها ! ويكثر الحديث فى الصحف عن الصحافة نفسها ، عبد العزيز جاويز يهاجم قانون المطبوعات ويقول :

« ايها القلم لو كنت سيفاً لا غمدتك فى صدر من يحاربوك أو سهر لا نغذتك فى أعماق قلوبهم ولو كنت جواداً لك فى ميادين النزال مجالا للكر والفر ، ولكنك ذلك العد الذى أسرنا بنال من عدو ، أو يعالجه بالمبراه فيشقة أو بالاصابع فيكسره ، فلتكن ايها القلم ما شاءوا لك ، أما دائماً الى حين اذا ميتا ابد الأبدية ، فقد تركت عيوننا لا يغرورها النوم وقلوبنا لا يملكها اليأس وأيدينا لا تخاف السلاسل والأغلال وأرواحنا تغذى الحرية والاستقلال . » ..

اليازجى صاحب فضل ..

وكان ظهور نصيف اليازجى فى مصر له أثر كبير فى تقدم « فن الصحافة والطباعة » وقصته تقول انه عندما انشأت الارساليات الدينية المطبعة الامريكية فى بيروت واصطنعوا الحروف العربية لطبع التواره وغيرها وازدادت حاجتهم الى معلمين ومنفحين ومترجمين ومبشرين فاستخدموا بعض نصارى سوريا ، الذين هاجروا فيما بعد عند نزاع الدروز

والمسيحيين من بيروت وكان من بينهم نصيف اليازجى الذى عملوه معلما فى مدراسهم ومصححا فى مطابعهم » وعند أول نهضة صحفية فى بيروت يتولى تحرير جريدة النجاح عام ١٨٧٢ .. وعند ترجمة الكتاب المقدس ترجمة كاثوليكية كان ضمن اللجنة التى قامت بهذا العمل حيث درس العبرية .. وجاءت ترجمته أصح ترجمات التوراه العبرية .

ويجىء الشيخ ابراهيم اليازجى وابنه الى القاهرة وينشئ مطبعة البيان عام ١٨٩٧ ، ثم « الضياء » بعد عام واحد ويموت فى المطبعة عن ٦٠ عاما ظهر ٢٨ ديسمبر ١٩٠٦ ، وكان اليازجى جميل الخط يكتب بيده على الطريقة الفارسية وكان يحفر الاختام ومن تألقه فى الرسم نجده يرسم نفسه عن طريق المرآة وهو أول من ترجم نتيجة الحائط الى العربية وكتبها بخط يده وشارك فى تصنيع حروف الطباعة حيث كانت الطريقة التى تصنع بها تعتمد على طريقتين هى القاعدة الاسلامبولية أو القاعدة الامريكية ، ففى عام ١٨٨٦ قام ابراهيم اليازجى بعمل قاعدة معروفة بحرف سركيس لانها كانت « تسبك » فى مسبك خليل سركيس صاحب لسان الحال فى بيروت وأصبحت شائعة بعد ذلك ، واصطناع هذه الحروف يحتاج الى دقة ومهارة لأن الحرف لا يتمثل ثم يضرب على النحاس ضربا حتى يطبع غائرا فى النحاس ويسمونه « الأم » وعلى هذه الأم يصبون الرصاص فيخرج الحرف المعروف فى المطابع ..

ولما جاء الى القاهرة اصطنع حرف على قياس متوسط بين الحروف الكبرى والصغرى يعرف بحرف بنط ٣٠ » وقد اتخذته مسابك القاهرة وتناولته الايدى المصرية وصنعوا منه قوالب وشاع استعماله فى مطابعها .

(تزدهر الطباعة والصحافة وتبحث عن تدعيم مالى فقد كانت تعتمد على حركة البيع والاعلانات ويصبح لكل صحيفة وكيل يتجول فى منطقة من مناطق مصر فوجد كل وكيل جريدة يختص بجريدة أو أكثر ويجولون الاقاليم من بلدة الى قرية الى كفر مطالبين بالاشتراكات ، ناشرين مقالات المدح والثناء على المديرين ورجال الادارة ورؤساء المحاكم ومعاونى الضبط مشيرين بهذا وذاك عن العمد والأعيان .

جرائم العصر !

لكل هذه الأسباب التى أدت الى المحاولة بالارتفاع بالمستوى الصحفى - فمن غابه الصحف هذه نرى ثمة تقدم مدافعة عن الصحافة ، ونرى اهتماما فى المجتمع العلمى المصرى

بالصحافة .. تطلب بعض المتكلمين مدافعين عنها ففي يونيو ١٩٠٥ يلقي يعقوب ارتين باشا محاضرة في المجمع العلمي يقول فيها :

ان الصحافة المصرية كانت في أوائل هذه النهضة افرنجية ثم أخذت الصحف العربية في الظهور وأن في القاهرة ١٣٣ جريدة منها ١٨ يومية فيها تسع عربية هي الاهرام والجوائب واللواء والمؤيد والممتاز والمقطم والوطن ومصر والظاهر و ٤ فرنساوية و ٣ يونانية وواحدة انكليزية و ٣ تصدر ٣ مرات في الأسبوع و ٧٦ جريدة اسبوعية منها ٤٩ باللغة العربية و ٢ باللغة الفرنسية و ٣ يونانية و ٢ تركيتان و ١٩ مجلة نصف شهرية منها ١٦ تصدر - بالعربية و ٢٥ مجلة شهرية منها ٢٣ بالعربية غير الاسكندرية وبورسعيد التي بها ٥ جرائد افرنجية .

هكذا عدد ارتين باشا الصحف .. ولكنه عند بداية محاضراته قال « ان الصحافة دخلت مثل سائر جرائم التمدن الحديث !!

مدرسة للصحافة

وتهتم الهلال أيضا بالنقد الصحفي وفي عدد أغسطس ١٩٠٤ تطالب بمدرسة الصحافة وتقول :

« مدرسة الصحافة يتبادر الى اذهان الذين يشاهدون انحطاط بعض الصحف عندنا ان ذلك خاص بالصحافة العربية والواقع انه شامل سائر الممالك المتدمنة حتى انكلترا وامريكا وقد نهض « المستر بوليتزر » أحد أفاضل الامريكان لإنشاء مدرسة للصحافة تعلم أربابها واجبات الصحافي نحو أمته وحكومته ونحو نفسه وقد كتب المستر بوليتزر في هذا الموضوع مقالة بين فيها أهمية هذا المشروع وأنه لا ينقضى هذا القرن حتى تصير مدارس الصحافة من ضروريات المدنية الحاضرة مثل مدارس الطب والقضاء » .

الصحافة ترمومتر مصرى !

ولكن ماذا كانت وجهة نظر اللورد كرومر في الصحافة المصرية :

يقول ولا ينكر انه اذا نظرنا الى العناصر التى تتألف الهيئة الاجتماعية المصرية منها والى ماكان القطر عليه منذ مدة قصيرة فقد ظهر لنا لأول وهله ان منح الحرية التامة للصحافة لا يخلو من الضرر . على أن هناك اعتراضين على تقييد حرية الصحافة الاول : أن وجود حامية انكليزية فى القطر يضمن أن الكتابات المهيجية لا تقضى الى الاخلال بالأمن اخلا لا عظيما ، والثانى : ان من العبث شن قانون خصوصى للجرائد الوطنية ما لم يتمشى ذلك القانون على الجرائد الأوربية أيضا لأن كل صاحب جريدة وطنية يخشى طائلة القانون ينقل حقوقه وامتيازاته الى رجل فعلا أو اسما . ثم ان الدول الأوربية والحكومة فى مقدمتها على الأرجح تعترض على كل قانون يقصد به تقييد حرية الصحافة الحقيقية .

أما أنا فكنت مخالفا لتقييد حرية الصحافة منذ الأول ولكنى لم أعول كثيرا على الاعتبارات التى أشرت اليها انفا . فانى رأيت أولا أن الحجج التى تقدم على تقييد حرية الصحافة لا تعادل الحجج التى تقوم على اطلاق حريتها . وثانيا ان كبار الحكومة كانوا يقومون على احتمال انتقاد الجرائد لهم بل على ايرادها أقوالهم وأفعالهم على غير صحتها حتى فى اصعب الأزمات التى مرت على مصر أى قبل أن يؤثر الاصلاح فى تأثيرة المطلوب .

وقد أبدت الحوادث هذا الرأى فمرت سنون كثيرة والجرائد المصرية تامة الحرية ولكن الحكومات اضطرت الى اقامة بعض القضايا على بعض الجرائد لطعنها على الملوك الأجانب والحدويى وأعضاء العائلة الخديوية وكان الرأى العام مؤيدا للحكومة فى تلك القضايا القليلة ولم تكن اقامة القضايا السياسية ومع ان القانون يخلو الحكومة الحق فى أن تطلب من صاحب كل جريدة ان يحصل على رخصة إصدار جريدة الا أنها لم تعمل بهذا الحق منذ مدة طويلة .

ويقال بالاجمال ان النتيجة جاءت على مايرام ، على أن الجرائد المصرية من أجنبية ووطنية كثيرا ما تنشر اخبارا غير صحيحة ، كثيرا ما تنقد انتقادا قانونيا ولكنها تقحم فيه احيانا آراء على غاية من الجهل والطيش بلغة شديدة اللهجة وتنشر أحيانا مطاعن شخصية لا تنشرها الجرائد التى هى أرقى منها . ولست أظن أن رجال الحكومة سواء كانوا أوربيين - أو وطنيين يندون آراء الجرائد .. بل لقد لحظت مرارا انهم يعلقون عليها أكثر مما يلزم من الأهمية بمعنى أنهم لا يميزون التميز الكافى بين ما يستحق الالتفات منها وما يستحق الازهال ولا أظن أنه يمكن ذكر حادثة واحدة فى العشرين سنة الماضية تدل على ان حرية الجرائد التامة أضرت بالبلاد ضررا عظيما أو أخرت سير الاصلاح الحقيقى يوما واحدا وزد على ذلك أن الجرائد الوطنية الساقطة التى جاءت لفئة من الاهالى قليلة العلم كثيرة التصديق وتحاول إثارة ار البعض الجسمى لا تؤثر اقوالها كثيرا اذ تسنح فرصة عليها أقوالها .

هذا واذا كانت الصحافة حرة فى بلاد مثل مصر فلا بد لرجال الحكومة أن يجمعوا بين صفتين متضادتين . أحدهما أن يحترموا آراء الجرائد اذا كانت الى غرض سام وتسعى فى تأييد آرائها بالدليل القاطع كما هو الغالب والثانية أن يكون لهم من الشجاعة الأدبية ما يكفى لمقاومة الجرائد التى ترمى الى غاية غير شريفة وتحاول تأييد أقوالها بادلة لا تستحق الالتفات كما هى الحال أحيانا ولا بأس بذكر الطريقة التى اتبعتها مع الجرائد المصرية فاستفدت منها فائدة تذكر ، وعليه فانى أشير على الموظفين الاجانب والوطنيين باتباعها وهى انى اقرأ بعض الجرائد المهمة وقد وجدت بالاختيار أنه ليس من الصعب التمييز بين ما يستحق الاعتبار وبين مالا يستحقه فيها . فاذا قرأت خبرا مهما لم أعلم به قليلا استعلم عما اذا كان صحيحا أولا وقد لا يتفق انه لا يكون صحيحا أو لا يكون موقعا ولكنى مدين للجرائد باخبار استفدت منها وربما لم استطع الوصول اليها لولا الجرائد .. أما من جهة آراء الجرائد اما ان اهمت بها أولا اهم وذلك يتوقف على المصدر الذى تصدر عنه وقوة الأدلة المبسطة فيها وما اذا كانت آراء شخص واحد أو رأى يستحق الالتفات والاحترام وغير ذلك من الاعتبارات .

وأنه يسهل القضاء على الجرائد المصرية من باب رسمى أو على قسم منها على الاقل واذا فرضنا ان ذلك القضاء فى مجلة فان للمسألة وجها آخر وهو أنه فضلا عما لحرية الجرائد من الفائدة العظيمة فلا ريب ان الجرائد تمنع بعض

الضرر فان خوف التشهير على صفحاتها يمنع كثيرا من الشرور ويقلل العيوب التى تعوق نظام الحكومة المصرية كما تعوق نظام غيرها من الحكومات ورأى الخاص ان خير ما فعلته الجرائد افادة الحكومة بوجه العموم وشر ما فعلته لم يضر ضررا بليغا بمصالح البلاد الحقيقية . (!)

وهنا وجه آخر للجرائد الحرة وهو ما يختص منها بالافراد فان النتيجة الطبيعية لحرية الصحافة هى أن يكون القانون التعلق بالقذف صارما وفى السنين الأخيرة اتجهت آراء الطبقة العليا من الوطنيين الى أنه يجب ان يكبح جماح الجرائد عند كلامها على الأفراد . وقد بحثت فى هذا الموضوع فوجدت أن القانون الحالى التعلق بالقذف واف بالمراد من حيث صرامته وما اذكره هنا اننى اطلعت حديثا فى بعض الجرائد الوطنية الساقة على مقالات تخالف كل ذوق وأدب . وعليه فان الية تشديد العقاب فى ما يتعلق بهذا الموضوع فى قانون العقوبات الجديد !

وبعد تقرير اللورد كروم هذا تتحول جنحة الصحافة الى جناية !!

وقد صادف التقييد على الصحافة فى مصر تقييدا أيضا على الصحافة العثمانية ، فزى المكتوبى . « مراقب المطبوعات » فى الأستانة يشدد ساعده ويصدر منشورا للواجب اتباعا حتى يرضى عنهم المكتوبى وجاء فى هذا المنشور :

(١) يفضل نشر الأخبار السارة عن صحة جلالة السلطان وحال المحصولات وتقدم التجارة والصناعة فى تركيا .

(٢) لا ينشر شيء يتعلق بالآداب العمومية .

(٣) لا يجوز الاسهاب فى كتابة المقالات الأدبية أو العلمية التى لا يتم نشرها كلها فى عدد واحد تجنباً لتذليلها بلفظ « البقية تأتى » وطبعا كانت الكلمة تثير مشاعر الحكام !

(٤) يجب تجنب الفراغ بين الكلام والخطوط فى أثناء كتابة المقالة لأن ذلك يبعث على ظنون تكدر الحواطر .

(٥) لا يجوز نشر الأعلام التاريخية أو الجغرافية التى تحوى لفظ « أرمينا » .

(٦) ممنوع نشر أخبار قتل الملوك الأجانب مهما يكن شكلها .

وسط هذا الجو الصحفى الذى يسود مصر تصدر « اللواء » وكان صدورها ضرورة .

اللواء (١٩٠٠ - ١٩١٢) .

ويتولاها مصطفى كامل وتصبح مدرسة صحفية جديدة فهى أول شركة مالية صحافية فى الدول العربية وكانت دارا تصدر ثلاث صحف بالعربية والفرنسية والانجليزية وفيها ارتفع أول - صوت يطالب بجلاء الانجليز فيها تكون « الحزب الوطنى » وتسبب تفجرها حادث دنشواى أن أعفى اللورد كرومر عن منصبه .. وكان اعلان الدستور العثمانى فرصة للمجاهدة بطلب دستور مصر وكان ذلك مثار خلاف بين الحكام والصحف فيمنع تمثيل الروايات التى ترد فيها الالفاظ الحرة والاستقلال وتوضح لائحة للمسارح تشابه قانون المطبوعات فى سنة ١٩١٠ وفى هذا التاريخ تنتشر دودة القطن ووباء الطاعون فى الماشية

وتوقف الحكومة ٢٠٠ عمدة وشيخ وتعاقب ١٣٥٧ موظف لعدم ابلاغهم عن الدودة والطاعون ويظهر في نوفمبر ١٩١١ كتاب « علاج مصر الاقتصادى » لطلعت حرب ويطبع في مطبعة صحيفة « الجريدة » ، وينتشر كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين وتخرج طالبات المدرسة السنية سافرات الوجوه وتنشر الصحف هذه الأخبار وتقول « ان الطالبات سرن كما تسير العاهرات بلا حجاب ! ومشى الناس وراءهن يرمونهن بالحجارة ! وقتها أيضا كانت القاهرة تغنى لعبده الحامولى من كلمات اسماعيل صبرى « الحلو لما انعطف » !

وتنتشر الجمعيات الوطنية السرية وتدب الفوضى في اركان الحياة كلها .. وكان ظهور مصطفى كامل وعلاقاته بالخدوي مرة وبالفرنسين مرة أخرى قوة وطنية التي جعلته يكتب في الأهرام - بعد أن قدمه خليل مطران الى بشارة تقلا - كان يكتب في الأهرام باسم مستعار هو « مصرى صادق » « ومرة » مصرى أمين وتزعم مظاهرة المقطم .. فينشر باسمه الحقيقى في الأهرام في ١١ فبراير ١٨٩٣ .

وسط هذه الظروف التي تمر بنا يظهر اللواء ، وحياتها كلها « مواقف » حتى أن أحد الفلاحين كتب هازلا عندما ينمو اللواء ويصدر صحيفته الافرنجية ..

« لقد ظل اللورد كرومر طعامه اليومى ، يفطر بالاجبيشيان ويتغذى باللواء ويتعشى بالإستاندرد اجبيشيان »

واللواء صحيفة مواقف :

● ظهرت اللواء صحيفة بالمعنى العصرى من حيث تحريرها واخراجها وادارتها واستخدمت المطبعة الكهربائية الحديثة . وفيها ظهر أول مانشيت بعرض الصفحة يوم الجمعة ١١ فبراير ١٩١٠ ، وقد صدرت في عدد خاص يوم الجمعة يوم راحتها وكان الموضوع الذى ظهرت من أجله هو « الجمعية العمومية وقناة السويس »

● طالبت بالحرية والدستور والعلم والصناعة والتجارة واهتمت بالادب والعلم وطالبت بإنشاء جامعة مستقلة وقال مصطفى كامل « الامة في أشد الحاجة اليه الا وهو إنشاء جامعة للامة بأموال الأمة »

● بعد الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ استمرت وحدها في الميدان الوطنى .
● يوم تولى سعد زغلول وزارة المعارف وانفصالها عن وزارة الاشغال كتبت تقول :

« نهىء الوزارة بسعد زغلول »

- تشتد لهجة اللواء عندما يتولى جورست دور المحتل الانجليزى وخاصة بعد تولى عبد العزيز جاویش رئاسة التحرير عام ١٨٠٨ .
- حاولوا الوقیعة بین عمال اللواء وصاحبة فقی نوفمبر ١٩٠٨ اضرب عمال اللواء وهددوا بتعطیل الجريدة ومنع إصدارها حتى تجاب مطالبهم ، بعض طلبة المدارس العليا للعمل بدلا منهم فى صف الحروف ولم تتوقف وانتهى الإضراب .
- بعد مقتل بطرس غالى ينشغل الصوت الوطنى بالفتنة الطائفية .. وكان صوت مصر يدوى فى اللواء .
- فى ٣١ أغسطس ١٩١٢ تصدر الوزارة قرارا بتعطیل جريدة اللواء نهائيا لانها عينت محررا مسئولا بدون أن تحصل على اذن بذلك من إدارة المطبوعات وأن بعض محرريها مثل على فهمى كامل قد صدرت عليه أحكام قضائية مخالفة للأمن العام .

● تتعطل « العلم » فى ٧ نوفمبر ١٩٥٢ بسبب مقال لمحمد فريد يعلن فيه رأیه فى الحرب البلقانية !

ولم يبق الآن فى القاهرة إلا بعض الابنية والأماكن تسمى نفسها اللواء مثل عمارة اللواء ويأر اللواء .

المؤيد (١٨٨٩ - ١٩١٣)

فى عام ١٨٨٣ وبعد الاحتلال لم يكن هناك صحف شعبية يومية سوى جريدة « الزمان » ويمتلكها ارمنى هو « علكسان جرافيان » وظلت عامين الى ان سافر صاحبها الى قبرص وانشأ هناك مجلة « ديك الشرق » .

ويجتمع بعض المصريين فى بيت لطيف باشا سليم الحجازى منهم حسن عاصم باشا وابراهيم الهلباوى وقاسم امين وسعد زغلول والشيخ على يوسف وأحمد ابو ماضى وتأثيرهم فكرة إصدار جريدة لتعبر عن مصر ويتأسس المؤيد ويصدر فى ديسمبر ١٨٨٩ وكانت مائة جنيه كافية لاصدارها . !

وهكذا تظهر الشخصية المصرية التى تأثرت بطبيعتها المستقرة ولكن أمام الاوضاع

الإجتماعية المقلوبة أخذوا يفكرون في التعبير عن مفهوم الفرد والسلطة وحق وواجب كل منها ومن مواقف المؤيد :

- اشتهر المؤيد بمقالات « قصر الدويارة بعد يوم الاربعاء » وفيها كتب الشيخ على يوسف وفيها كان يرد على خطبة اللورد كرومر في دار الأوبرا !
- اشتهر بالمعارك الصحفية مثلاً نشر رأياً للشاعر شوقي يقول : أن الدستور وتأخير إصداره يرجع الى أن الأمة لم تبلغ من النضج الصحيح ما يؤهلها للدستور وتفرد الصفحات لعل القاياتي يهاجمة ويقول :
- أعباس هذا آخر العهد بيننا .. فلا تخشى منا بعد ذلك عتاباً
- كان للمؤيد عمارة كبيرة مثل الاهرام وكانت تهتم بالتطوير الطباعي والفن الصحفي وابتدع وظيفة المصحح الذي يقرأ البروفات ليتفرغ هو للامال الكبيرة في الجريدة فوقته أصبح من ذهب !
- زاد عدد صفحات المؤيد وأصبح ثمانى صفحات عدد قرائه نحو ١٠٠ ألف .

● اشتهرت المؤيد بالقضايا كقضية التلغرافات واشتغلت الصحف بقضية هو شخصياً قضية مصاهرة الشيخ وحاولت النيل منه !

● ظلت الصحف تكتب تحت عنوان « عام الكف » وهي ترمز لأديب صفعه أحد الوجهاء وكان صاحب المؤيد يكره هذا الأديب فاخذ يكيل له الهجوم بالمقالات الهاجية وتنتهز اللواء فرصة أزمة الشيخ على يوسف فتكتب تحت عنوان « عام الكف » ويغضب على يوسف على مصطفى كامل ويسمية « الفتى الطائش » ويرد عليه ويسميه « الصعدي المعلول والأصفر المسلول »

● في دار المؤيد نشأ حرب « الاصلاح على المبادئ الدستورية » .

● تعود الصحافة الى الانتشار مرة أخرى ، وتصبح محتويات الصحف كالآتي :

- ١ - مقال افتتاحي : بملاً الصحيفة الأولى .
- ٢ - الرسائل : من الاقاليم تتحدث عن شيخ الخفراء وقلة الحياء .
- ٣ - بريد أوروبا : ينشر أحيانا في الصفحة الأولى ان لم يكن هناك مقالا افتتاحيا .

- ٤ - رسالة الاستانة :
- ٥ - المجلات : وتكتب الأخبار بدون عناوين .
- ٦ - التلغراف :
- ٧ - التجارة : الحركة التجارية .

وبانتشار الصحافة تتغير اللغة ويحاولوا الابتعاد عن السجع والمحسنات اللفظية وتنشر الى حد ما لغة التلغراف ولغة المنطق لابرار الفكرة ويتعايش الصحفيين والناس بالأحداث التي بدأت تسرع خطواتها ونسمع عمن يطالبون بتسكين أواخر الكلمات سهولة للفهم وفي زحمة الحياة تشتد الدعوة الى انشاء الجامعة ويتبرع حسن باشا زايد بخمسين فدانا لانشاءها .

وتظهر صحيفة الجريدة :

●●● الجريدة (١٩٠٧ - ١٩١٥)

شعارها قول عن ابن حزم « من حقق النظر وراض نفسه على السكون الى الحقائق وان راعها في أول صدمة كان إغتيابه بدم الناس اياه أشد وأكثر من اغتيابه بمدحهم اياه »

وكان ظهور الجريدة محاولة لتحقيق الأمان الوطنية باتفاق يتم بين الاحتلال والأعيان المصريين (الطبقة البرجوازية الصاعدة) باعتبارهم أصحاب المصلحة الحقيقة . ولقد كان رئيس تحريرها أحمد لطفى السيد يحارب في ثلاث اتجاهات * مقاومة الاستعمار * مقاطعة الخديوى * مقاومة للرجعية الاجتماعية .

إن خروج الطبقة البرجوازية الى الحياة العامة لتكلم بصوت عال ، كان سببه اهتزاز مواقف كرومر في مصر بعد دنشواى ١٩٠٦ ، فجمع أعيان مصر لاصدار الجريدة لم يأت صدفة .. فالطبقة البرجوازية لا تعرف القفز الثورى .. وكان لظهور الجريدة فرصة هؤلاء الاعيان لاعلان حزب الأمة . خطوة تليها خطوة .

وقصة الجريدة وحزب الأمة وطفى السيد هى قطعة من اللحم المصرى تبدأ عندما يخرج لنا لطفى السيد ابن سيد أبو على عمدة برقين يحاول أن يعبر عن مجتمع عصره بصورة برجوازية ، فقد أخذت هذه الطبقة تنمو بسرعة وادعوا لأنفسهم بأنهم اصحاب المصالح الحقيقية ، وهذه الطبقة تعرف أهمية الصحيفة ، فهو المعبر لإيصال افكارهم الى الناس .. الى الحاكم .. وإلى المحكوم .

خرج لطفي السيد يعبر عن مجتمع مفكك فشلت فيه الثورة العربية ، افكار غربية تسرب عن طريق حاملوها من المبعوثين الى فرنسا وانجلترا ، وافكار عربية تخرج على أيادي أفواج المعلمين في الأزهر ، مجتمع علت فيه كلمة « مصر للمصريين » ، وابن البلد فيه يقضى حياته بالنكته التي زاد مجاها من مجموعة المفارقات والغرائب التي نشأت عن نفخة التركي « الكدابة » الذي انهزم في الأستانه ويقول رجل الشارع مثله الرائع :

« أشبعوا يا اولاد شماته على اللي طلوعوا خيال ماته »

وتكثر النكته على الفلاح المصرى والصعيدى الذى يحىء ، الى القاهرة لأول مرة !! وهكذا الشارع الاجتماعى والسياسى فى مصر ، أكثر من ذلك ، كانت دعوة تحرير المرأة قد بدأت تنفذ الى الأعماق ، ويتنشر الصحفيون الأجانب فى القاهرة مثلا ويذهب مندوب جريدة « بول ميل جازيت » الى الشيخ محمد عبده فيصرح له الشيخ قائلا :

« ان توفيق باشا أساء إلينا أكبر إساءة لانه مهد لدخولكم بلادنا ولا يمكن أن نشعر نحوه بأدنى إحترام ومع هذا إذا ندم على ما فعل وعمل على الخلاص منكم ربما غفرنا له لاننا لا نريد خونه وجوهم مصرية وقلوبهم انجليزية !! »

هكذا قال الشيخ محمد عبده .. أحد مكّونى الرأى العام فى مصر ولكن ماذا أيضا كان فى الشارع المصرى :

● زاد عدد السكان فى عام ١٩١٤ (١٢,٢٩٢,٠٠٠ نسمة بعد أن كان عام ١٨٨٢ (٦,٨٠٤,٠٢١ نسمة) .

● انتشرت الملابس الافرنجية ويلبس أولاد مصر المثقفين « البونجور » علامة الرقى ، ويتحدثون باللغات الاجنبية « ارستقراطية مصرية » فى الطريق وانتشرت طبقة الأنفدية ، وبدأت التركية تتزوج الرجل المصرى وكان هذا فى حد ذاته انتصار للدم المصرى .

● صبح المجتمع صبغة التطريب والترفيه وانتشر القمار وكان هناك جيل من المغنيين مثل عبده الحامولى وسلامة حجازى ومحمد عثمان ويبدأ مسرح جورج ابيض الذى كان يعمل

ناظرا لمحنة سيدى جابر ومنيرة المهدي وتنشر السينا ويصل عدد دور السينا إلى أكثر من ٨٠ دارا يمتلكها الأجانب اثناء الحرب العالمية الأولى .

● جواسيس الانجليز والخديوى والسلطان العثمانى فى كل مكان !!

● قصة حديث « عيسى بن هشام » التى نشرت فصولا فى « مصباح الشرق » أصبحت على كل لسان لما فيها من إيماءات وإشارات الى ما يحدث !! كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين ينشر على حلقات فى « المؤيد » .

● الصانع فى مصر أجنبى صانع الاحذية أرمنى ، اليونانى جرسون وصاحب مطعم وبار ، الايطالى نرزى ، المشخصاتى شامى ..

● تنشر جمعية الاعتدال ويكون أحمد لطفى السيد جمعية سرية فى مدرسة الحقوق هدفها تحرير مصر ، ويقول الخديوى لمصطفى كامل اننى أعرف كل شىء عن هذه الجمعية فلماذا لا يشترك معنا لطفى السيد فى تأليف حزب وطنى برئاسة الخديوى !

● يقابل لطفى السيد الخديوى ، ولكن حرصه على الإستقلال كممثل لطبقة جديدة ، يجعله يسافر الى سويسرا ليأخذ الجنسية السويسرية كنوع من الحماية المعروفة فى هذا الوقت بها يحتذى ومنها يتمتع بكل مزايا الأجانب فى مصر .

● أغلقت صحف كثيرة مثل مصر الفتاة ووادى النيل فى سنة ١٩١١ ، وعندما تشن البلاغ المصرى هجومها على الاحتلال وعلى الخديوى تركها السلطة لتصفى نفسها بمصاعبها المالية . منع الاعلان .. وعرقلة عمليات التوزيع .

● بدأت المظاهرات والاضرابات مظاهرة تطالب الخديوى بالدستور فى ١٦ سبتمبر ١٩٠٨ ، ومظاهرة للطلبة أمام صحيفة المؤيد تهتف بسقوط على يوسف فى ٢٤ ديسمبر ١٩٠٨ ، ومظاهرة للطلبة أيام صحيفة المؤيد وإضراب عمال اللواء فى ١٩٠٨ ، وعمال الدخان فى مارس ١٩٠٩ ، وعمال المطابع الافرنجية فى اكتوبر ١٩٠٩ ، يهتفون « جعائين يا افندينا » !! ، وإضراب عنابر بولاق للسكك الحديدية وعددهم ٤ آلاف فى نوفمبر ١٩١٠ . المظاهرات تنتشر !!

ارتبط لطفى السيد بركب الطبقة الجديدة ليعبر عنها، يقول لطفى السيد :
اننا أخذنا نسعى فى اقتناع اصداقائنا ومعارفنا من اعيان البلاد وألفنا فى بيت محمود باشا سليمان شركة الجريدة وانتخبنا مديرا لها ورئيسا لتحريرها لمدة

١٠ سنوات وكان رئيس الشركة محمود باشا سليمان ووكيلها حسن باشا عبد
الرازق الكبير ..

وكان مرتب لطفى السيد هو أكبر مرتب صحفى فى ذلك الوقت ألف جنيه فى السنة!!

من هو لطفى السيد (١٨٧٢ - ١٩٦٣)

التحق بخدمة القضاء ١٨٩٤ واستقال ١٩٠٥ واشتغل بالسياسة وشارك فى تأسيس حزب
الأمة وتولى رئاسة الجريدة (١٩٠٦ - ١٩١٤) ولكنه يعود الى خدمة القضاء وفى عام ١٩١٥
يعين مديرا لدار الكتب أول مدير للجامعة المصرية ١٩١٥ ، ثم وزيرا للمعارف ١٩٢٨ ، وعاد
الى الجامعة ١٩٣٠ ، ثم استقال بعدها بستين وعاد مرة ثالثة للجامعة ١٩٣٨ ، ثم عين وزيرا
للخارجية ١٩٤٦ ونال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ١٩٥٨ . وفى أوائل الثورة
يرفض منصب رئيس الجمهورية .

ومع رحلة الجريدة :

- كان انشاءها سببا فى زيادة مرتبات المحررين والمترجمين وأصبح مرتب المحرر يصل الى
العشرين جنيها . وبدعوا تقليدا جديدا به تدفع إدارة - الجريدة أجور للمقالات التى يكتبها
المؤلفون والصحفيون من خارج هيئة التحرير بالقطعة . وأغروا عمال المطابع والصحف
الأخرى بزيادة المرتبات للعمل فيها وقد أدى ذلك الى رواج مهنة الصحافة والطباعة . أكثر
من ذلك انشأوا لأول مرة وظيفة « المصحح » المتفرغ :
- كانت الجريدة تطبع على آلة روتاتيف وتصدر فى ثمانى صفحات كبيرة قسمت كل
منها الى ستة أعمدة .

- عاشت الجريدة سبع سنوات الى أن اختفت فى أول يوليو ١٩١٥ بنفاذ العدد رقم
٢٥٣٤ وبعدها بـ ٤٩ يوما بيعت ادوات مطبعتها فى مزاد اشترى منه جبرائيل تقلا صاحب
الاهرام ، الماكينة الكبرى .

- دافع لطفى السيد عن دعوة قاسم أمين ويتحدث عن أهمية المرأة المتعلمة ويجعل من
دار الجريدة منتدى للمرأة فى يوم من أيام الاسبوع لتسمع وتقرأ وتحاضر وفى الجريدة كتبت
باحثة البادية ومى زيادة ونبوية موسى ولبيبة هاشم ونفيسة أحمد ، وتحدثت باحثة البادية فى

نادى حزب الأمة فى ١٥ مايو ١٩٠٩ مع بعض السيدات فتنشر الجريدة أول خبر عن سيدة
مصرية وتقول :

أول خطيبة مصرية

خطبة الباحثة بالبادية فى نادى حزب الأمة بحضور مئات من السيدات .

● كان موقف الجريدة من استقالة كرومر موقفا معتدلا فتصدر ملحقا خاصا عن
حياة كرومر واعماله فى مصر تقول الصحيفة :

« اذا نظرنا اليه بعين انجليزى فلا يسع الناظر سوى الثناء عليه ، أما اذا
نظرنا اليه بالعين التى يجب على المصرى أن ينظر بها الى مصلحة وطنة فلا
يمكننا أن نقول له شيئا من الثناء على عمله السياسى فى مصر فانه حرم
مصر من حياة سياسية تطمع اليها كل أمة حية » .

ولكن هذا ليس رأى الجريدة فيه فعندما يصدر اللورد كرومر كتابة « مصر الحديثة »
يرد عليه لطفى السيد فى الجريدة :

« ان اللورد عالم بالقراءة والكتابة بحكم القانون ، ولا يصح أن يكون عالما
بالشريعة الاسلامية بحكم القانون أيضا » .

● يوم حاولوا مد امتياز قناة السويس بدأ لطفى السيد حملة صحفية فى الجريدة وتبدأ
الحملة فى سبتمبر ١٩٠٩ وتحت عنوان « صوت الأمة مسألة القناة » ويستجيب أهل مصر
للحملة الصحفية ويرسلون آرائهم وتعليقاتهم وبرقياتهم يطلبون فيها إحالة المسألة على
الجمعية العمومية وتنفرد الجريدة بنشر الخبر وكان أول سبق صحفى تعرفه الصحافة المصرية .

● برغم من ضخامة المرتب الذى تقاضاه لطفى السيد كرئيس تحرير الجريدة الا أن
الصحافة لا تغريه فهى فى نظرة مهنة من لا مهنة له « ويقول فى حديث مع طاهر
الطناحى فى مجلة « الهلال » قبلت التحرير فى الجريدة لأنشر فيها المبادئ المثلى التى آمنت
بها لقيام حياة ديمقراطية سليمة فلما انتهت عن نشرها فيها اغلقت الجريدة وانصرفت عن
العمل بالصحافة لأننى لم أكن اشتغل بالصحافة محترفا » . وهذا رأى !!
ولكن ... !!

● خسر لطفى السيد معركته الانتخابية . وهاجم الديمقراطية !!

● وأحرق مذكراته السياسية فى منزلة بالمطرية اثناء ثورة ١٩١٩ ، خوفا من بطش
الحكام !!

صحافة لا تتوقف ! ،

كان للمرأة صحافة أيضا هند نوفل أنشأت الفتاة عام ١٨٩٢ في الاسكندرية والكسنداء
افرينو سنة ١٨٩٨ أصدرت أنيس الجليس وليبية هاشم أصدرت فتاة الشرق في القاهرة عام
١٩٠٦ .

وتنتشر موجة الصحف أيضا في هذه الفترة ففي عام ١٩٠٨ تصدر المسامرات
الاسبوعية والمجلة المطبعية لصاحبها فرنسيس افندى ميخائيل وأحمد أفندى السيد والجامعة
المصرية لصاحبها محمود شاهين ومحمد كامل فيضى وعبد الله أمين والصبح لوديع كرم
والنظام لمحمد افندى مسعود وفرعون لتوفيق حبيب (الصحافى العجوز) وتظهر المحروسة
وهى جريدة سياسية ظهرت من قبل ثلاثين سنة وأحتجبت بضعة أيام وعادت الى الظهور
بعد أن اشتراها الياس زيادة وتصدر يومية ويتولى تحريرها ابراهيم اليازجى اشتراكها ١٥٠
قرشا . وتظهر شمس الحقيقة ويصدر اللواء المصور لصاحبها حسن شاكر . وفي عام ١٩٠٩
تصدر مجلة « الشمس » تصويرية تاريخية زراعية تصويرية نصف شهرية لمسيحة خليل
الجرجاوى المهندس بقسم الطبوغرافيا سابقا . وفي أول نوفمبر ١٩١٠ تصدر جريدة الأهالى
سياسية يومية تصدر في الاسكندرية لعبد القادر حمزة ومديرها اللقانى وتنشرها شركة الطبع
والنشر الأهلية » . وتصدر صحف في الفيوم والمنصورة وطنطا والسويس . وفي عام ١٩١٣
تكثرت الصحف العربية في الخارج ، الصديق ، والصحة وجراب الخاوى والمنارة المرقسية وهى
مجلة دينية اسبوعية في الخرطوم لصاحبها مرقص سرجيوس .

وبذلك يبلغ عدد الصحف التى صدرت من ١٨٩٢ - ١٩٠٠ نحو ١٥٠ صحيفة ومن
١٩٠٥ - ١٩١٠ نحو ٢٧٠ صحيفة .. ولكن الازمات المالية كانت تواجه الصحف ولا تبقى
إلا الأهالى ومصر والوطن والوجيز والأهرام والمنار والجامعة ! وتتكون أول نقابة لأرباب
الصحف .

وتقول مجلة الهلال (١٩١٠) عن انتشار الصحافة :

من الطريف أن الجرائد العربية في أول نشأتها كانت تطرح على المشتركين قطعة الصابون فمن
اشترك فيها عدا ذلك أريحه سنة للأخذ بناصر صاحبها ولا يعد دفع الاشتراك من جملة الحاجات
أما الآن فأصبح القراء يطلبون الجرائد والمجلات وكثيرون منهم يرسلون البديل مقدما وسياق يوما
تجرى فيه صحافتنا مجرى سائر المتمدنين فيكون الدفع دائما سلفا »

بين الدكتور شميل والآنسة مى

تشغل الصحافة ومجالسها رأى العام فقد زار الدكتور شميل الكاتبة الآنسة مى فى منزل والديها لأول مرة فجرت بينهما محاوره فريدة من نوعها فقد دخل الفيلسوف خدر الآنسة ولكنها قرأت فى كتاباته عدااء للجنس اللطيف فأبى عليها وفأؤها لنفسها وبنات جنسها أن تبتسم لخصم لا يعرف الابتسام ، ولكنه أخذ يخفف من روعها فقال « منذ زمن طويل أتشوق للتعرف بك فأجابته وهى راجفة - « هذا التشوق متبادل بلا شك غير أبى أخاف منك »

قال : اتخافين منى لماذا ؟

قالت لأسباب أهمها أنك تكره السيدات وإنك عالم وأنا شاعرة روحية الميول « فأحس هول التبعة الملقاة عليه وأخذ يثبت إحترامه للجنس اللطيف ففرحت اذ رأت الرجل العظيم من حزينها ووجدته شاعرا بقدر ما كان عالما . فقد ارسل لها مکتوبها بعدها بيوم أجابت عنها بالفرنسية بتوقيع « ايزيس كويت »

ورد عليها بعنوان الى الساحرة ايزيس :

تقولين انى أسير الثرى	وأنت تحومين حول السهى
وانت فى ذا المحيط ترين	النفوس وانى أريك الصدى
ذلك منى نشيد تصاب	فانشدت فيها اختلاف الهوى
تظنين انى فتنت بباد	وليس الفتانى بهذه الفهى
كأنى نظرت بعينيك فيك	وأنت نظرت بعينى أنا

وتأتى الحرب العالمية الأولى بينا الصحف بدأت تتقدم وتشغل الناس وتعلن الأحكام العرفية .

وفى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ نشرت الوقائع المصرية اعلان الحماية تحت عنوان « اعلان بوضع بلاد مصر تحت حماية بريطانيا العظمى ، ويعلن أمين بك الرافعى رئيس تحرير جريدة الشعب فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٤ أن جريدته ستحجب من ذلك اليوم . وفى ١٩ ديسمبر يخلع الخديوى عباس حلمى الثانى .

وروقت الأقلام وارتفع سعر الورق وتخفى الصحف .. ويوقف التقدم الفنى والطباعى ويقل حجم صفحات الصحف !! وتواجه البلاد حالة كساد بسبب هبوط أسعار القطن !!

ويستمر المقطم والأهرام وبعض الصحف الأخرى . وكانت الطبقة البرجوازية قد انتشرت في وظائف الحكومة ، وتنتشر الاغانى الخليعة ، وكان طابع الصحافة في سنوات الانتقال هذه يغلب عليها الغموض ، صحافة تتبادل الشتائم وتزيد من الفتنة الطائفية التى جاءت بعد اغتيال بطرس غالى .

ويتطور الهلال وتتطور اللطائف المصورة طباعيا .. وتسمع القاهرة عن تطور مسرحى بظهور عزيز عيد والريحانى ويوسف وهبى والكسار وروزاليوسف وزكى طليمات .. وتظهر شخصية موزع الصحف « على الفهلوى » الذى يجلس على قهوة في عابدين ويتحكم في توزيع الصحف . !

وعندما تواجه الصحف ازمة النشر بحرية ، تبدأ ظهور صالونات الصحافة ، والأدباء ، وتبدأ مى زيادة في افتتاح صالونها الفكرى وكان أبرز نجومه العقاد ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى ، وشبلى شميل وأحمد شوقى وخليل مطران وداود بركات وأنطون الجميل وتوفيق حبيب وأمين واصف ومصطفى عبد الرازق ومصطفى الرافعى وهدى شعراوى وادجار جلال وسليم سركىس ويعقوب صروف وادريس راغب وعبد القادر حمزة وملك حفنى ناصف ، ونجيب هواريى وهو خطاط ومحامى وأديب ومؤلف « التزوير الخطى » .

ومن نوادر هذا الصالون أن شبلى كان يحمل على الأدباء في عصره حملاته العنيفة ويصبح بهم : فُضُّونَا من غلبكم يا أداياتية يا أولاد الكلب !

وترد مى ضاحكة : دارون يقول إننا أولاد القرد ولسانك يقول إننا أولاد الكلب فمن الاصدق !!



(٦) سعد زغلول .. صحفيا ..

في هذه الفترة تبدأ الشخصية المصرية في النمو ، الشخصية التي تفاعلت بالجديد ، وبلاستقرار النيل ، الحالة الاجتماعية المتطورة التي وصل اليها المصرى ، طريقته الحديثة في التفكير والتعبير واستخدام الصحافة للتعبير عن الصراع بين السلطة والفرد .. والسلطة والمجموع ، ويكسر المثل الذى يقول ان طلع من الخشب « ماشة » يطلع من الفلاح باشا .. باشاوات مصر من الفلاحين وعلى رأسهم سعد وتكسر شوكة التركى المستعمر وينتشر المثل الذى يقول : زى بعجر أغا ما فيه الا شبنات !

في عام ١٩١٨ كان حى الفجالة هو حى الصحف ، وانتشرت فيه مقاهى الأدباء وفتحت فيه أشهر المطابع وفيها قضى زيدان نحو ٢٥ سنة متنقلا بمطبعته وعائلته عن دار الى أخرى ، وامتازت مقاهى الفجالة بمن يجلس فيها من كبار الأدباء والمؤلفين ففى مقهى « غطوس صبح » كان يجلس الشيخ ابراهيم اليازجى وابن اخته الشيخ نجيب الحداد وسليمان البستاني ، فى هذه المقاهى وضع نظام جنازة اليازجى ، وفيها أيضا بدأت الدعوة لترشيح البستاني للنيابة عن ولاية بيروت ، وفى قهوة الشاترليزيه غرف خاصة كان يجلس فيها جورجى زيدان مع سليمان البستاني وابراهيم اليازجى وسركيس وسليم باخوس ونعوم شقير وفى هذه القهوة إحتفل بتأبين اقلاديوس لبيب محبى اللغة القبطية ، وكان الحديث يتناول الأمور الأدبية والسياسية وبدأت الأمور العلمية تدخل الحياة عندما أعلنت جريدة الديلي ميل جائزة قدرها ١٠,٠٠٠ جنيه لأول من يقطع المحيط بالطائرة وتتولى الأفكار المستوردة اليهم ويتحدثون عن أفضل الطرق للإعلان كمصدر هام للصحيفة ونسمع عن أحد المحلات الكبرى فى نيويورك يوزع كتالوج للدعاية يتكلف ٦٤٠,٠٠٠ دولار . « وحبوب بيتشام » التى أنفق صاحبها مليون جنيه انجليزى للدعاية عنها ويبدأ الاهتمام بالاعلان - مثل الصحف الامريكية التى يأخذ فيها قسم الاعلان نصيب الأسد من الصحفيين .

وتعلن إدارة الهلال في أكتوبر ١٩١٨ أنها قد قررت رفع مطبوعاتها ٤٠ عن ثمنها قبل نشوب الحرب (على أن هذه الزيادة لا تنفذ الا على طلب أيضا بعد أول يناير ١٩١٩ ، فليغتنم الفرصة كل راغب) وتنتقل ادارة الهلال من شارع الفجالة الى سراى تيجران باشا بشارع نوبار رقم ٤ .

وفي عام ١٩١٨ تظهر صحف جديدة مثل الأمة في الاسكندرية لتوفيق طنوس وفي نفس العام تنتقل الى رحمة الله باحثة البادية صاحبة النسائيات ، وكريمة حفنى ناصف .

ولا يزال والحديث عن الأفكار الصحفية الغربية مستمر فتتشر الهلال مقالا عن المهارات الصحفية تعدد في مزايا السبق الصحفي وتقول « للصحافيين اعمال عجيبة تدل على الخدق والدهاء ولكن أعجب تلك الأعمال ما اتاه أخيرا مراسل جريدة شيكاغو تريبيون في باريس من نشر معاهدة الصلح قبل أن تخرج من أيدي واضعها ، وقد تمكن هذا الصحفي القدير من الحصول على صورة المعاهدة وارسالها الى جريدته ، فنشرتها على الملا في حين أن مجلس الشيوخ الأمريكى كان يلح على الرئيس في نشرها وهذا يمنع وهذا يعتذر وقد كان لصدورها في جريدة شيكاغو تريبيون وقع عظيم في عالم السياسة وأخذ الناس على أثره يتساءلون عن هذا العمل العجيب ويستفهمون عن الطريقة التى توصل بها ذلك الصحافى الى حيازة تلك الوثيقة الثمينة .

وفي هذا الجو الصحفى .. والدعوة الى الاصلاح .. وظهور الأسرة الصحفية « والحزب » وانتشار الثقافة والعلم وزيادة رأس المال المصرى ، تظهر قوة البراجوزية المصرية التى ألفت وفدا من الملاك والمثقفين يطالب الجلاء .. والفلاح والعامل والمرأة التى تخرج فى مظاهرة لأول مرة فى التاريخ الحديث !! لقد كانت ثورة ١٩ ليست ثورة صدفة ولكن الانسان المصرى الذى هب كان يطالب وكان مثل تعبير أم المصريين التى قالت عنه : . انهم مثل رمال الصحراء تستطيع أن تشتري عملهم ولكن يوما يهبون كعواصف الرمال ويبتلعونك !

سعد زغلول (١٨٥٧ - ١٩٢٧)

وكان سعد زغلول بطل هذه الثورة ، وقد ولد فى ابيانه بمركز فوه وتعلم فى الجامع الأزهر ثم نال الحقوق وهو قاض وعين محررا للوقائع المصرية سنة ١٨٨٠ واشترك فى ثورة عراقى وعمره ٢٢ سنة عمل المحاماة وعمل وزيرا للمعارف ١٩٠٦ وتزوج ابنة مصطفى فهمى باشا واشترك

في تأسيس الجامعة المصرية مع لطفى السيد ١٩٠٩ وطه حسين وفي عام ١٩١٣ انتخب نائبا عن دائرتي بولاق والسيدة زينب .

وتاريخ سعد زغلول في الصحافة طويل بدأ في الوقائع المصرية وظلت الصحافة هي هوايته طوال حياته ، حتى أنه كان يعد خطبة كتابية ولكنه كان يطرح الورق جانبا في كثير من الأحيان ويرتجل ما يعن له قوله في الظروف التي يخاطب فيها ، وكان يطلب من مندوبي الصحف ان يطلعوه على خطبة قبل نشرها لئلا ينشروا فيها عبارة لا تطابق إحدى عباراته المرتجلة تمام المطابقة .

ورحلة سعد زغلول الصحفية بدأت قبل عمله في الوقائع فقد كتب أيام الدراسة في صحف مصر والبرهان والخروسة .. ولذلك فهو مؤمن بالكلمة الصحفية يقول :

● الصحافة حرة تقول في حدود القانون ما تشاء وتنتقد ما تريد فليس من الرأي أن نسأل بل الواجب ان تسأل أنفسنا لم نفعل ما تنقدنا عليه ..

ورحلته الصحفية طويلة بطول عمره فكان ينقد الاحكام في الوقائع المصرية الى قيام الثورة « العرابية » وكان يكتب عن الثورة ويهاجم طغيان الحاكم وكان يتحائل على نشر اسمه بطريقة غريبة وكان يختم المقال بجملة تنتهي بكلمة سعد ، وكتب مقالا عن « الفقر » قال في نهايته .. هم السعداء الفائزون بالسعادتين والمتبهجون بالنعيم ، في الدنيا أرباب مجد وفي الآخرة أصحاب « سعد » .. وفي مقال بعنوان « الاقدام » ختم مقالته « عساه يصادف منها التفاتا فتتقدم على ما غايته مجد ونهايته « سعد » .. ومن مقالاته بعد أن أشتدت المعركة بين عرابي والحدوي يقول : المستبد عروفا من يفعل ما يشاء غير مسئول ويحكم ما يرسم به هواة وافق الشرع أو خالفة » .

وبعد انشغال سعد زغلول بالقضايا الوطنية وبعمله كصحافي ، وحيث فاته فرصة في اصدار « الاعتدال » فقد كان صديق حزب الأمة ويشارك في الكتابة في الجريدة من وراء الستار وكان يكتب أيضا في الأهرام بامضاء « س » مقالات يطالب فيها بزيادة حقوق الناخبين .. ويكتب مقالا أيضا بعنوان :

هكذا من خوف الذل في الذل ومن خوف الفقر في الفقر . هكذا كان سعد الزعيم يختار ألفاظه صحفية نراه يقول التركة مثقلة بالديون ، الحق فوق القوة وهكذا ..

● وظلت طريقة سعد زغلول في حياته طريقة صحفية : فكان أول

ما يعمله في الصباح أن يقرأ الصحف العربية فيبدأ بالصحف المعارضة منها ثم يتناول سائر الصحف فيقرأ ما يخص الوفد المصري ، وكان يميل عادة الى الكتابة بعد قراءة الجرائد وكان يكتب بالقلم الرصاص كعادة « القضاء وبعض الصحفيين » ثم يلى سكرتيره ما كتب فيكون حيناً مقالا انتخايباً أو قانونياً وأحياناً رداً على حقوقه السياسية أو شرحاً لنظرية وفدية وأحياناً قليلة قطعة ترجمة عن كتاب اجنبى ويرسل الجنزوى سكرتيره ما أملى الى البلاغ أو كوكب الشرق ، وكان الحديث الصحفى .. هو لعبه سعد زغلول الجديدة .

شهدت هذه الفترة .. محاولة الاستعمار لتفتيت الثورة ، وبعد اعلان قرار تصريح فبراير ١٩٢٢ صارت مصر دولة مستقلة لها ملك وبرلمان - باختصار مجموعة - من الصراعات بين الحكام المتباينين الأفكار وبين الشعب - وانتشرت المعارضة وكانت فترة غنية بالاحداث والأخبار والأحاديث الصحفية ، كانت فترة غنية باحداثها السياسية ، التغيير الاجتماعى بدأت تظهر ملامحه على وجه مصر ، انتشر الخطور كوسيلة مواصلات وانتشر أهل الفن والفنانون فى شارع عماد الدين ، ودخل سيد درويش ميدان الغناء بصوته وبكلماته وبالحانه التى تبث ثورة ١٩ .. وأصبحت الكلمة « مصر » على كل لسان ونشيد بلادى .. بلادى .. يهز قلوب المصريين .. وشد الحزام على وسطك يدعو للتقشف .. وخرجت الموسيقى الى الشارع المصرى وتفتح احساس الناس بالحياة !

ويضيق وقت سعد زغلول يبحث عن يعبر عن أفكاره .. أفكار الزعيم وكان العقاد هو صحفى زمانه الذى يستطيع أن يقف أمام صحف المعارضة ويعبر عن أفكار الزعيم أمام الأحزاب المحترفة .. يتقابلان . وكان للقاءهما أثر عظيم على الحركة الوطنية وعلى الصحافة .

- الصحف والمجلات غير السياسية تهتم بالطباعة ، الهلال يستورد مطبعة الروتوجرافور ، وتنشأ عمارتين فخمتين للهلال وللطائف المصورة .
- والصحف تهتم بقسم المندوبين وتتوسع فيه ويظهر المندوب المتخصص

للدوائر السياسية ، الحكومية ، والبوليس والنيابات ، والقنصليات والمفوضيات حتى المسرح أصبح له مندوب متخصص وتظهر أخبار الرياضة في الصحف أيضا وكان « جهينة » ابراهيم علام يكتب الرياضة في الأهرام في مساحة لا تزيد عن ١٢ سم وترتفع أجور المحررين وتصل الى ستين جنيها في الشهر الواحد ! وتظهر صحف جديدة تسبق الأحزاب ، بعد أن كانت الأحزاب وليدة الصحف !

- الأخبار : أمين الرافي سنة ١٩٢٠ . وقد أغلقها ٤ سنوات لكي لا ينشر خبر في فرض الحماية البريطانية
 - اللواء الجديد : للحزب الوطني وتولاها أحمد وفيق سنة ١٩٢١
 - الاستقلال : محمود عزمي ويشترك في التحرير طه حسين .
 - الكشكول : لسليمان فوزي . مصورة .. هزلية .. كاريكاتورية وتجلت عقيدة سانتس رسام الكاريكاتير وصاروخان
 - السياسة : للأحرار الدستورية كشركة يرأس مجلس ادارتها مدحت يكن رئيس مجلس إدارة بنك مصر ويتولاها محمد حسين هيكل .
 - الدستور : سنة ١٩٢٣ .
 - البلاغ : لعبد القادر حمزة سنة ١٩٢٣ واهتمت بالشرق الادنى والبلاد العربية .
 - كوكب الشرق : لأحمد حافظ عوض ١٩٢٤ واهتمت بالشرق الادنى والبلاد العربية .
 - روزاليوسف : للفنانة فاطمة اليوسف سنة ١٩٢٥
 - الجهاد : لمحمد توفيق دياب .
- وتستمر الأهرام والمقطم ..

عباس محمود العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤)

اكتشف سعد زغلول الصحفى عباس محمود العقاد فقد كان أديبا ينشر رسائله في الصحف في الفترة ما بين ١٩٠٧ وفي عام الثورة إنضم العقاد الى الذين عايشوا من مثقفين مصر وعندما يعود سعد في ١٩٢٠ يدلى بمحديث صحفى الى العقاد .. كان حديثا صحفيا رائعا قرأته مصر وقال سعد : « ان هذا الصحفى استطاع أن يعبر في تعليقه عما أحجبت عن قوله وانه لكاتب جبار .

ويشتهر العقاد بأنه الصحفى الجبار !! وأصبح كاتب الوفد وقلمه !!

- ويحكى العقاد قصته بنفسه مع الصحافة بنفسه يقول : فكرت في اصدار صحيفة وكنت أتردد بين إسمين « البيرق » ورجع الصدى وفضلت الاسم الثانى وكتبت العنوان بخطى ليخرجه الحفار كما كتبه - بدعة من بدع التجديد في العناوين - ولا أنسى

نظرة الكتيبى الى من تحت نظارته وهو يقول : لماذا تترك خدمة الميرى وتشتغل بالغازيتى والجرائيل .. انتظر لنرى مائه من هؤلاء « الصائعين » الضائعين يتمنون التراب من تحت قدميك !! ولم يثنيه هذا القول عن العمل الصحفى .. فهو عمل وطنى بالدرجة الأولى . (فى جريدة الاهالى ١٩٠٧) كتب « الاستخدام رقى القرن العشرين » بالرغم من أن الوظيفة كانت وقيمتها معيشة وترف وميزة اجتماعية .

● ويعمل العقاد فى جريدة البلاغ ويتحدث عن الصحافة الوفدية وما تؤديه من واجب التعبير عن عقيدة البلاد السياسية ، لا واجب الدعاية الحزبية

● ● يتحدث العقاد عن الجو الصحفى يقول : كان أهم مكان للتوزيع فى القاهرة هو رصيف المحكمة المختلطة فى العتبة الخضراء وكانت تصدر بدون انتظام وقد ظهرت صحف كثيرة بأسماء كثيرة مثل الكرياج والبيع والجاسوس واللجام والصاعقة والمرصاد وعفريت المقاولين والخلاعة والغندورة والمرستان . وانتشر الكتاب فى مقاهى باب الخلق والفجالة والحسين بجوار المطابع فى هذه الأماكن يكتب المقال حسب الطلب هجوم أو مدح حسب مزاج الزبون والأجر حسب المقال ويسمى بالتحريرى والجرائلى والغازيتى وكانوا عادة ما يكتبون للمجلات « بالقطعة » !!

● ● فى عام ١٩٢٤ ألقى سعد زغلول خطبة العرش بوصفة رئيس الوزراء وكان من المنتظر أن يكتب العقاد تعليقاً فى البلاغ ولكن البلاغ صدرت دون هذا التعليق وعاتب سعد زغلول العقاد لأنه لم ينوه الى خطاب العرش ويدور الحديث :
- ان عبارة الأمانى القومية فى السودان لم تقنعنى ، وبعد حوار طويل قال سعد :
- لو حاسبنى كل فرد فى الأمة حسابك لعجزت لوكالتى للأمة .
ولكن ليس كل فرد فى الأمة عباس العقاد .

ويتسم سعد ويقول صدقت ليس كل فرد فى الأمة عباس العقاد .

● كنت أوقع مقالتي باللقب وبالحرفين الأولين من الإسم فتظهر هكذا « ع م العقاد » ولم ينجو هذا التوقيع من السنة الزملاء - فى بلد القفش والقافية فراحوا يتحدثون عن مقالات « عم العقاد » .

● فى عام ١٩٢٨ حيث بدأت صحافة الحزب الوطنى تهاجم سعد زغلول وتتهمه باختلاس أموال الأمة يقول العقاد كاشفا هذه الحملة :

- أنهم اتباع خيال عصفت بعقولهم سموم الخدرات التي أدمنها فجنح بهم التفكير الى حيث لا يذهب الا الطبع السقيم .
- وهنا نقول ذهب المهاجمون وعاش سعد والعقاد للتاريخ !!
- في سنة ٣٠ نجد العقاد عندما حاول الملك فؤاد تعطيل الدستور يقف في البرلمان ليقول كلمته المشهورة : ان الأمة على استعداد لان تستحق أكبر رأس في البلاد يخون الدستور ولا يصونه .
- في نفس السنة اصدر العقاد كتابا بعنوان « الحكم المطلق في القرن العشرين » وفيه يهاجم النظم غير الديمقراطية .
- كان العقاد يكتب بقلم رصاص وفي أكتوبر ١٩٣٥ أقسم لرؤس الوفد وهو يشير الى قلمه الرصاص ، لن ينتهى هذا القلم حتى تنتهى وزارة نسيم وتستقيل « وزارة نسيم ولكن في ٤ يناير ١٩٣٦ .
- ولكتاب الوفد مواقف من النحاس فنجده يقول عام ١٩٣٥ :
- حينما اختلف العقاد مع زعيم الوفد كان لحملة رئيس الوفد تولى الوزارة وكان ذلك معناه مهادنة الاستعمار فكتب العقاد في جريدة الضياء في ٨ فبراير ١٩٣٦ مقالا بعنوان « عهدى وذكرى » يتحسر فيه على الأيام التي كانت فيها للوفد مواقف !
- ط ● ويعمل العقاد رقيبا على الصحف اسبوعا واحدا يتركه بعد خلافه مع « هورنيلور » الرقيب لسماحة بنشر بعض الأخبار .
- ينقطع العقاد عن الكتابات السياسية ويتفرغ للأدب وينتج ٧٥ كتابا . ورغم شهرته فلم يعمل رئيس للتحريير ولا مرة واحدة .
- عبر العقاد عن أفكار الطبقة البرجوازية .. التي كان من أعز امانها في مصر « حرية الفكر » فأخذ يفكر ويجسد هذه الأفكار ويعيدها .. ولكنها تنوه بعد ذلك في دوامة الحرية السياسية والحرية الاقتصادية والحرية الاجتماعية .. ولم يكن العقاد هو كاتب الوفد وحده .

عبد القادر حمزة (١٨٨٠ - ١٩٤١)

ولد في شبراخيت في البحيرة وتخرج من مدرسة الحقوق ، وعمل في صحيفة الجريدة مع لطفى السيد وترجم القصص وفي عام ١٩١٠ أصدر جريدة الأهالي في الاسكندرية وعمل في المحرسة والأفكار وأصدر البلاغ عام ١٩٢٣ .

● عرف بالأسلوب الهادى العميق .. واهتم بالتاريخ والآثار وعرفت مقالاته باسم العصا لأنها كانت تملأ فى مساحتها عمود وربع وعدد فى العمود الثانى فكانت كالعصا وقد سميت هكذا لأنها « تؤدب وتهذب » .

● كان عبد القادر حمزة من أبرز كتاب المقال السياسى خاصة فى فترة انتعاش الدستور .

● أنشأ البلاغ فى مبنى بجوار بيت الأمة .. فكان سعد زغلول يحب أن يكون الصحفى الى جواره وقريب منه .

● كان البلاغ فى ٤ صفحات كل واحدة ستة أعمدة ٢ سياسة خارجية وحوادث .

● فى نوفمبر ١٩٢٣ يصبح البلاغ فى ٨ صفحات وتظهر الصفحات المتخصصة فى الصفحة المصرية لأول مرة : الصفحة القانونية والصفحة العلمية .

● سر المهنة : كان البلاغ ينشر أسئلته التى تستند الى أوراق ومراسلات خاصة يتبادلها الموظفون وبعض زعماء حزب الاتحاد فأشيع يوما أن قضية دبرت لاضطرار صاحب البلاغ الى التصريح باسم الرجل الذى ينقل تلك الأوراق . ويحضر صاحب البلاغ مجلس الحزب الذى يسأله متهمًا : ما العمل ؟ هل أنت تسأل عن سر المهنة بماذا تجيب ؟ قال : ما رأيك اذا كنت أنت تأخذ هذه الأوراق من رئيس الحزب نفسه ؟ الا يصدقك !!؟

● جدد البلاغ فى الصور والرسوم الكاريكاتورية ، وأصبحت العناوين لها شكل جديد « العنوان الطويل الذى يملأ سطر أو سطرين على عمود واستعمل المانشيت بعرض الصفحة فى ١٩٢٧/٤/٢١ واستمر عليه ، وخصص الصفحة الأخيرة كلها للصور وظهر الكاريكاتير بتاريخ ١٩٣٦/٣/٩

● كان « ضحكك على الصحف » التى لا وجود لها ويعلق عليه بالكلمة الساخرة « كاريكاتير الكلمة » فقد أعلن فى العدد الصادر فى ١٩٢٨/٧/٢٩ عن جريدة حكومية سماها :

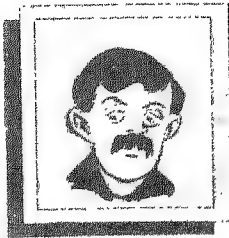
« الدولة »

صاحب امتيازها	: محمد محمود باشا
رئيس تحريرها	: أحمد لطفى السيد
مكان الادارة	: ١٠ - دوانج ستريت

شعارها : الحكومة فوق الأمة
الاشتراكات : تدفع مقدما عن ثلاث سنوات
وأخذ البلاغ يعلن كل فترة عن عدد جديد من أعداد هذه المجلة « الدولة » ساخرا من
وزارة اليد الحديدية وزارة محمد محمود .

- في اليوم الذى صدر فيه المرسوم بحل البرلمان نشر البلاغ مقالا بعنوان « حداد على الدستور » وقال : احطنا البلاغ اليوم باطار من السواد وكتبت على رأسه اذكروا - أيها المصريون دائما أن لكم دستورا وأن الدستور عطل يوم ١٩ يونيو ١٩٢٨ وقد فعلنا ذلك حدادا على الدستور ويبقى ذلك مابقى الدستور معطلا .
- مطبعة البلاغ : اشترى ماكينة الروتاتيف وظل يطبع بها حتى اشترى آلة المانية تطبع ١٥ ألف نسخة. في الساعة عام ١٩٣٠ وفي عام ١٩٤٨ اشترى ماكينة الجمع الالية اللينوتيب وكان يطبع في مطبعة صحف السوارى والاشتراكية ومجلة الأمل لمنيرة ثابت
- وفي ٢٣ يوليو ١٩٣٠ صدر في ١٠ صفحات ثم ١٢ صفحة وفي عام ١٩٣٥ أصبح ١٦ صفحة وأخذ يجرب طباعة الالوان في ١١ / ٩ / ١٩٣١ قتظهر كلمة البلاغ باللون الأزرق والعناوين باللون الأحمر .
- وتختفى البلاغ في ١٧ / ١٢ / ١٩٥٢ ويصدر قرار من وزير الارشاد في ١٦ مايو ١٩٥٤ بألغائها لعدم صدورها بانتظام
- وتنمو الطبقة البرجوازية ويزحف اليها « الأفندية » .. ويطالبون بحقوقهم .. ويصبح لمصر وجه اقتصادى واضح للعالم خاصة بعد انشاء بنك مصر عام ١٩٢٠ .. والظروف الاقتصادية التى واجهت مصر بعد ذلك .





قاسم أمين



مصطفى كامل



محمد فريد



لطفي السيد

لطفی السید (۱۸۶۵-۱۹۰۸) یکی از نویسندگان برجسته و فعالان اجتماعی مصر در قرن نوزدهم و بیستم میلادی بود. او در خانواده‌ای متواضع در قاهره متولد شد و تحصیلاتش را در مدارس مصر و سپس در فرانسه و انگلستان گذراند. لطفی السید به دلیل مشارکت در جنبش‌های اجتماعی و سیاسی، به ویژه در زمینه حقوق زنان و اصلاحات اجتماعی، شهرت یافت. او با تألیف کتاب‌های مهمی مانند «حقوق زنان» و «مصر و مستقبلها»، نقش مهمی در شکل‌دهی به افکار عمومی و تحولات اجتماعی مصر در آن زمان ایفا کرد.



فارس نوری

١٧ (٧) عن صحافة الثلاثينات :

لا يمكن ان تنفصل الصحافة عن واقع الفترة التي تعيشها ، فقد كانت صحافة الثلاثينات صحافة حية أهم ما يميزها هو ميزة المصرى الذى يتباهى دائما بالمعرفة ، وفى هذا تعرضتنا للكثير من المصادرة ومن اليد الحديدية أيضا فترى مثلاً أمين الرفعى الذى أغلق صحيفته بعد إعلان الحماية يعود ويصدرها بعد ثورة ١٩ وحتى عام ١٩٢٥ وفيها يقوم بحملته الصحفية فى نوفمبر من نفس السنة ويدعو فيها أعضاء البرلمان المنحل الى أن يعقدوا برلمانهم فى موعده الدستورى « مادامت الحكومة قد خالفت هذا النص من الدستور » ويعتقد البرلمان فى فندق الكورنيتينتال ! ونرى محمد حسين هيكى يرأس تحرير السياسة التى تدافع عن عدلى يكن ويعمل توفيق دياب فى « السياسة » ويصبح المحرر البرلمانى لها ويطرده من المجلس ويكتب مقالا عن الحادث بعنوان « شخصى الضعيف وكحيل العين » وفى عام ١٩٢٩ يصدر مع محمود عزمى صحفية وادى النيل ويصدر « الجهاد » الوفدية سنة ١٩٣١ - ابان حكم صدق - وشعارها :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا .. ان الحياة عقيدة وجهاد.

وكان الجهاد أول صحيفة تهتم باخراجها الفنى ، الصفحة الأولى ، المانشيت ، الترويسة « لأول مرة والمانشيت باللون الأحمر .

ونرى روزاليوسف تبدأ اعدادها اليومية الاولى بحملات توجيهية هادئة لكن القيادة الوفدية كانت ترى ما وراء هذه التوجيهات ، فاذا بالحزب يجمع ويقرر أن روزاليوسف جريدة خارجة عن سياسة الوفد الوطنية وكان كاتبها الأول الأستاذ العقاد قد خرج من الوفد ، ويجلس كامل الشناوى يقرأ القرار للاستاذ العقاد الذى يلتفت اليه قائلاً :

- هات الاستيكة الكبيرة .. لقد قررت أن أمسح الوفد .. !!

وتصدر جريدة الصرخة لصاحبها أحمد حسين وفتحى رضوان فى أكتوبر ١٩٣٣

وفى ١٣ نوفمبر يقبض على ثلاثة من محرريها كتبوا ثلاث مقالات بهذه العنوانات :

● يا شباب سنة ١٩٣٣ كن كشباب سنة ١٩١٩ : بقلم أحمد حسين

● هل هذه وظيفة الجيش ؟ : بقلم فتحي رضوان

● الانجليز خصوصنا : بقلم حافظ محمود

وتستمر المقطم : وقد ارتبط « المقطم » باسم فارس نمر (١٨٥٦ - ١٩٥١) الذى عاش فى مصر معظم أيام حياته ومات عن ٩٥ سنة ، بعد ان جاء اليها متخرجاً من الكلية السورية سنة ١٨٧٤ واشتهر بترجمة كتاب « الظواهر الفلكية » وفى عام ١٨٧٦ لاشترك مع الصحفى يعقوب صروف فى انشاء مجلة « المقتطف » ، جاء الى مصر بعد الاحتلال بعامين ليصدرها المقتطف . وفى عام ١٨٨٩ يصبح المقطم صحيفة يومية بالقاهرة وفى عام ١٨٩٠ يمنح لقب دكتور فى الفلسفة من جامعة نيويورك واختبر عضواً بالمجمع اللغوى .. حياته كلها كانت تهديد بالقتل فى خطابات تصل إدارة الجريدة وذلك لموقفه من الإحتلال ، حتى محررى الصحيفة أنفسهم كانوا لا يرونه ، يعيش فى غرفة خاصة منعزلة عن بقية المحررين وقد أثرى من رصيد المقطم وأخذ مبالغ طائلة من المصروفات السرية وصلت الى نصف مليون جنية ، ويعدد فى ذلك الاستاذ حافظ محمود فى ندوة فى كلية الحقوق فى ابريل ١٩٥٣ ويقول :

« ليس الذنب ذنب الصحفى المحتاج الذى أخذ ولكن ذنب صاحب النظام الذى أعطى » !!

ويروى الاستاذ مصطفى الحكيم سكرتير تحرير جريدة « المقطم » قصة حياته فيقول :

دخلت ميدان العمل الصحفى فى المقطم وكان يعمل فى المقطم رجلان احدهما الركيل العام للجريدة والآخر محرر الحوادث والأخبار فى البوليس والحائز وكان كلاهما لا يجيدان الكتابة العربية بل كان الأول يجيد جلب الاشتراكات « بالفهولة » متكللاً على ما كان لأصحاب المقطم من نفوذ لدى رجال الحكم فى الاقاليم وكان الثانى يجيد التكلم بالتركية ولكنهما لا يجيدان العربية وهذا ما جعل رئيسى المباشر ان يسند الى جانب عملى تلك الخطابات التى كان يملها على الركيل العام بأسلوبه هو ، فاثمقتها واعيد كتابتها وكان المحرر التركى البوليسى يملئ على اخباره التى يستقيها من مصادره الخاصة وكثيراً ما كنت أرافق المندوب الى المحافظة والى المحكمة لنستقى الاخبار من مصادرها هناك .

والى جانب عملى فى المقطم كنت أصدر صحيفة « المفيد » يشاركنى فى الكتابة فيها كريم ثابت الذى سموه « ابن المقطم البكر » وبعد ذلك أصدرت جريدة « الربابة » هدفها أن تكون فكاهية مدرسية مصورة ، فأعطانى قرياقص ميخائيل مراسل المقطم فى لندن نسخاً من مجلات الأولاد الانجليزية التى تصدر فى لندن للاستفادة بها ، ولكن اسكندر مكاريوس صاحب « اللطائف المصورة » وهو من ابناء المقطم أيضاً علم بمشروعى فأسرع باصدار مجلة « الأولاد » وبالرغم من ذلك صدرت « الربابة » فكاهية مصورة واشترك فى رسومها صاروخان فنان الكاريكاتير .

كان المقطم قد بدأ ينشر فى أخبار الطلبة ومظاهراتهم وكنت أنا المندوب الملائم لخدم فريد وسعد زغول وزملائه لأصف على الطبيعة الأخبار والأحداث ولا أنسى ذلك اليوم الذى كنت أتابع فيه المظاهرة القادمة من الحرم الجامعى ووصلت الى كوبرى عباس وغير من امكنة العبور وحجز عنه الآخرون ، أذكر ذلك اليوم الذى هرع الى المتظاهرين الأبناء

العزل حشود متراصة من جنود « بلوك الحفر » وهم يحملون البنادق والعصى الغليظة وأخذوا ينهالون ضربا على رؤوس المتظاهرين فأخذت أساقب الریح حتى أحتमित بأحد المساكن وعرف أهل المسكن من أنا ، فجعلوني اتصل بإدارة الجريدة تلفونيا وأملهم الخير والقصة !!

رحلات الوفد : وكنت في بيت الأمة الازم الاخبار ورافق الوفد في معظم رحلاته الى الاقاليم وأصفها لقراء المقطم ، وسافرنا يوما الى الزقازيق وهاجم البوليس موكب الوفد وهر في طريقة الى مكان الاحتفال ، وتمزقت « الجلاكة » ونزلت الى شارع جانبي حيث وجدت ترزی اخذ يدارى العيب الذى أصاب الجلاكة .. !!

وسافرت معهم أيضا الى المنصورة في يوليو ١٩٣٠ ويهجم البوليس خاطفا على الموكب عند وصوله الى المدينة وأرادوا النيل من رئيسة بالسكين والعصى والكراييج وكانت لحظة رهبة حين إستل « سنكى » أحدهم نحو الرئيس .. فلقى الأستاذ سنيوت حنا الضربة يمينه فأصابه بالغا ونجا الرئيس باعجوبة ولم ينج واحد من ضربة عصا أو كراياج !!

المصروفات السرية : كان إسماعيل صدق سخيا في عطائه المصروفات السرية للصحافة وقد إستخدم زعيم الطلبة « السعيد حبيب » بتناول الوفد وزعامته بالنقد في مقالات ينشرها المقطم ، وكان أن نازلته بقلمي لأرد عليه في المقطم نفسه دفاعا عن الحرية وقد افسحت رئاسة تحرير المقطم صدرها لما كتب ولكنى وأنا محرر بالجريدة آيت على توقيع مقالاتى هذه باسمى ولذلك اخترت ان اذيلها باسم ولدى « اسماعيل فكرى » وكان السعيد حبيب اذا كتب كلمة ونشر المقطم في اليوم التالى ردى عليه ، يأتى الى دار الجريدة متحفزا ليتعرف على شخصية هذا الكاتب الذى يلاحقه في الرد عليه ، دون جدوى ، وكانت رئاسة تحرير المقطم تسمى له رسائل النشر كلما فرت همته حتى أرد عليه وتفرز هى « بالجعل المقرر » !!

ويقول الأستاذ مصطفى الحكيم أيضا : اشتركت مع زميل محبى الدين رضا في اصدار مجلة « البرق » وفيها رسم عبد المنعم رخا رسوماته الكاريكاتورية ثم يشتريها منا محمد التامبى عوضا عن مجلاته المتعددة التى كان يصدرها وتصادرها السلطات الواحدة بعد الأخرى .

ويقول أيضا علمت فى جريدة الكتلة - أثناء عملى فى المقطم - وكانت تصدر صباحية والمقظم مسائية وكان مديرها العام جلال الدين الحماصى بينا كان رئيس تحريرها أحمد قاسم جردة .. ودب الخلاف ولكنى أثرت أن أعود الى المقطم ومنها الى الأهرام ..

ويستمر الأهرام : ويتعاقب على رئاسة التحرير سليم تقلا وبشارة تقلا ويرفض مطران ثم داود بركات وانطون الجميل وأحمد الصاوى محمد وعزيز ميرزا ومحمد حسنين هيكل ومحمد عبد القادر حاتم وعلى أمين وأحمد بهاء الدين واحسان عبد القدوس ، ويوسف السباعى وعلى حمدى الجمال ثم على حمدى الجمال منفردا ثم عبد الله البارى وإبراهيم نافع ويتطور الأهرام ويصبح له الآن مجلات ومطبعة تجارية ضخمة على أحدث الطرز الطباعية ومركز للميكرو فيلم ومركز للدراسات السياسية والتاريخية ومركز للعقل الالكترونى ووكالة كبيرة للاعلان .

*

يستمر الأهرام الذى أنشأه سليم تقلا (١٨٤٩ - ١٨٩٢) والذى ولد في كفر

شيما .. نفس قرية الشيخ نصيف اليازجى ونفس قرية آل شميل ويحضر الى مصر أيام -
الخدوي اسماعيل فينظم قصيدة رنانه في مدح الخديوى .. ويطلب انشاء جريدة ويحصل
على الاذن في عام ١٨٧٥ ويقول سليم تقلا : انشأت الأهرام وأنا عالم بما يحول دون نشرها من
المصاعب ، فكنت أقضى الليل والنهار عاملا .. بدنا وعقلا فكنت أحررها وأديرها والأحظ
عمالها واكتب اسماء مشتركها وأتولى معظم أعمالها ما يقوم به الآن عشرة .

ولو عاش إلى الآن لوجد ان ذلك العمل اليوم به نحو مائة فرد !!

وصدرت الاهرام مرة في الاسبوع ولم يستطع نشرها يوميا الا بعد فترة وذلك أنه بعد
إصدار الاهرام بيضع سنوات أصدر جريدة يومية سماها صدى الأهرام والاهرام تصدر
اسبوعية كالعادة ، وقد طبع من الاهرام في العدد الأول أربعة آلاف نسخة وزعها على نخبة
أهل القطر وأعيانه كجارى العادة في الجرائد عند أول صدورهما فرجعت اليه الا بضع
عشرات منها ، وظل مواظبا على اصداره حتى صدر من أمر الحكومة بالغائه وإقفال المطبعة
لانه درج أمرا ساء الخديوى فهرب من وجه الحكومة وسجن اخوه وشريكه بشارة تقلا ثم
توسط بعض أهل النفوذ فأفرج عن المطبعة وأصحابها وأصدر جريدة « الوقت » يومية
ولكنها لم تعيش طويلا فأصدر الاهرام مرة أخرى .

وفي اثناء ثورة عراقى ، اضطر الى الهجرة الى سوريا ، وعند حريق الاسكندرية أصابت
النيران مطبعة الأهرام واحترق الكثير من أعماله وكتابات ومؤلفاته وأجزاء كثيرة من المطبعة
وأختفت بعض الكليشيات - حتى أننا نجد الأعداد التي صدرت بعد ذلك عليها اسم
الأهرام بالحروف وليس بالخط - ثم يعود الى الاسكندرية - ويعاود اصدار الأهرام .. ثم
ينتقل بالاهرام الى القاهرة ...

من شخصيات الأهرام :

داود بركات .. وهو رجل يحب الصحافة .. قال عنها .. « ان الصحف المصرية
كانت المدرسة الوحيدة لتربية الأمة الحرة لان التعليم فى مدارس الحكومة لم يكن حرا ..
وداود بركات من بلدة بعشوت اقليم كسروان فى لبنان وكان مدرسة هو عبد الله البستاني
وعندما نجى الى مصر فى عام ١٨٩٣ ويراها عزيز النير .. صاحب « المحروسة » يطلب منه
العمل فى التحرير .

وفي سنة ١٨٩٦ يقول : اتفقت مع الشيخ يوسف الخازن على اصدار جريدة يومية ونجحنا وكان عندنا الفين اشتراك وكنا نبيع في اليوم ٨٠٠ نسخة واختلفت مع صاحبها خليل مطران ورجاني أن أقوم بالتحرير في الاهرام بدلا منه حتى يتمكن من اجازة سنوية وفي نفس الوقت سافر بشارة تقلا وطلب منى تحرير الافتتاحية لسفرة وأسرته الى أوروبا . وعند عودتهم تقابلنا نحن الثلاثة في فندق واتفقنا .

وكان داود بركات يوقع بتوقيع بالأحرف الأولى هي « دب »

وكان بركات ينصب على الورق فيكتب المقال .. وهو طول النهار في اختيار واجترار يتكلم مع هذا الوزير ويقرأ هذا الخبر حتى إذا جاء الميعاد في العاشرة مساء تناول القلم ويكتب كأنما أحد يملأ عليه ولهذا السبب كان لا يبالى بثلاثة أو أربعة من الضيوف يتكلمون حول مكتبة بل احيانا يناقشونه لانه يمضي في نقل ما اختمر في ذهنه طول النهار فديته هي ثمرة رؤية سابقة يشترك فيها العقل الباطن على غير وعيه .

وكانت بتسي تقلا تشارك داود بركات عمله يدا واحدة وكان المحررون والعمال وصاحب الجريدة يعملون أسرة واحدة وكان بشارة تقلا يتمنى أن تصبح خزانة الاهرام صندوق توفير للعمال والمحررين ويموت بشارة تقلا في ١٩٠١ فقامت مدام تقلا بالعمل بعد ان تنهى أمور بيتها في الثامنة صباحا تحضر الى الجريدة فتتزل الى المطبعة وتراقب العمل وبعد ذلك تصرف الأمور إدارية وتشارك في التحرير وتحادث مصادر الاخبار ثم تخرج لتدير شئون الأبنية والأملاك !!

نجيب كنعان

عمل في الاهرام مترجما ثم محررا وسكرتير تحرير ثم مديرا للتحرير . كل ذلك في عمل دالب ونشاط .. واليه يسب الفضل فيما وصل اليه الاهرام أيامه من مظهر صحفي جميل يشمل الشكل الخارجى والتريض والتوبيج والتنسيق في الاخبار والمقالات والأبواب النابتة .

كان طالبا في كلية طب القصر العيني في السنة الثانية حتى وجد نفسه بلا عمل في اجازة الصيف (ثلاثة أشهر) فقدم الى داود بركات وكان صديقا لوالده الصاغ الدكتور سعيد كنعان من أطباء الجيش المصرى فرحب به مترجما في القسم الخارجى بالأهرام برئاسة توفيق اليازجى فظهرت براعة نجيب كنعان في ترجمة المقالات والبلغرافات .

وكانت أول مهمة كلفه بها داود بركات في أول ليلة عينة فيها أن أوفدة الى « بيت الأمة » لمقابلة سعد زغلول الذى أملاه بيانا سياسيا نشر في اليوم التالى في الأهرام . وفي الليلة التالية أرسلته الى دار المندوب السامى البريطانى للحصول على بيانات سياسية أخرى ..

(.. وكانت سنوات ١٩٢٦ و ٢٧ و ٢٨ سنوات المحاولات الجزئية التى قام بها الطيارون الفرنسيون والانجليز والامريكان لاجتياز المحيط الاطلنطى وهى المحاولات التى كللها لنديرج الاميكي بالنجاح في سنة ١٩٢٧ بالطيران بمفرده من امريكا الى باريس مباشرة على طائرته « بونج سانت لويس » وكان كنعان مكلفا بترجمة البرقيات الخاصة بهذه المحاولات .

وكانت الصفحة الأولى في الأهرام في ذلك الوقت مخصصة للمقال الافتتاحي للاستاذ بركات (٣ أو ٤ أعمدة) في الصدر يقابلها مقال أدنى وفي أسفل الصفحة بعض الشذرات ومقال صغير « مافل ودل » للمحامى عزيز خانكى ثم للاستاذ الكبير أحمد الصاوى محمد فيما بعد . وكانت « ترويسة » الأهرام ، تشغل ما ارتفاعه ١٥ سنتيمتر تقريبا على عرض الصفحة . تلى ذلك الصفحات ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، وكانت مخصصة للاخبار الخارجية : تلغرافات خصوصية على عمودين ونصف بعضها تحت بعض على الصفحات الأربع بتنسيق بسيط جدا وعنوانات شاملة في أغلب الاحيان .

وقد نجح نجيب كنعان في اقتناع داود بركات بالخروج بمحاولات الطيران التى كانت تهر العالم من الصفحات الأربع الداخلية الى أسفل الصفحة الأولى .. ودعم عمله هذا بأن كان ينشر مع البرقيات صور الطيارين وطائراتهم وكان ينقلها عن الصحف الخارجية . وقد بدأ بعمل كليشهات لها على حسابه الخاص في معمل زنكوغراف « بربويان » وهكذا دخل مرحلة جديدة من نشر صور الاحداث .

عاد جبرائيل تقلا صاحب الأهرام من اجازته في أوروبا ليجد تغييرا في الصفحة الأولى - من جريدته ارتاح اليه كل الإرتياح واستدعى ذلك الشاب البالغ المسئول عن هذا التطور - ولم يكن قد تجاوز الحادية والعشرين من العمر . وتحدث اليه عن أفكاره وتصوره لما يجب ان تكون عليه الصحيفة العصرية بشكل يتفق مع المزاج العربى ، بعيدا عن التقليد الأجنبى . ومنذ ذلك الوقت اشرك تقلا نجيب كنعان في جميع مشروعات تطوير الجريدة نظاما وتحريريا وشكلا واستورد معملا للزنكوغراف احضر له أحدث الاجهزة من فرنسا باشراف مهندس فرنسى فأصبح أكبر وأحدث معمل من نوعه في الشرق الأوسط . وهكذا زادت الصور في الأهرام . وتم التعاقد مع المصور « هنزلان » العالمى مصور الملك فؤاد الخاص على تزويد الأهرام بصور الحفلات الملكية والرسمة وصور شخصيات الدولة . ومع مصور آخر لتصوير الاحداث ومصور ورتوشير مقيم في الأهرام وأنشأ معمل تصوير وغير ذلك من مستلزمات قسم كامل للصور عهد برئاسة الى نجيب كنعان علاوة على عمله في التحرير .

● كانت اجتازة صيف سنة ١٩٢٦ قد انتهت ولكن لم ينته معها عمل نجيب كنعان في الأهرام بل استمر في الكلية في النهار وفي الجريدة في المساء الى أن جاءه تقلا بك يوما يسأله : كم تال مرتبا عندما تتخرج طيبيا ؟؟ فأجابة بحماس : اثني عشر جنيا !

ورد تقلا بك ضاحكا : دعك من الطب فالصحافة انفع والد لك وسأعطيك ١٥ جنيا مرتبا شهريا وأهديك سيارة لتقلاتك بدلا من الدراجة التى تركبها !

وفي يوم في أوائل الثلاثينات عرض نجيب كنعان على جبرائيل تقلا مشروع صفحة كاملة بالصور تزين يوميا بصور أهم حوادث العالم فوجد معارضة من صاحب الأهرام . وأمام رغبته قبل تقلا بك القيام بالتجربة وترك الأمر لنجيب وسافر الى الاسكندرية « حتى لا يرى اللطع السوداء التى ستظهر في اليوم التالى » كما أسماها !!

وقد بذل نجيب كنعان مجهودا مضنيا في ذلك اليوم لتحضير الصفحة بمقاسات دقيقة - لتظهر بمحبة التوضيب مع شرح واف لكل صورة .. وظهر الأهرام في اليوم التالى بصفحته الأخيرة الرائعة مما كان حديث الجميع وثناء القراء على هذه الخطوة الموفقة . واتصل تقلا بك تليفونيا من الاسكندرية بنجيب بينة ويشجعة على المضى في سبيله .

كان التطور يجرى في الوقت نفسه في بقية الصفحات . كان اولها اختفاء المقال الافتتاحي الضخم من الصفحة الأولى بعد تنحيه داود بركات عن رئاسة التحرير خلافا في الرأى السياسى بينه وبين صاحب الأهرام سنة ١٩٣٣ وتعيين أنطون الجميل رئيسا للتحرير وكان مقلا في كتاباته السياسية ولما كانت خبرته في الصحافة اليومية محدودة عين

نجيب كنعان سكرتيرا للتحرير الى جانية يسنده في العمل الصحفى المعقد . فأطلق رئيس التحرير لسكربتيره الحرية في تطوير الجريدة تحت إشراف تقلا بك .. وكانت الجرائد الأخرى في مصر وغيرها تتقل هذه التطورات اولا فأول . ومنها تضييق « ترويسة » الأهرام الى الشكل الذى هو عليه الآن . وإختفاء المقالات من الصفحة الأولى وظهور أهم الأخبار المحلية والخارجية مكانها وكلها مزينة بالصور أما صفحات الأخبار الخارجية فلم تعد انهارا متراصه على عمودين بل أصبح لكل موضوع أو خبر عنوان يتناسب مع أهميته على عمود أو اثنين أو أكثر . وانتقل المقال الافتتاحى الى الصفحة الفردية (اليسار) في قلب الجريدة ومن حوله في هذه الصفحة والصفحة المقابلة لها الأخبار المحلية .

وساهم نجيب كنعان بقسط وافر في النشاط الذى كان يبذله تقلا بك مع محمود خاطر الخطاط الكبير ومدير مطبعة بنك مصر وبعده مع الأستاذ عدلى بولس خطاط الأهرام العتيد في تحضير الحروف الجديدة بنط ٩ وبنط ١٢ ثم الإنباط الكبيرة الاخرى وقدموها هدية الى شركة آلات جمع الحروف « الانترتيب » فقذفها على ماكيناتها وجعلت حق الافراد باستخدامها لمدة سنة للأهرام وتوزع على سائر الصحف في مصر وبقية العالم العربى . ثم انتقل النشاط الى تحضير الحروف للعنوانات الضخمة واستكملها الأستاذ توفيق بجرى مع الاستاذ عدلى بولس في الستينات واصبح الاهرام أول من استخدم العناوين الكبيرة حروفا .

واستبغ تغير شكل الجريدة أن بدأت تظهر العناوين المكتوبة بخط اليد الجميل سواء كانت للأخبار الخارجية أو الخلية في الصفحة الأولى ثم كافة الصفحات .

وساهم أيضا مساهمة كبيرة في التحرير فكان له العديد من الريبورتاجات والمقالات ومنها على سبيل المثال ما حدث في ليلة من ليالى عام ١٩٣٥ حين حضر تقلا بك الى مكتب نجيب كنعان وأبلغه انه سمع اشاعة قبل فترة بأن البروفيسر مونتيه استاذ المصريات في جامعة ستراسبورج الفرنسية قد توصل في حفرياته التى يجريها في تل بسطة بجوار صان الحجر الى مقبرة الفرعون الذى على عهده هرب اليهود من مصر وقال أن هذا الاكتشاف قد يؤدى الى حقائق رائعة كانت مجهولة في التاريخ ولابد من تغطية الموضوع تغطية كاملة .

كان نجيب على صداقة بالبروفيسور الأب ريتون المدير العام لمصلحة الآثار فقصد الى داره بجوار المتحف المصرى في الساعة ١١ مساء فقبل له انه في دار الأوبرا الملكية يحضر احدى المسرحيات . ولم يكذب خبرا ودخل عليه في بنواره الخاص بالأوبرا والمسرحية في أوجها .. دهش المدير العام لحماس الصحفى الشاب واجابه بأن البروفيسور مونتيه اتصل به تلفونيا أثناء النهار وحاول ان يبلغه الخبر الا أن خط التليفون انقطع ولم يكمل حديثه .

وعاد نجيب الى الأهرام حيث كان تقلا بك في انتظاره فأعطاه مفاتيح سيارته وقال له : لك أن تأخذها حيث تشاء .

فأخذ نجيب أوراقا وقلما وآلة تصوير وشريط مغنسيوم (لم يكن الفلاش معروفا في ذلك الوقت) وانطلق بمفرده في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل الى صان الحجر بمدينة الشرقية على الحافة الجنوبية لبحيرة المنزلة .. وصل الى مكان الحفريات في الساعة الرابعة صباحا فوجد مونتيه لا يزال نائما فانتظره الى ان استيقظ في السادسة فقابلته واخذ منه كل ما عنده من معلومات ثم نزل معه الى بئر في نهايتها المقبرة حيث التقط عدة صور بالمغنسيوم ولما صعد الى الحافة أخذ منظرا عموميا للمنطقة بعد أن بزغت أشعة الشمس وقفل راجعا الى القاهرة . وهناك عكف على تجميع الفيلم بنفسه ثم شرع في كتابة الريبورتاج الضخم الذى حصل عليه . وفي صباح اليوم التالى ظهر الأهرام وعلى عرض صفحته الأولى ريبورتاج مع عدة صور فكانت له رجة عالية وتناقلته وكالات الأنباء ونشرته صحف العالم نقلا عن الأهرام . هكذا يتذكر الاستاذ كنعان !

وقيل فجر يوم الاثنين ٥ مايو سنة ١٩٤٥ انتهى نجيب كنعان عمله في الجريدة وقصد الى دار صديق له في كوبري القبة ليشترك المدعون في الاحتفال بعيد شم النسيم . ثم عاد الى منزله ليستريح وعند الساعة ١١ قبل الظهر استيقظ وفتح جهاز الراديو كعادته دائما ليستمع الى اخبار الاذاعة البريطانية وكانت خير مصدر للأخبار طيلة مدة الحرب العالمية الثانية واستمع الى المذيع يكرر هذه العبارة بين فترة وأخرى الى ان دقت الساعة ١٢ ظهرا فأعلن أنه منذ لحظات تم توقيع عقد الهدنة بين الحلفاء والمانيا بدون شروط بمدينة ديس بفرنسا .

كان الأهرام وسائر الصحف المصرية في ذلك اليوم في عطلة شم النسيم . وكان انطون الجميل يقضى أجازته هذه باللاسكندرية ومعنى ذلك ان قارئ الأهرام وغيره من الصحف سيظل مجهل عقد الهدنة أو على الأقل تفاصيلها الى صباح يوم الأربعاء .

وفي الحال انطلق نجيب الى دار الأهرام ولم يكن فيها الا البواب فأبلغه انه قرر استئناف العمل في الحال واصدار الجريدة في صباح الثلاثاء وقصد بعد ذلك الى بلدة أمبابه حيث يقيم معظم عمال مطبعة الأهرام والحاج دسوقي عامل التليفون ونشر الخبر بينهم بسرعة . ولم تأت الساعة الثانية بعد الظهر الا وكان المحررون في مكانهم وعمال الجمع امام ماكيناتهم .

وصدر الأهرام « في اليوم الثاني زاحرا بتفاصيل عقد الهدنة واستسلام المانيا النازية »

وقد فوجئ انطون الجميل بالباعه ينادون بالاهرام في شوارع الاسكندرية !

(وفي سنة ١٩٤٧ انتقل الى رحمة الله انطون الجميل فعين مجلس إدارة الأهرام - وكان الأهرام قد اصبح شركة مساهمة - نجيب كنعان مديرا للتحرير . وقد بعث رئيس مجلس إدارة الأهرام في سنة ١٩٥٦ بخطاب شكر الى نجيب كنعان يشي فيه على مجهوده الرائع وإخلاصه الشديد لجريدته ويقول « ان الفضل راجع الى مدير تحريره اخلص القدير . نجيب كنعان » .

كنعان هو الذى عرض على هيكل رئاسة التحرير !

وظل نجيب كنعان يدفع الأهرام بمعاونة زملائه من محررى الأهرام طيلة السنين من ١٩٤٧ - ١٩٥٧ حين بدت في الجو شيء جديد وقيل أن الأهرام سوف يعرض للبيع وقد تسرب هذا النبأ ، على أن نجيب كنعان سيتترك العمل في الأهرام . فاتصل بالأستاذ محمد حسين هيكل وطلب لقاءه . وفى اللقاء ذكر الأستاذ هيكل بأنه مكلف من الرئيس عبد الناصر بتبليغ كنعان انه مجند في الأهرام وليس له ان يتركه بأى حال . وأن غرضنا ان تكون الصحيفة الأولى في البلاد في يدنا ونحن مقبلون على انتخابات نيابية . فرد نجيب كنعان : الا يكفي ضمانا لذلك ان يتولى هيكل اقرب المقربين الى الرئيس رئاسة تحرير الأهرام ؟

وفوجيء هيكل بهذا العرض وسأل عن جديته فأجابه كنعان بأنه سبق له أن بحث هذا العرض في مجلس إدارة الأهرام المؤلف من الأسرة صاحبة الجريدة ووافق الجميع على إقتراحه وسمحوا له بمفاتيحة هيكّل به .

- نجيب كنعان : الا توافق على هذا العرض ؟

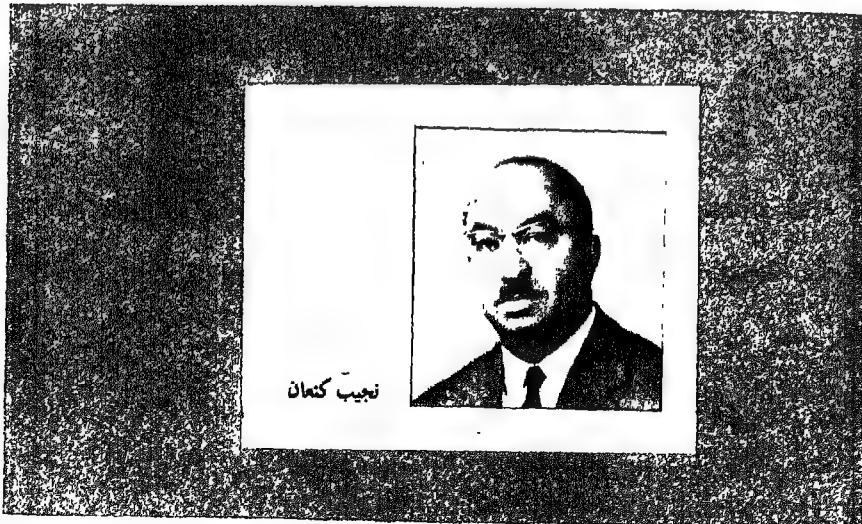
- محمد حسنين هيكّل : كيف لا اوافق ورياسة تحرير الاهرام هذا أقصى ما يتمناه صحفى فى مصر ؟ ما العمل اذن ؟

- كنعان : اعرض الأمر على الرئيس وأستأذنه فى القبول .

وفى اليوم التالى اتصل هيكّل بكنعان وابلغه موافقة الرئيس عبد الناصر وطلب تحديد موعد مع مجلس الادارة فتم له ذلك بعد ظهر اليوم نفسه فى منزل احدهم ولم يستغرق - الاتفاق أكثر من نصف ساعة ، كان بعدها بأسبوع (أول أغسطس ١٩٥٧) الأستاذ محمد حسنين هيكّل يتولى رياسة تحرير الأهرام محتفظا الى جانبة بالاستاذ نجيب كنعان مديرا للتحرير .

وقد فوجيء نجيب كنعان بأول مقال يبعث له من اجازته فى لندن فى أول عهد هيكّل بالاهرام ينشر بعنوانات كبيرة وصورة للكاتب مما كان تجديدا فى اسلوب النشر .

ويحكى نجيب كنعان قصة وفاة جبرائيل ليقول انه كان يتشائم اذا رأى رجلا يعرج فلم يعين المازنى فى الاهرام لهذا السبب بالرغم من انه كان يكتب المتاجية الاهرام مدة ٥ سنوات الى جانب عمله فى البلاغ ، وحدث يوما أن وقع الاستاذ أسعد داغر فى محطة سراى القبة ونقل الى المستشفى بعد أن كسرت رجله وكان جبرائيل يطمئن عليه يوما ويسأله هل سيظل يعرج ؟ وحينما خرج أسعد داغر من المستشفى وعاد الى الأهرام وراه صاحب الاهرام يعرج لم تقض أيام الا ومات صاحب الأهرام !!





• «البلاغ» وصفحته الأولى تشابهت
الصحف في الاخراج ولم تكن الصورة قد
دخلت بعد لتجد مكانها مع المقالات
والاخبار.

(٨) نجوم جذبتهم الصحافة

كان المفكر المصرى يتحدث عن مشروع الكتابة العربية على طريقة عبد العزيز فهمى الذى طالب بالغاء الحرف العربى واستبداله بالحرف اللاتينى ، ويعد المشروع فى مجمع فؤاد الاول لبحثة ودراسته ويعد لوحة كتبت عليها عبارة عربية ويبت من الشعر كتب الحروف اللاتينية ، وبهاجم المشروع :

(١) ان المجمع اللغوى وجد لتنقية اللغة من الدخيل فكيف يطلب منه أن يقضى عليها قضاء مبهما ويسلبها نضارتها وازدهارها ونحوها ؟

(٢) ان محاولة استبدال اللغة العربية يبدو عملا لا يرتضيه أحد .

(٣) كيف يجوز لمصر المناداة بالوحدة العربية وهى تحاول أن تمحو العربية ؟ وكان للاستاذ لطفى السيد رأى : « لابد من البحث عن طريقة خير من الرسم الحالى ، وقد اقترحت فى عام ١٨٨٩ وضع الحروف « اللاتينية » بدل علامات الشكل فى الكلمات وأما الهدف الذى يرمى اليه عبد العزيز فهمى فهو فى إعتقادى الاصلاح البرىء الذى من شأنه تقويم السان العربى والمحافظة على اللغة والحرص على النطق السليم بها وذلك الحرس الذى أعياه منذ الصبا وهو فيما أعرفه لا يتمسك بالحروف اللاتينية كطريقة للكتابة العربية الا أنه لم يجد غيرها واذا وفق أحد الى طريقة أخرى فهو أول من يأخذ بها بل يعطى جائزة عليها !!

إختلعت المسائل الأدبية بالمسائل الصحفية والسياسية والفنية وكان لظهور صحف

المعارضة الفرصة لظهور نجوم جدد فى الصحافة المصرية بعضهم لمع واشتهر والبعض

الآخر عمل فى الظل . !!

وقت أن بدأت ثورة ١٩١٩ بدأ .. الصراع على السلطة وإنتشار الاحزاب العديدة والمعارضة .. وينجح القصر والاستعمار فى استقطاب زعمائها لضرب حزب الوفد ، وتنتشر

الصحف كل أنواع الصحف ويشند ساعد الانسان المصرى .. ويقف حائرا . !! على الأقل أمام أزمة القطن الطاحنة سنة ١٩٢٨ !!

كانت قراءة الصحيفة قبل ذلك بنحو ثلاثين سنة نوع من الوجاهة .. يكفي ان ينادى رجل البريد وهو يحمل الصحيفة قائلا « بوسطة » ليشبع غرور المشترك ، ولكن فى هذه الفترة كانت الصحيفة تشبع الروح المصرية التى تتباهى بمعرفة « بواطن الأمور » . وأصبحت الصحافة فن جديد بدأ يرتقى : -

● فى صحافة سنة ١٩٢٣ حيث الدستور ينص على حرية الرأى والحياة البرلمانية ونشأة الاحزاب تصدر صحف كثيرة .. وتكثر المظاهرات والاضرابات .

● فى صحافة سنة ١٩٣١ وفى وزارة صدقى ادخل فى قانون العقوبات ما يبيح تعطيل الصحف ومصادرتها والسجن والغرامة معا وصدر تحذير من نشر أخبار الأسرة المالكة وفى المادة ١٤٤ من قانون المصلحة المالية :

« لا يجوز لمستخدمى الحكومة ان يعطوا اخبار الى الجرائد التى تنشر فى القطر المصرى أو فى الخارج سواء كانت باللغة العربية أو بأية لغة أخرى والامر يبدو ملحوظات شخصية بواسطة الجرائد ولا أن يكونوا وكلاء لها ويحظر على المواطنين والمستخدمين أيضا الا يشتركوا فى اجتماعات سياسية أو أن يبدو آراء أو نزعات سياسية وكل مستخدم يخالف حكما من هذه الأحام يكون قابلا للعزل »

وظلت الأهرام والبلاغ والسياسة وكوكب الشرق والجهاد والأساس من أبرز الصحف وصدرت الكشكول وروزاليوسف وآخر ساعة والسياسة الاسبوعية والصرخة ومصر الفتاة ، وكان من أبرز كتاب هذه الفترة داود بركات شيخ الصحافة ، خليل ثابت بطل الترقيات ، محمد حسين هيكل الذكى ، عبد القادر حمزة ، ملك التحليل ، حافظ عوض الصحفى بمعنى الكلمة ، عباس العقاد ، أمين الرافعى ، ابراهيم المازنى الذى يكتب باسم « مطلع » ، طه حسين ، توفيق دياب ، محمد التابعى ، الذى يستطيع تحرير مجلة بأكملها جملة واحدة ، فكرى أباطة ، محمود عزمى ، أحمد حسين ، انطون الجميل .

وكانت فترة تطورت فيها فنون الطباعة الأنيقة فى صحف « الشوام » ، وانتشر الاجراج الجيد والصورة الصارخة والكاريكاتير المعبر فى الصحف الوطنية وتطور أسلوب الكتابة

فأصبح أنيقا وسهل ولاذع ومناور وأحيانا ملفوف بالرمز .. وظهر النقد الصارخ الساخر !!
.....و

● يقفز الخبر الى الدرجة الأولى في سلم الصحيفة وأصبح في فترة ما بين الحرين هو دعامة الصحيفة وكان ذلك بسبب الانقلابات السياسية والظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها مصر وينشأ أول قسم للأخبار في جريدة السياسة عام ١٩٢٢ ، ورئيسة سامى قصيرى وفي الأهرام ينشأ قسم آخر برئاسة نجيب هاشم وصالح البهنساوى .

● ويرتفع توزيع الصحف ونرى « السياسة » توزع ٥٠ ألف نسخة ويرجع السبب الى إنها تنشر المرافعات عن محمد حسين هيكل وحافظ عفيفى بسبب مقالات طه حسين ضد سياسة الوفد والتي نشرت بدون توقيع .

● يعاد العمل بالدستور في عام ١٩٣٥ وتنتشر الصحف ، هزلية مثل الفكاهة وتشتهر بشخصية الشاويش شعلان عبد الموجود ، خيال الظل ، والكشكول وتدخل المعركة السياسية وتفضح الأعراض وتتحدث عن قضايا المرأة والجريمة .. وبدلا من التنكيت على المحتل أخذت تنتقد بالمصرى نفسه .. وتنتشر مجلة مثل الخلاعة .. وتنتشر شخصية ابن البلد في الصحف الذى يقول دائما « اشمعنى » ويدخل في « القافية » ، وانتشرت صحف جادة آخر ساعة لمحمد التابعى الذى اخترق الصحافة بأسلوب رشيق جديد وتظهر المصرى في ١١ أكتوبر ١٩٣٦ لآل ابو الفتح .

شخصية من هذا الزمان

سلامة موسى (١٨٨٧ - ١٩٥٨)

كاتب مصرى عرف بأعجابه بالثقافة العلمية الحديثة ودعا الى البساطة التامة في الاسلوب ليقراءة أكبر قاعدة جماهيرية عمل في عدة صحف مثل الهلال رئيسا للتحريير سبع سنوات والبلاغ والمقتطف ومصر والعصور وأخبار اليوم ولكنه اشتهر بالمجلة الجديدة التي أصدرها عام ١٩٢٩ وكتب اعلان فيها بعد ان ترك الهلال يقول :

مجلة المصرى - مجلة اسبوعية سياسية مصرية لصاحبها ومحررها سلامة موسى ستصدر هذه المجلة قريبا من إدارة المجلة الجديدة في حلة زاهية حاوية للمقالات المفيدة المصورة وستتناول الموضوعات السياسية

والعلمية والاجتماعية بالشرح والتعليق والتصوير وتأق على أخبار الجديد في العالم والتمن قرش »

وكانت مجلة الهلال مجلة سياسية وغير مصرية وبقرش ونصف .

ويقول الأستاذ كمال نجيب سكرتير تحرير الاهرام المركزى : حارب اللبنانيون سلامة موسى في مصر فقد كان يرأس تحرير الدنيا المصورة وكانت أكبر الصحف انتشارا في مصر وكانت تصدر مرتين في الاسبوع بحجم مجلة « آخر ساعة » ولاحظ سلامة موسى ان أصحاب دار الهلال يخرجون بعض العناصر المصرية ويعينون مكانهم بعض اللبنانيين فلفت نظره ذلك وذهب الى اميل زيدان يطالب بتفسير هذه الظاهرة ويصر سلامة موسى على عودة المصريين الى حد الاستقالة من دار الهلال . واصدر المجلة الجديدة وكون « جمعية المصرى للمصرى » قامت بالدعوة لكل ما هو مصرى وأخذت تشجع الصناعات المصرية وتدعو لمقاطعة البضائع الانجليزية فانتشرت المناذيل الخلالى « في المجلة الكبرى وانتشرت الطرايش الملونة وكانت « لبدة مصبوغة بلون اخضر أو أحمر أو أبيض بعد أن كانت تستورد من النمسا وعلى أثرها قام أحمد حسين « بمشروع القرش »

كانت صحف الشوام تحكم الصحافة في مصر فاعلنوا الحرب على سلامة موسى وحاربوا روزاليوسف اليومية وأستطاع الأهرام بغلقها في مجدها الصحفى المصرى ، فقد كانت روزاليوسف يوزعها متعهد من اثنين من المتعهدين هما : الفهلوى ، وماهر حسن فراج وهما من رجال توزيع الصحف في مصر ويتحكمون في الصحافة المصرية واتفق الاهرام مع الموزع على أن يدفع له القيمة التى يتحصل عليها من توزيع روزاليوسف « ولا يوزعها !! وكما حدث في روزاليوسف ، حدث أيضا للمجلة الجديدة ، حتى كمال نجيب نفسه يسأل عنها عند بائع الصحف فكان يقول له لقد « قفلت من زمان » .. ويرد عليه كيف وأنا أحد كتابها ؟ ويرد عليه مش موجودة يايبه !!

وكان سلامة موسى لدية مطبعة تحت منزله مرة في شارع نوبار ومرة أخرى في شارع الفجالة والمطبعة في البدروم .

ويعتزل مؤلفا سلامة موسى ويصبح مكانه المفضل الجلوس في مكتبه جمعية الشبان المسيحيين - ويلتفت حوله بعض مثقفى مصر ومنهم الرسام رمسيس يونان الذى يعمل مدرسا للرسم ويقول لسلامة موسى مجلتك تخسر .. سوف اشترى المجلة ، ويوافق سلامة موسى ، وتقوم مشكلة من سيكون رئيس التحرير لابد ان يكون رئيس التحرير « عضو نقابة » ويطلبنى - والكلام لكمال نجيب - سلامة موسى واقابلة في بار اللواء (مكان ملابس الاهرام الآن) ويطلب منى أن أكون رئيسا لتحرير المجلة الجديدة واتفقنا على أن اكتب مقال افتتاحى وبعض الأخبار مقابل عشرة جنيهات ! وكانت المفاجأة ان تظهر واسمى عليها رئيسا للتحرير .. ولا مقال لى فيها .. ولم أراجع فيها حرف مما نشر !! ويقول صعبت عند قرائتها فهى تنشر رسوما سريالية كانت غريبة وشرح هذه الرسوم غريب أيضا فأخذت أسأل رمسيس يونان وهو يشرح لى ، فقلت له على الفور « لازم نوزعك مع المجلة علشان القراء تفهم ! » واستمرت المجلة الجديدة .. وكل عدد أو اثنين يتغير رئيس التحرير .. !!

وسلامة موسى مواقف :

● دافع عن الإسلام وقال : « ان الاسلام هو دين بلادى .. وواجبى أن أدافع عنه أمام الأجنبى وهذا ما فعلته في كل ظرف »

ويقول أيضا اننى مع أنى قبطى أعيش بين مسلمين لا أجد ان الاسلام يؤذى غيره بل

هو يعمل للتساع والاحاء وأن السب في الاسلام هو دين لبلادى وقد اقترحت الاحتفال
بمرور ألف عام على تأسيس الأزهر باعتباره أقدم جامعة في العالم وليس في ذلك غرابة لأن -
الفائدة من الجامعة يعود على المصريين جميعا فهو لا يخدم الاسلام فحسب بل هو جامعة
مصرية تخدم الثقافة المصرية »

● أول من استعمل عبارة « الفقر والجهل والمرض »

ويقول عنه الاستاذ كمال نجيب كان قارئاً سريعاً جداً ويستوعب ولم أر مثله سوى محمد
حسنين هيكل .

بعد وفاة سلامة موسى بيعت مكتبته لأحد تجار كتب سور الازيكية بـ ٤٦٠٠ جنيه
مصرى لمكتبته محتواها ٢٨ ألف كتاب !!

محمود عزمى (١٨٨٩ - ١٩٥٤)

كان محمود عزمى قد سافر في بعثة مع طه حسين ومنصور فهمى وتوفيق الشاوى وعاد
إلى مصر في عام ١٩١٢ ، وعين مدرسا بمدرسة التجارة العليا وفي عام ١٩١٩ فكر في إنشاء
الحزب الديمقراطي ، وأنشأ الحزب الاشتراكي مع محمد حسين هيكل ولكن بعد ذلك عمل
معه في السياسة ، وفيها كتب مقالا يسخر من اعضاء مجلس النواب ثم يحكم عليه بالسجن
عام ١٩٢٨ ، بسبب مقال عنوانه « يجب أن يكف التدخل والا أصبح الدستور حبرا على
ورق » ومرة أخرى ينتقد موكب الملك ويقول انه يعطل المرور !!

(كان تلميذ الرافعى في جريدة الاخبار التى صدرت سنة ٢٠ - ٢٧ واشترك في السطور
مع عبد الحميد حمدى وفي صحيفة اليوم ، واشترك في إعداد روزاليوسف اليومية في ٢٥
فبراير ١٩٣٥ وبعد معاهدة ١٩٣٦ أصدر مجلة الشباب لحسابه وأخذ يهاجم نصوص
المعاهدة ، واهتم بالتحقيق الصحفى .

وهو أول مصرى فكر في انشاء وكالة للأنباء وكان آخر اعماله مشرف على معهد التحرير
والترجمة والصحافة .

يبرم التونسى (١٨٩٣ - ١٩٦١)

● ● ● لم تفقد الصحافة - في أحلك اللحظات - روح الفكاهة التى تتميز بها
الشخصية المصرية ، ولا لحظة واحدة .. سخرية بالكلمة الشريفة والكلمة الشعرية والنادرة

والتصوير الهزلى .. فهى دائما دواء البائس .. وهكذا جذبت الصحافة نجوم هذا الفن مثل مصطفى حمام وحسين شفيق المصرى وعبد السلام شهاب وعلى رأسهم محمود بيرم التونسي وهو رجل ومواقف ،

● اشتهر بأول قصيدة له هاجم فيها المجلس البلدى فى الاسكندرية بسبب دفع إيراد البيت كله للبلدية !! وقد نشرت فى جريدة الاهالى .

● أصدر « المسلة » بدون رخصة وكتب تحت اسمها لا جريدة ولا مجلة !! ويصدر منها ١٣ عددا وبعد تعطيلها يصدر مجلة « الخازوق » وتنشر فيها مقال « لعنة الله على المحافظ » ويصدر المسلة مرة أخرى فى ٤ مايو ١٩١٩ .

● هاجم الملك فؤاد وأخذ يعرض بقصة زواجة من الملكة نازلى فقال :

ممر	زمانى	يازمانى	ممر
الوزة	من قبل	الفرح	مدبوحة
والعطفة	من قبل	النظام	مفتوحة
ولما جت	تتجوز	المفضوحة	
قلت	اسكتوا	خلو	البنات
			تتستر

● اشتهر باللغة العامية .. لغة الواقع والحياة وهز المشاعر ببسط الالفاظ .. الالفاظ المتداولة التى يعرفها الناس والتى بانتشارها حدثت عملية مزج بين الصحافة والأدب والمسرح وحديث الناس العادى .

● يسخر بيرم التونسي من الصحافة والصحفيين فى زمانه فيقول :

واتقرب	على سيدى	لاظوغلى	من كار	الجرانين
واعمل	حانوتى	ومغسل	واشيل	الميتين

ويكتب أيضا :

اعيش	شربه	وأمشى	حافى	فى مصر	ولا أكونش	صحافى
على	الأدب	قول	ياعوافى	لاعمل	أنا	فران
لاعمل	أنا	فران	وأعجن	وانبغ	فى فن	العيش
الا	الكتابة	الى	تسرحبه	فى عهد	دستورنا	الأخضر

واخلى جرنالى حشمة ع الشكل دا الجرنال يحسر
صحافى من همة وغمه مسك القلم ونفث سمه
عن واحدة من طبقة أمه والدون على الدون يتشطر

● ويداعب ابراهيم المازنى فيقول

يا ابراهيم يا مازنى ليه ما اعرفش مالى كل ما اكتب التقى طيفك قبالى
يا ابراهيم كار البلا ، الزفت الصحافة تمشى فيه بس اللطائف واللطافة

● ويسخر من كتاب عصره فيتصور حوار قال فيه سئل أديب من كبار الأدبانية
يسكن سوق الليمون ويسرح جهة الحسنية من أشهر الشعراء فى مصر الفيحاء قال :

شوق بك اذا شرب
والحاج محمد الهراوى اذا هرب
وعبد القادر افندى المازنى اذا اعتبر
عباس محمود العقاد اذا كان بأتب
وخليل افندى مطران ان ظل فى جلب
وأحمد افندى نسيم فى دار الكتب
وأحمد افندى رامى اذا ولول وندب
ومحمود أفندى صادق الرفاعى لو سمع فطرب

□ □ □

عبد السلام شهاب (٥٧ سنة صحافة)

نعم ٥٧ سنة صحافة (فى ٥٠ صفحة ومجلة أو أكثر تكاد تكون هى كل ما صدر فى مصر من صحف ومجلات
خلال هذا العمر الطويل .. بدأ اتصاله بالصحافة ونشر اسمه فى الصحف والمجلات كاتبا وشاعرا وزجالا ، وهو فى
العاشرة من عمره ، أو جاوزها بأشهر معدودات . وفى المدرسة كانت صدمة أدهى وأمر وألحن ، حينما فوجئ بأن
قراءة الصحف والمجلات من المحرمات على الطلاب ، بل أن ضبط أحدهم متلبسا بحمل صحيفة أو مجلة قد يؤدى الى
طرده من المعهد مدموما مدحورا الى غير رجعة ودون أى رحمة أو رأفة وقد تعرض هو نفسه لهذا العقاب الصارم ، لأن
حافضة كتبه وجدت بها صحيفتان هما الاهرام والمقطم وقد تعود على قراءتهما فى فرقه منذ عرف القراءة والكتابة ،
بعلم أبيه ورضاه . ولكن الله سلم فلم يطرد من المعهد اكتفاء بالنداره على يد شيخ كبير مسئول . هكذا بدأ الامتداد
شهاب حديثه معي ..

ولم يقتنع هو بعدالة هذا القرار ، فبقى أياما يقرأ الصحف فى مسكنه ، ثم لم يلبث أن تمرد على القرار ، فبدأ يحمل
الصحف معه الى المعهد ليقرأها فى فترات ما بين الدروس . وزاد تمردة فأخذ يقرأها أثناء الدروس . ثم زاد أكثر فكتب
الى صحيفة أسبوعية كانت تصدر فى طنطا ووقعت فى يده صدفة حلا للغز نشرته عن « القمر » وكان اسمها

« سفينة الأخبار » فكافأته بنشر اسمه في مقدمة الفائزين بالاشتراك مجانا فيها لمدة ثلاثة أشهر . وكان الحل الذي أرسله بيت شعر من نظمه هو :

يا ملغزا « بسفينة الأخبار »

تفسير لغزك « واحد الأقمار »

(وشجعة ذلك على موافاة « سفينة الأخبار » أسبوعيا بحل ألغازها شعرا وزجلا ونثرا ، ثم أخذ يرأسها بالموضوعات التي يكتبها في دروس الانشاء بالمعهد ، فكانت تنشرها كاملة .

واستمر ذلك شهورا ، ثم زار مقر الصحيفة لأول مرة فاذا هو في الوقت نفسه « كتاب لتعليم الأطفال ، واذا فقيه الكتاب هو صاحبها ورئيس تحريرها ومحررها ومدير ادارتها وموزعها . فلم تعجب الطالب الكاتب الصغير هذه الحال ، وعدل عن مراسلة الصحيفة الى غيرها وقد استمرت حتى أنشئت أول نقابة للصحفيين ورفضت لجنة الجدول قيد صاحبها لذلك السبب نفسه ، لكنه أستاذ الحكم وانتهى الأمر بقيد اسمه في جدول الصحفيين .

ومن العجب أن مدينة طنطا في ذلك الحين كان بها أكثر من عشر صحف بعضها يومية « الكمال » التي يصدرها وكيل الاهرام بالمدينة ويرأس تحريرها صحفى من القاهرة . وبقيتها أسبوعية ومنها : « روضة البحرين » و « الممتاز » و « طنطا » و « الحرية » و « الرائد العثاني » و « الضحك » و « الحقائق » و « الأحوال » .

واختار الطالب الكاتب أكبرها حجما وأفخمها إدارة وأحسنها تحريرا وطباعة وأكثرها توزيعا ، وهى جريدة « الكمال » اليومية ، وأخذ يرأسها بما ينظم من قصائد وأزجال ومقالات ، فنشرها بعنوانين منمقة مزوقة بالنبط الكبير ، وتحت كل عنوان عبارة « بقلم حضرة صاحب الفضيلة العالم الأديب الأمضاء »

وانتشرت جريدة الكمال بين طلبة المعهد ، وبلغ الأمر مسامع بعض المسؤولين فيه لكنهم تجاهلوا ، ربما لظنهم أن صاحب الفضيلة صاحب الأمضاء من زملائهم غير المعروفين لهم بالأزهر والمعاهد الدينية الأخرى ، وربما لأن تلك القصائد والأزجال والمقالات كانت كلها من قبيل الوعظ والارشاد والدعوة الى الفضائل ، وذم الرذائل والتقاليد والعادات الشائعة المستهجنة . وكانت إحدى مقالاته تدور حول أضرار التدخين والدعوة الى اجتنابه والاقلاع عنه حفظا للصحة والمال .

وبعد شهر ، فوجيء بالجريدة تنشر قصيدة له ، دعوة كريهة حارة ، لأن يتفضل بزيارتها لأول مرة .

وأدهشه ذلك كثيرا ، لأنه كان يسلم انتاجه بيده كل مرة الى صاحب الجريدة أو رئيس تحريرها . ولم يسعه إلا أن يزورها في اليوم التالى فلما عرف السبب بطل العجب فقد كانا يظنان أنه ابن الكاتب الشاعر الزجال ، لا هو نفسه . وما عرفاه على حقيقته ، حتى زاد إعجابهما به وفاجأه بتكريم وتقدير لم يكن ينتظرهما ولا خطرا له على بال أن الجريدة ستمنحه جنبا كل شهر في مقابل ما يوافيها به من انتاجه .

وسلمه صاحب الجريدة جنبا كاملين مازال يذكر بعد ٥٦ أنه قبضهما عشرة ريالين فضية جديدة عدا ونقدا ، في مقابل ما سبق نشره من انتاجه . وانتبه الصحفى الصغير هذه الفرصة فصرح لوالده ، برغبته الملحة في أن يكسب من التعليم في المعهد بالقدر الذى حصل عليه ، لكى يتفرغ للعمل في الصحافة ويور والده ويسخر من ابنه ولكنه يتعرض للفصل .

وفي العام الدراسى التالى (وكان قد نقل الى السنة الثالثة الابتدائية ، تعرض للفصل من المعهد للمرة الثالثة ، وكان ذلك بتهمة ضبطة خارجا من « سيرك » الحلو ، المشهور ، الذى اتخذ طنطا مقرا في ذلك الحين . ولكن اجراءات

الفصل لم تمسب سبب خارج عن ارادة الجميع ، فقد قامت ثورة سنة ١٩١٩ . وعمت المظاهر والاضرابات العامة جميع انحاء البلاد .

وفي الأيام الأولى للثورة . تعرضة احدى المظاهرات في طنطا لسيل منهر من رصاص جنود الاحتلال البريطاني وكان هو بين المتظاهرين ، ووقع على مقربة منه عدد من القتل والجرحى من الطلاب . ثم عطلت الدراسة في المعهد . واستمر ذلك شهورا قضاها مع أسرته في القرية . وهناك أيضا شهد امتداد الثورة واشترك الأهالي فيها بقطع الخطوط الحديدية وتعطيل المرور بالطرق الزراعية .

(ولأول مرة ، وقعت في يده أعداد « المسلة » التي أصدرها يرم التونسي ونفى بسببها من البلاد . وبلغ من فرط إعجابه بيوم ان حفظ عن ظهر قلب كل ما ضمنه أعداد « المسلة » كما أنه منذ ذلك الحين بدأ يتجه في إنتاجه الأدبي الى مجازاة يرم في نقدة الساخرة ، وإلتزامه بقضايا الشعب ، وصياغة الشعر بأسلوب أولاد البلد . ويعرف بعد مدة الى صاحب مجلة طنطاوية اسمها « الضحك » فبدأ ينشر فيها شعره الفكاهي وازجاله ومقالاته الانتقادية الساخرة ، ويحصل في مقابل ذلك على جنبيين في الشهر .

وكان الى جانب عمله الصحافي بمجلة « الضحك » قد توطدت الصداقة بينه وبين عددا من وكلاء الصحف اليومية بالقاهرة ، ومنها مجلة « الصباح » لصاحبها مصطفى القشاشي ، ومجلة « ألف صنف » لصاحبها بديع خيرى .

ويبلغ من شدة ولعة بفن التمثيل ، أن كان هو وبعض زملائه طلبة المعهد الدينى بطنطا ، يسافرون الى القاهرة كل يوم خميس ، لمشاهدة التمثيل في مسرح رمسيس الذى أنشأه يوسف وهبى في ذلك الحين . وبقيت هذه العادة ، ملازمة لهم بعد انتقالهم من طنطا الى القاهرة . وحدث بعد شهر من ذلك أن توجهوا الى مسرح رمسيس ذات نهار ، وطلبوا مقابلة مديرة الفنى وهو يومئذ شيخ الخرجين عزيز عيد ، حيث قدموا له طلبا جماعيا مكتوبا لا لحافهم بالفرقة ، مبدئين استعدادهم للعمل فيها مجانا لوجه الله والفن . وقد استقبلهم الرجل بمزيد من الدهشة والاعجاب . ووعدهم بتلبية طلبهم بعد اتمامهم الدراسة .

ولم يستطع عبد السلام وزملائه الانتظار حتى تخرجهم في الأزهر ، فأرضوا هوايتهم الملحة بالالتحاق بالمعهد الأهلى للتمثيل ، وكان يديره ممثل قديم اسمه عبد العزيز حمدى ، ويتخذ له مقرا بشارع محمد على ، ثم في ميدان العتبة ، كما كان في الوقت نفسه يدير مدرسة أو مدارس أهلية بالقاهرة .

ومنذ السنة الأولى لالتحاق عبد السلام بالقسم العالى في الأزهر ، اتيح له أن يتعاقد مع عدد من شركات الاسطوانات الغنائية بالقاهرة ، وألف عشرات من الأغاني لمطربها ومطرباتها ونشرت مجلة « الصباح » كل هذه الأغاني .

وكانت مجلة الكشكول « أول مجلة التحق بالعمل فيها ، بعد انتقاله الى القاهرة ، اذ قدمه السيد القبايات الى الأستاذ سليمان فوزى صاحبها ، فضمنه الى هيئة تحريرها . بمرتب قدره خمسون قرشا كل اسبوع .

ومع أن « الكشكول » كانت تخصص أكثر صفحاتها لانتقاد حزب الوفد ورئيسه سعد زغلول ، حرص هو على الانسباق مع هذا التيار ، مختارا لكتابات موضوعات أدبية واجتماعية وفية . وقد تضاعف مرتبة الاسبوعي بعد أشهر من نصف جنية الى جنية كاملة ، هذا لم يغير موقفه من الوفد . وحين مات سعد سنة ١٩٢٧ ، كان من أسبق الشعراء الشباب الى رثائه بقصيدة نشرتها صحيفة « كوكب الشرق » اليومية ، لسان الوفد .

وكانت ادارة مجلة « الكشكول » تصرف مرتبات المخرين فيها على أقساط أسبوعية كل يوم خميس . وحدث بعد شهر أن تخلف عن الذهاب لصرف الجنيه المقرر له في الموعد المحدد ، وشد ما كانت دهشته حينما ذهب لصرفه يوم الخميس التالى لصرف جنيهين معا ، فاذا بالصراف يصرف له جنينا واحدا ، مؤكداً أن ما فات مات ، وأن من يحضر الصرف في موعده يصرف له ، والا فلا حق له في ملين واحد مما تخلف عن صرفه ، مهما تكن الاسباب .

وكانت صدمة قاسية ، كادت تصرفه عن العمل بالمجلة ، لولا أن تداركة زميل كريم من قداماء محرمها هو المرحوم الشيخ يوسف القاضى ، مؤلف المسرحيات والأغاني المشهور في ذلك الحين ، فنصحه بألا يهتم لذلك التصرف الإدارى الغريب ، وأن يحضر يوم السبت التالى ، أى بعد يوم واحد ، الى دار المجلة ليقابلا الصراف معا ، اثناء صرفه مرتبات المخرين المشتركين في صحيفة « الثغر » اليومية، التى كان صاحب الكشكول قد أصدرها قبل ذلك بأسابيع .

وكانت مفاجأة مذهلة له حينما فتح الصراف دفترا كبيرا به أسماء محررى « الثغر » فاذا اسمه قد سجل في آخرها ، ثم طلب منه التوقيع بجانب الاسم ، وصرف له جنينا على الفور . وهكذا - وبفضل الزميل الشيخ يونس - تضاعف مرتبة إلى جنيهين في الاسبوع ، يقبض جنينا يوم الخميس مع محررى الكشكول ، ثم يقبض جنينا يوم السبت مع محررى « الثغر » دون أن يكون منهم . واستمر الحال على هذا النوال حتى توقفت صحيفة الثغر عن الصدور .

والى جانب الجنيهين في الأسبوع ، كانت هناك حوافز عينية لها قيمتها ، تتمثل في الوان عديدة من أطايب الطعام والشراب ، تهبط على العاملين بالدار ، محررين وموظفين وعمالا ، من بقايا الولائم والمآدب التى كان يقيمها صاحب الكشكول لكبار المستولين بالطابق العلوى الذى به مكتبه ومسكنه بالدار . ورغم ذلك كله لم يسعه الا ان ينقطع عن العمل فيها ، لكى يتفرغ للعمل في ٣ مجلات أخرى جديدة ، وهى :

● مجلة « الراديو » - وهى التى تغير اسمها الى « البعكوك » فيما بعد - وكان صاحبها أزهرها جاء من السودان حيث عمل كاتباً باحدى المحاكم الشرعية ثم تاجرا للكتب والادوات المدرسية والفوتوغرافات واسطوانات الغناء ، وكان أول من فكر في انتاج إسطوانات للمطربين والمطربات بالسودان ، فحصل من ذلك على ارباح هائلة ، دفعته الى انشاء فرع لتجارته بالقاهرة ، أطلق عليه اسم « محلات المليم » وأخذ يعلن عنها في الصحف والمجلات المصرية ، مؤكداً أنها تبيع بربح مليم واحد في كل سلعة ، ولقيت لذلك رواجاً منقطع النظير .

وكان الشيخ يوسف القاضى المخرر بالكشكول هو الذى أغرى ذلك التاجر باصدار مجلة « الراديو » واتفق معه على أن يتولى إدارة تحريرها ، وقدم له عبد السلام شهاب فعينه سكرتيراً للتحرير ومحرراً ومصححاً ، في مقابل ٤ جنيهات في الشهر .

وبدأت المجلة تصدر ، أسبوعية في ٤٨ صفحة ، خصص نصفها دينية وأدبية وتاريخية يكتبها بعض مشاهير المتخصصين مثل : محمد فريد وجدى ، وأحمد زكى باشا ، وكامل كيلانى ، وخصص نصفها الآخر لمقالات فنية يكتبها الشيخ يوسف ويهاجم فيها بشدة كبار أهل الفن من ملحنين ومطربين وغيرهم ، والقصائد والأزجال يكتبها ويشرف عليها عبد السلام - والشاعران محمود أبو الوفا ومحمود رمزي نظيم ، بالإضافة الى أخبار المسارح والصلالات والنشاط الرياضى والمقالات والصور الاعلانية وغيرها وما هى الا أسابيع معدودة حتى تحولت الراديو الى مجلة فنية خالصة ، ولم يبق بها من المخرين الا أربعة هم المرحومون : حسن مظهر (للنقد المسرحى) وحسن الحسنى لأخبار المسارح والصلالات وحسن جودة للرياضة والاعلانات .. والمرتب الشهري لكل منهم ٣ جنيهات . ثم عبد السلام

شهاب ويتولى تحرير بقية المجلة وتصحيحها والاشراف على طبعها وتوزيعها وتحصيل أجور اعلانات في مقابل الجنيهاات الأربعة كل شهر .

وتوثقت العلاقات بين صاحب المجلة وعبد السلام ، فخصص له غرفة بمسكنه الخاص ، وخصص له مكتبا لادارة المجلة في « سندرة » بمحلات المليم . ثم عهد اليه خلال أوقات فراغة من إدارة المجلة وتحريرها في الاشراف على البيع بالمحلات .. وكل ذلك في مقابل السكن ، و٣ جنيهاات يومية للفطور والغداء والعشاء .

ويشارك في تحرير الجامعة الاسلامية : وكان يصدرها والد زميله حسنى الحسينى ، بجانب عمله صاحباً لمحل بقالة وعطارة بحى السيدة زينب . وقد اختصها عبد السلام بأزجال سياسية واجتماعية ، وكانت تنشرها ملقبة اياه بامراطور الزجاليين .

● مجلة الشيخ : وفي هذه المجلة الثالثة كان أعجب عمل تولاه عبد السلام شهاب في ميدان الصحافة ، اذ كانت مجلة خاصة بسباق الخيل ، تصدر يومى السبت والأحد كل اسبوع ، وكان صاحبها واسمه الشيخ محمد يعهد اليه باعادة كتابة موادها ، وفي مقدمتها « الفتاحية » عن الجياد التى يرشحها للفوز في السباق . وذلك في مقابل جنيه في كل عدد يزداد الى جنيهين أو أكثر عند فوز أحد الجياد المرشحة .

وكما جاء العمل في هذه المجلات الثلاث في وقت واحد ، شاءت الظروف أن ينقطع عبد السلام عن العمل فيها في وقت واحد كذلك .

وكان في انقطاعه عن العمل فيها لسبب واحد هو انقطاع المرتب المتفق عليه بمجلة الجامعة الاسلامية ، قطعت مرتبة لانقطاع زميله ابن صاحبها عن العمل معه بمجلة الراديو ، مكثفه بلقب امراطور الزجاليين الذى خلعت عليه ، ومجلة الراديو ، قطع صاحبها مرتبه وملحقاته من مسكن ومأكل بدعوى انقطاعه عن العمل أسبوعين أجريت له خلالها جراحة بمستشفى قصر العيني ، والواقع ان عبد السلام كان يرسل من المستشفى الى المجلة كل المواد التحريرية المعتادة . ولكن صاحبها اعتبر دخوله المستشفى لاجراء الجراحة تهرباً من العمل ومسئوليته ، فقرر الاستغناء عن خدماته .

وطبقا لذلك الاتفاق ، ألف صاحب المجلة بالاشتراك مع هيئة تحريرها الجديدة حزبا سموه « حزب الأدب الوضع » وجعلوها لسانا للحزب . وصارت تصدر حافلة بمقالات وقصص ونوادر واشعار وأزجال كلها من نوع الأدب المكشوف ، المتحرر من جميع القيود .

وكأنما أراد الله أن ينتقم لعبده الصحفى الشاب المظلوم ، فما كاد يغادر المستشفى ليجد نفسه وقد فقد علمه بالمجلة ومسكنه مع صاحبها ، حتى علم في اليوم نفسه ، أن النيابة استدعت صاحب المجلة للتحقيق معه في بعضها ما نشر في العدد اللذين صدرتا منها في غيبته عنها ، وبدأ التحقيق في اليوم التالى لينتهى بعد ساعات بادخاله السجن رهن المحاكمة بسجنه ستة أشهر مع التنفيذ .

وكان لهذه المحاكمة العاجلة قصة لها العجب ، بدأت في إحدى دوائر محكمة الجنائيات ، خلال رفع جلساتها للاستراحة فقد طلب رئيس الدائرة لنفسه وزملائه الأطعمة الخفيفة « الساندوتشات » للتبلع بها حتى الانتهاء من القضية المنظورة ، ولقت نظرهم صورة في الورقة التى بها ساندوتشاته ، وبدأ يقرأ السطور المطبوعة تحتها ، فاذا فيها كلمات جنسية نابية ، دفعته الى قراءة الورقة كلها ، ثم الى قراءة التكملة لما فيها من كلمات جنسية نابية في الأوراق التى بها بقية « الساندوتشات » وهكذا أوقفته المصادفة، على قصة مكشوفة صارخة كاملة ، من القصص التى

تنشرها المجلة بوصفها لسان حرب الأدب الوضع .. ولم يسعة بعد الانتهاء من جلسة المحكمة الا ابلاغ النيابة العامة للتحقيق مع المسؤولين عن تحرير المجلة وتقديمهم للمحاكمة .

أما المجلة الثالثة « الشيخ » فقد اقترح صاحبها على عبد السلام ان يستمر له مرتبة الاسبوع عنده في مراهنت ساق الحيل ، ثم نفذ اقتراحه دون انتظار لموافقة المحرر الأزهرى البعيد عن تلك المراهنت . وكانت النتيجة خسارة كاملة يتخسر معها مرتبة الاسبوعى في الهواء . ولم يسعه الا أن يصارح صاحب المجلة بعدم استعدادة لتكرار هذه المغامرة أو المقامرة ، ولكن صاحب المجلة ركب رأسه وأصر على أن يراهن له بقيمة مرتبة في الاسبوع التالى ، وبمظهرها من عنده ، مؤكدا انه واثق من الربح مائة في المائة . ولم ينتظر موافقته أيضا . ولحق مرتب الاسبوع التالى بمرتب الاسبوع الذى قبله . ثم كانت الخسارة الثالثة آخر عهد عبد السلام بمجلة الشيخ !

ولم يطل ابتعاد عبد السلام عن العمل في الصحافة ، بعد قليل أصبح مصححا يعمل في صحيفتين يوميتين هما : الوادى بمرتب ثلاثة جنيهات في الشهر ، وكوكب الشرق بخمسة جنيهات وبعد شهرين أو ثلاثة ، بدأ موعد صرف المرتبين يتأخر عن مواعيد اسبوعا أو أكثر ثم أخذ المرتبان في التناقص حتى وصل الأمر لخفضهما بصحيفة « المحروسة » اليومية بالجنيين ، مع توفير الجهد والوقت ، لكنه سرعان ما اكتشف انه المصحح الوحيد للمحروسة ، وأن هناك اعمالا إضافية عليه ان يقوم بها مثل كتابة عناوين المشتركين في الصحيفة وأصحاب الاعلانات القضائية والتجارية المنشورة فيها . وبدلا من زيادة مرتبة من جنيين الى ثلاثة ، خفض الى جنية ونصف . فلم يسعه الا ترك العمل بالصحيفة .

وفي خلال تلك الشهور الحافلة بالعمل وخيبة الأمل ، كانت قد صدرت بالقاهرة مجلة « المطرقة » احدى عجائب الصحافة الاسبوعية في مصر وربما في العالم كله .

كانت كل صلة صاحبها بالصحافة انه يعرف أكثر الصحفيين والأدباء المعروفين ويتردد عليهم مترددا في المقاهى العامة التى يرتادها وبجالسهم فيها بعض الظرفاء المعروفين ببراعة التنكيت .

وخطر بباله أن يستغل مواهب هؤلاء الأدباء والظرفاء في مجلة يصدرها ، فلم يكلفه الحصول على ترخيص المجلة الا ارسال طلب بذلك الى إدارة المطبوعات ، ثم انقضاء اسبوع وطبعها دون ردا رسميا بالرفض . ولم يجد حاجة الى اتخاذ دار لادارة المجلة وتحريرها وطبعها وتوزيعها ، اكتفاء بتعيين مديرا لادارتها ورئيسا لتحريرها ، وسهولة حصوله بنفسه على المواد التحريرية الكافية من مقالات وازجال وقصص وقصائد ونوادير ونكت وفكاهات من أولئك الصحفيين والأدباء والظرفاء . أما الورق والطبع فقد تكفل بهما للأعداد الأربعة الأولى من المجلة بطل رياضى أديب يملك مطبعة كبيرة في ذلك الحين .

وصدر العدد الأول من « المطرقة » في ٨ صفحات كبيرة ملونة ، وتولى صاحبها نقل النسخ المطبوعة منه الى المتعهد الوحيد لبيع الصحف ، وعددها حوالى ٥ آلاف نسخة ، مستخدما في ذلك عجلة « بسكليت » كانت تلازمة من سنين ، ولعلها اعز وأغلى ما كان يقيته .

ولأن الظروف كانت مناسبة لاصدار مجلة فكاهية شعبية ، بعد طول حرمان الشعب من أمثالها ، فنفذت أعداد العدد الأول كلها من السوق في ساعات ، مما دعا متعهد التوزيع الى طلب مضاعفة ما يطبع من عددها الثانى ، ثم مضاعفة نسخ العدد الثالث الى ٢٠ ألف نسخة ، تباع النسخة منها بخمسة مليمات ، ولا تقل ارباح صاحب المجلة في العدد عن ٤٠ جنيها كل اسبوع . وبذلك استطاع أن يشتري مطبعة خاصة للمجلة ، وأن يؤجر دارا لادارتها ،

وأن يتعاقد على تحريرها مع نخبة من كتاب الفكاهة والازجال في مقدمتهم الأستاذة : حسين شفيق المصري ، ومحمود رمزي نظم ، ومحمد عبد المنعم « أبو بنية » على أساس اقتسام الأرباح معهم مناصفة .

وبعد صدور بضعة أعداد ، تم القبض على الأستاذين : حسين شفيق ، ورمزي نظم وأودعا السجن بضعة اسابيع رهن التحقيق والمحاكمة . وعقب الإفراج عنهما ، انفصل الأستاذ رمزي نظم عن هيئة تحرير المجلة ، وأصدر بالأشتراك مع عبد السلام مجلة منافسة للمطرقة ، هي مجلة « الطيارة » التي استأجرها من صاحبها محمد عفيفي شاهين بثلاثة جنيهات في الشهر .

وأشدت المنافسة بين المجلتين ، ثم اختلف الأستاذ حسين شفيق وزملائه في تحرير « المطرقة » مع صاحبها ، لإستشاره بالنصيب الأكبر من الأرباح ، فعقدوا اتفاقا سريا مع صاحب مجلة « الطيارة » على أن يتولوا إصدارها ، بنفس شكل « المطرقة » والاسلوب الذي يحررونها ، وفي نفس الموعد الذي كانت تصدر فيه ، وبدأوا ارسال مواد التحرير الى المطبعة التي اختاروها لذلك دون علم صاحب « المطرقة » ودون أعداد شيء يذكر من مواد تحريرها ، أمعانا في الانتقام منه لشدة جشعة وسوء محاسبته لهم ، لكيلا يتمكن من إصدار المطرقة في موعدها ، فتحل « طيارتهم » محلها في السوق دون منافسه .

ولم ينكشف الأمر الا قبل يوم واحد من موعد صدور المطرقة ، حينما كشف صاحب « الطيارة » للأستاذ رمزي نظم ، عارضا عليه أن ينضم هو وعبد السلام الى الهيئة الجديدة لتحرير « الطيارة » . لكنه رفض غاضبا ، ثم ابل الأمر الى صاحب « المطرقة » فكاد عقله يطير لشدة التأثير والانزعاج من « القلب » الذي عمل فيه . وأيقن ا ليس في الامكان أن تصدر مجلته في موعدها .. ولكن هذا حدث فعلا ، بعد أن ظل رمزي وعبد السلام ٢٤ ساعة يحبران المواد اللازمة لذلك ، وتم طبعها بالاستعانة بمطبعة أخرى بجانب مطبعة المجلة ، وهكذا ظهرت هي والطيارة في يوم واحد ، ونفذ العدد المطبوع من المطرقة في نفس اليوم ، وهو أكثر من ٢٠ ألف نسخة ، بينما لم يتجاوز ما بيع من الطيارة ألف نسخة .

ومن العجيب أن رمزي نظم أصر على أن يترك لزميلة الناشء « عبد السلام » تحرير أكثر مواد المطرقة ، لتمكينه من الحصول على أكبر مرتب ممكن ، هو ١٠ جنيهات في الشهر ، غير ٥٠٪ من أجور الاعلانات التي تنشر بالمجلة منظومة بالزجل ، أو في شكل قصة أو نكتة ، وغير أصرار صاحب المطرقة على أعداد مسكن خاص له بدار المجلة ، وعلى ان يكون طعامه وشرابه وسجايه على حسابها .

● ● الطيارة .. هي آخر ساعة !!

وجرت محاولات عدة لانتزاع عبد السلام شهاب من العمل بالمطرقة للانضمام لهيئة تحرير « الطيارة » لكن هذه المحاولات فشلت كلها . ولم تقوى الطيارة للمنافسة أكثر من اسابيع ، انتقلت ملكيتها بعدها إلى الأستاذ محمد التايبي ، حيث غير اسمها الى « آخر ساعة » وأصدرها بهذا الاسم الجديد ، بعد أن ترك العمل في مجلة « روزاليوسف » .

وفي خلال تلك الاسابيع ، أصبح عبد السلام شهاب رئيسا لتحرير « المطرقة » . وانضم الى تحريرها عدد من كبار الزجالين وكتاب الفكاهة ومنهم الأستاذة : محمود صادق ، سيف وعزيز طلحة ، ووليم باسيلي ، ومحمد عبد النبي ، وحسين مظلوم ، وعبد الفتاح شليبي ، ومحمد عثمان خليفة ، وتوالى ارتفاع توزيع المجلة حتى جاوز ٣٠ ألف نسخة . وتبعها لذلك زاد مرتب رئيس تحريرها الشاب ، وتعاقدت معه بعض المجلات الاخرى على الاشتراك في تحريرها ، ومنها مجلة « الصريح » « ومجلة الوفد » ومجلة « الصرخة » ومجلة « الباشكاتب » .

وفي خلال السنة الأولى من رئاسة تحرير المطرقة ، قبض عليه وانتهى تحقيق النيابة معه بجزءة في السجن رهن المحاكمة ، وبقي في السجن سبعة أشهر ، قضاهها مع عدد كبير من الزملاء الأصدقاء ، ومنهم الأساتذة : أحمد حسين ، وفتحى رضوان ، ومحمد عبد المنعم رخا ، وعبد الحليم محمود ، والشيخ عبد الحميد النحاس . ولم ينقطع عن تحرير المطرقة طوال تلك الأشهر ، اذ كان يمدّها بالمواد التحريرية المختلفة ، عن طريق مهربين متطوعين .

وخرج الصحفي الشاب من السجن ليستأنف عمله في مجالات : المطرقة والصريح والوفد ، وان استأثرت المطرقة بأكثر من وقته ونتاجه ، خاصة بعد أن تضاعف حجمها وثنيتها وقفز توزيعها قفزات متتاليات . وكانت مطبعتها قد حققت تطورا ملحوظا ، كما استأجر صاحب المجلة دارا كبيرة من ثلاثة أدوار خصص ، الأرضى منها للإدارة والتحرير ، وبه حوالى عشر حجرات ، وانضم الى هيئة تحرير المجلة عدد غير قليل من الكتاب والشعراء والزجالين في مقدمتهم الاساتذة : حسين شفيق ، ورمزى نظم ، ومحمد عبد المنعم (أبو بشينة) ووليم باسيلي ، ومحمد مصطفى حمام ، وعبد الرحمن نصر ، ومحمد نزيه .

وكان الدور الثانى من دار المجلة مكونا من جناحين منفصلين فتل صاحبها مسكنه الى أحدهما ، وبقي الآخر خاليا بضعة أشهر بعدها أخذها رئيس تحريرها عبد السلام حينما وفقه الى اكمال نصف دينه بالزواج . أما الدور الثالث فخصص لسكنى مدير المطبعة وأسرته ..

ولم تطل اقامة عبد السلام بمسكنه فوق إدارة المطرقة أكثر من سنتين ، فانتقل إلى مسكن غيره ، ثم تنقل بين عشرات من المساكن الأخرى ، كما تنقل من حيث العمل بين عدد كبير من الصحف والمجلات . لكنه ظل حريصا على الاشتراك في تحرير المطرقة ، حتى توقف صدورها بعد وفاة صاحبها سنة ١٩٤٣ ، أى بعد حوالى عشر سنين من التحاقه بالعمل بها .

وقد حدث سنة ١٩٣٥ أن اتفق عبد السلام وزميله ولیم باسيلي على تجريب حظهما في اصدار مجلة شعبية على سرار المطرقة ، وكان الاستاذ أحمد حسين يصدر مجلة الصرخة « التى استأجرها وجعلها لسان حزبه « مصر الفتاة » المناوئء للوفد فاستأجرها من صاحبها وأصدرها وفدية صارخة ، وما كادت تقف على قدميها فى السوق بعد أشهر حتى أنها التجربة وعادا لتحرير المطرقة بسلام .

وحدث بعد سنوات أن أنشقت المطرقة على الوفد متضامنة مع قطبية : أحمد ماهر ومحمود النقراشى ، وانقطع عبد السلام عن العمل بها ، هو وزميله محمد نزيه وكانا قد التحقا معا بالعمل فى دار الهلال ، ثم فكرا فى إصدار مجلة شعبية وفدية لتحل محل المطرقة واختارا لذلك مجلة « الصاعقة » . وانضم اليها نخبة من محررى المطرقة واختارا لذلك مجلة « الصاعقة » . وانضم اليها نخبة من محررى المطرقة نفسها ، بعضهم تركوا العمل بها ، ومنهم الاستاذ عبد الفتاح شلى ، شيخ الزجالين الآن ، وبعضهم جمعوا بين العمل بالمجلتين مثل محمد مصطفى حمام . بالإضافة إلى عدد من هواة الصحافة الشباب الذين لمعوا فيها بعد ذلك ، ومنهم عبد العليم المهدي .

ولقيت « الصاعقة » رواجاً كبيراً بين جماهير الشعب المؤيدة للوفد وكان بيرم التونسي قد نقل من منفاه فى فرنسا بعد حوالى ١٨ سنة الى تونس حيث اصدر مجلة « الشباب » واغلقها سلطات الإستعمار هناك بعد بضعة أعداد ، فكتب اليه عبد السلام ونزيه وحمام ليراسل الصاعقة بما يتميز من انتاجه ، فاستجاب لهم ، ووالى تزويد المجلة بروائع من نظمة ونشره ، زادت رواجاً .

وفي خلال ذلك وقع لصاحب المطرقة حادث خطير غير متوقع ، اذ قدم للمحاكمة بتهمة بلاغ كاذب ضد فراج ، متعهد توزيع الصحف المعروف ، وقضت المحكمة بحسبة ٦ أشهر مع التنفيذ . ومنذ الأسبوع الأول لحبس ،

بدأ أكثر محررى المطرقة ينقطعون عن العمل بها لعدم صرف مرتباتهم كاملة ، ولم يبق منهم غير محمد مصطفى حمام ، ومحام شاب تولى رئاسة تحريرها منذ انشقاقها على الوفد مكتفيا بمستولته عما تنشر دون الاشتراك فيه أو - مرجعته .

ومن سجن مصر في حى القلعة ، وكان يعرف باسم « سجن قرة ميدان » بعث صاحب المطرقة الى عبد السلام لكي يتدارك الامر ويبدل كل جهد لاصدارها في مواعيدها خلال غيبته بأى شكل كان . وفشلت محاولات عبد السلام لاقناع محررى المطرقة المضربين عن العمل فيها بالعودة لها ، ولم يجد بدا من الاضطلاع بمهمة تحريرها مع زميلة حمام ، لكنه حرص على أن يكون ذلك سرا بينهما ، وأن تقدم المواد التى يمررها بخط غير خطه ، أو مكتوبه على الآلة الكاتبة ، حتى لا يعرف عنه أنه يكتب في الصاعقة مع الوفد ، وفي الوقت نفسه يكتب ضد الوفد في المطرقة .

وصدر من المطرقة نحو ٣٠ عددا بطلب الطريقة ، ثم حدث أن صردر العدد التالى منها ، وهاجم البرليس مطبعتها للبحث عن أصول المواد المنشورة فيه ، ومنها قصيدة فكاهية رأت السلطات المختصة ان بها تعريضا بالسيدة زينب الوكيل قرينه النحاس باشا ، رئيس الوفد ورئيس الحكومة القائمة ، ووجد أصل القصيدة مكتوبا على الآلة الكاتبة ، ولما سئل رئيس تحرير المجلة عن ناظمها ، قرر أنه الأستاذ حمام ، فتم القبض عليهما وعلى مدير المطبعة ، وسبق الثلاثة الى سجن الاستئناف رهن التحقيق .

وكان حمام يعلم أن عبد السلام هو كاتب القصيدة ، لكنه لم يذكر ذلك في التحقيق مكتفيا بانكار أنه هو كاتبها ، بينما أصر رئيس التحرير على اتهامه بكتابتها . واستمر التحقيق أكثر من شهر وسبق الثلاثة من السجن الى التحقيق أمام النيابة بدار المحكمة الملاصقة له ، مروا وحراسهم من الجنود على عبد السلام في إدارة مجلة الصاعقة القريبة ، لشرب القهوة والشاى وتناول الطعام وعلب السجائر ، ولم يخلصه من هذه الغرامة الأخوية الا الإفراج عنهم في نهاية التحقيق . كما أفرج في الوقت نفسه عن صاحب المطرقة بعد انتهاء المدة المحكوم بحسبة فيها ويعودته للمجلة يعرود اليها محرروها المضربون ، وكفى الله عبد السلام حرج القيام بمهمة تحريرها مضطرا . وكان يتوقع أن يجزل صاحبها مكافأته ، لكن هذه المكافأة لم ترد على بضعة جنيهات حصل عليها طول الأشهر الستة التى قضاه صاحبها في السجن ، ثم هدية رمزية بعد ذلك تمثلت في قطعة صوف لتفصيل بدلة ، وحذاء وطربوش و ٣ كراوات ، ثمها كلها لا يزيد على ٣ جنيهات .

وكانت حجة صاحب المطرقة في تصرفه الغريب أن عبد السلام كفة مخروق ، ولن يبقى على ما يعطيه من مكافأة ضخمة لا تقل عن ٢٥٠ جنيا فمن الخير أن يقيها أمانه له عنده ، وهي حجة قديمة سبق أن استعملها مع عبد السلام أكثر من مرة حينما كان رئيسا لتحرير مجلته ، وسبق الى محاكمات كانت تنتهى بالإفراج عنه بكفالات مالية ، تتراوح بين ٢٠ و ٥٠ جنيا ثم يحكم بتبرئته ، فيستولى صاحب المطرقة على تلك الكفالات باعتبار انه هو الذى دفعها ، بينما الحقيقة انها كانت تدفع من خزانة الوفد ، أو تبرعا من بعض أعضائه الكرام . بل أن احداها تولى دفعها عبد السلام : والمرحوم حمد الباسل باشا رغم انه كان قد خرج من الوفد ، وتعرض لحملات شديدة من المطرقة .

واكتفى عبد السلام من الاحتجاج بالانقطاع عن زيارة دار المطرقة وصاحبها ومحرميها الأصدقاء ، لكن ذلك لم يصل أكثر من شهوور ، أقيمت وزارة الوفد فجأة وخلفتها وزارة احزاب الأقلية برئاسة الدكتور أحمد ماهر . ولم يجد صاحب المطرقة منها ما كان يطمح فيه من مكافأة سخية تعويضه عن خساره ، فأعادها وفدية كما كانت ، وفي الوقت نفسه توقفت مجلة الصاعقة عن الصدور لأسباب خارجة عن ارادة محرريها ، فعاد عبد السلام الى قواعدة في تحرير المطرقة . وكان منتظرا بعد وفاة صاحبها سنة ١٩٤٣ ، أن يصدرها عبد السلام لحسابه الخاص ، وأصدر عددين منها فعلا ، وكان أصحاب دارها المؤجرة قد حصلوا على حكم قضائى باخلائها ، لتوقف دفع الإيجار أكثر من سنة ، فأستأجرها عبد السلام باسمه ، وعرض استئجار مطبعة المجلة على ورثة صاحبها بأجر كبير . وبدأ الاتفاق مع عدد

كثير من المحررين والموظفين والعمال .. ثم فوجئ بعضهم يدسون له عند ورثة صاحب المجلة السابق . وفي نوبة اسف وغضب وعناد ، عدل عن اصدارها مقسما على ذلك ايمانا مغلفة بالطلاق والعناق ، بل سارع الى التنازل عن عقد تأجير دارها له ، ورغم انه تم امام المحكمة ، وبرغم ان الدار كانت تضم ثلاث أودار ، وإيجارها في الشهر لا يزيد على ستة جنيهات .

وباحتجاب المطرقة ، خلا الجو لمجلة « البعكوكة » وهي نفسها مجلة « الراديو » التي اشترك عبد السلام في تحريرها عند صدورها ، وكان صاحبها بعد خروجه من السجن بتهمة الأدب الوضع ، فقد فقد ثروته واكتفى باصدار مجلته لنشر الاعلانات القضائية وكان يطبع كل عدد نسخا بعدد تلك الاعلانات في المطرقة ، واختلف مع صاحبها اكثر من مرة واتهم في بعضها بتبديد ما حصل عليه من أجور فأضطر الى الاستقالة ، الى طبع مجلته في مطبعة أخرى ، بعد أن غير اسمها الى « البعكوكة » وأخذ ينشر فيها بجانب الاعلانات القضائية اعلانات تجارية وأبوابا من الفكاهة والأزجال ينقل أكثرها عن اعداد المطرقة القديمة انتقاما من صاحبها الذي كاد ان يزج به في السجن من جديد .

وكان تغيير اسمها القديم « الراديو » لأن الاذاعة المصرية أصدرت مجلة باسم « الراديو المصري » خصصتها لنشر برامجها بالتفصيل ، ولقيت لذلك رواجاً كبيراً بين جماهير المستمعين للراديو . اذ كان نشر هذه البرامج كاملة عظورا على جميع الصحف والمجلات .

وبطريقة ما استطاع صاحب « البعكوكة » أن يحصل على تلك البرامج التي تنفرد بها « الراديو المصري » . وأخذ ينشرها كاملة في مجلته غير عابئ بذلك الحظر ، ولما كان ثمن العدد من « الراديو المصري » ضعف ثمن العدد من « البعكوكة » فقد تلقى الجمهور هذه باقبال أكبر زاده ما يجد فيها من فكاهات ومضحكات . وهكذا زادت حصة « البعكوكة » من ورق الصحف ، الذي رفعت الحرب اسعاره أضعافا مضاعفة ، بينما الحكومة تنظم توزيعه بالتسعيرة . وعرف الرجل كيف يقتنى تلك الفرصة ، فجعل الحصول على أكبر كمية ممكنة من الورق بالتسعيرة ، ثم يطبع المجلة ببعض هذه الكمية ويطبع بعضها كتيبات بأشهر الأغاني والمونولوجات . ويشتري كميات ورق أخرى من السوق السوداء ثم يبيعها مستفيدا من إرتفاع اسعارها شهرا بعد شهر ، بل اسبوعا بعد اسبوع واستطاع بذلك أن يسترد ثروته الذاهية ، وأن يزيد عليها عشرات من الوف الجنيهات .

وعرض صاحب البعكوكة على عبد السلام أن يعود للاشتراك في تحرير مجلته واستطاع أن يقنعه بذلك ، بل استطاع أن ينقله وأسرته الى مسكن فوق مسكنه بدار المجلة .. ولم تحض بضعة أشهر حتى أضطر عبد السلام الى ترك العمل بالبعكوكة وترك مسكنه بدارها ، بعد أن تبين أن صاحبها يعهد اليه بتحرير أكثر صفحاتها ، وبأعمال إدارية وتجارية بجانب ذلك ، ويحمله على أعمال الصحيفة الأخرى ، وهي حينذاك : الاشتراك في تحرير مجلة : « كل شيء والدينا » بدار الهلال ، والاشتراك في تحرير مجلة « روزاليوسف » مع الاضطلاع بمهمة مراجعتها وتصحيحها وحده ، والاشتراك في تحرير مجلة « المصري أفندي » .

وكان اتفاق عبد السلام وزميلة محمد نزيه مع دار الهلال ، على ان يعملوا بمجلة الدينا » التي اعتمزم اصدارها من جديد بدلا من مجلة « كل شيء » و « الدينا » وفي انتظار اتمام الاستعداد لذلك ، عهد اليهما بالاشتراك في تحرير « كل شيء » ثم تبين ان المجلة ليس بها الا محرران أو ثلاثة ، وان عليهما ان يتنا تقريها مستعينين بأكداس من المقالات والقصص والأبحاث والرسائل التي وردت الى الدار ولم تنشر عملا بشعار « لا ترد الرسائل لأصحابها نشرت أم لم تنشر » .

ومن بين تلك الأكداس المكدسة ، كانت هناك كتابات قيمة لأدباء كبار من مصر والأقطار العربية الأخرى ، استغرق نشرها عشرة أعداد أو أكثر ، وزاد توزيع المجلة بفضلها ، مما كاد يصرف عن وقفها لاصدار مجلة « الدنيا » الجديدة .

وقد جمعت مجلة الدنيا الجديدة بين الزملاء الاساتذة : طاهر الطناحى ، رئيسا للتحرير ، ومحمد نزيه سكرتيرا ، وعبد السلام شهاب مراجعا ومحرورا مع كل من : أحمد جلال وشقيقه عباس كامل ، فنانا السينما فيما بعد ، وعبد الحميد عبد الغنى (عبد الحميد الكاتب) وسيد اسماعيل وحسين شفيق ، وحبيب جاماقى ونظمى لوقا وأحمد خيرى سعيد ، وأحمد مختار ، ومخى الدين فرحات ، وليلى حبيب ، وحسن صبحى ، وبعد حوالى سنتين ، توقفت مجلة الدنيا الجديدة ، فتصدر بدلا منها و من « كل شئ » مجلة « الاثنين » .

وفى خلال فترة استعداد الدار لاجراء مجلة « الاثنين » عرض عليها عبد السلام أن يقضى هذه الفترة فى قسم التصحيح بها ، ومنذ الأسبوع الأول عين رئيسا للقسم ، وبقي يشغل هذا المنصب حتى صدرت مجلة « الاثنين » فقلل اليها محررا ومراجعا ومعيدا لكتابة بعض ما ينشر فيها ، وكان حسين شفيق رئيسا لتحريرها ومن محرريها الأساتذة محمد على غريب ، وأحمد جلال ، الدكتور محمد أبو طابطة ، وعبد الصبور قايلى ، ومحمد حمدى ، ومحمد فهمى سماعة ، وحسن مظهر ونصر الدين عبد اللطيف ، وحريم الغمراوى بالاضافة الى نخبة من مشاهير الأدباء يكتبون لها من الخارج ، ومنهم الاساتذة : ابراهيم عبد القادر المازنى ، والدكتور أحمد أمين ، والدكتور محمد عوض محمد ، وعبد الحميد عبد الحق باشا . وعدد كبير من هواة الصحافة الشباب ، بينهم بعض طلبة المدارس - وقد خصصت المجلة لهم صفحات منها أطلقت عليها اسم مجلة « أولاد الاثنين » وأسندت الاشراف عليها الى التلميذ حنفى عاشور ، الذى صار فيما بعد مديرا لتحرير صحيفة الجمهورية .

وكانت سكرتيرته تحرير « الاثنين » تضم عددا كبيرا من الفتيين المبدئين الأكفاء بينهم الأساتذة : جوزيف انكولا ، شقيق مدير ادارة الدار والى حامى بباريس فيما بعد . ونسيم عمار ، وحسين فريد ، وفهمى نجيب ، وممسون حبيب ، ثم انضم اليهم عدد من المبتدئين منهم : اخوان فتحي الاشقاء : رينيه وميشيل وهنرى ثم توفيق بحرى ، وميشيل سمعان ابن شقيقة صاحبه الدار ، وشريف فام .

مصطفى امين رئيسا لتحرير مجلة الاثنين :

وبعد سنوات ، تعاقبت دار الهلال مع الاستاذ مصطفى أمين ، المحرر بمجلة « آخر ساعة » على أن يتولى رئاسة التحرير « الاثنين » بدلا من حسين شفيق الذى أنهت عمله بها وقدرت له ٦ جنيها معايشا شهريا . والى جانب المحررين الجدد الذين اختارهم بينهم ، عبد السلام شهاب ، ومحمد على غريب ، وحسين فريد ، بالاضافة الى رسام الكاريكاتير محمد عبد المنعم رجا .

وقبيل اختلاف مصطفى أمين وقبل أن يترك العمل فى دار الهلال وحين أصدر مجلة « أخبار اليوم » الأسبوعية ، كان عبد السلام صاحبا قد انقطع عن العمل بالدار دون استقالة أو إقالة مؤثرا التفرغ للعمل فى محلات « المطرقة » و « روزاليوسف » و « المصرى الهدى » وكان أكثر زملائه فى « الاثنين » قد تركوها للعمل مع مصطفى أمين وحاول كثير منهم حل عبد السلام على أن ينضم اليهم بدلا من الاستقالة ، سارع الى استئناف عمله بمجلة « الاثنين » بعد أشهر من انقطاعه عنه . وظل يمارس عمله فيها بجانب الجلات الثلاث المذكورة ، الى أن انتقلت دار الهلال من مقرها القديم المتواضع فى شارع قدادار المتفرع من شارع كوبرى قصر النيل ، الى مقرها الضخم بشارع المبتديان . وهناك أسندت الدار اليه عملين آخرين بجانب عمله فى « الاثنين » هما : مراجعة تحرير

مجلة « الهلال » الشهرية والاشترك في مراجعة مجلة « المصور » مع زميله الأستاذين : كمال نجيب وعبد الوارث كبير الذى هاجر بعد ذلك الى الكويت حيث اشترك في تأسيس مجلة « العربى » . وكال نجيب الذى عمل فى الاهرام . وهكذا أصبح لعبد السلام ثلاثة مكاتب فى دار الهلال ، مكتب لعمله بمجلة « الاثنين » يومين فى الأسبوع ، ومكتبين مئائتين لعمله فى كل من « المصور » والهلال . ثم أسندت اليه اعمال إضافية أخرى كان ينجزها خارج الدار ، ومنها : كتابة أبحاث ومواويل ومقالات فكاهية لمجلات الدار ، ومراجعة « كتاب الهلال » و « روايات الهلال » . وكتابة بعض الاعلانات التجارية ، ثم إعادة كتابة ٢٣ رواية طويلة تؤرخ للإسلام فى مختلف العصور من تأليف المرحوم الأستاذ جورجى زيدان مؤسس الهلال ، وتهذيب الكتاب الشعبى المعروف « ألف ليلة » ويقع فى ٥ أجزاء .

وبلغت مدة عمله فى مجلات الدار حوالى ٢٠ سنة ، تحمد مرتبه خلال نصفها الأخير ، اكتفاء بما يحصل عليه فى مقابل الأعمال الإضافية ، مع مكافأة مالية سنوية فى مقابل حرماته من العائلات . وكان يأمل أن تصحح الدار موقفها منه ، فتجزل له الأجر عن جهده الكبير فى إعادة كتابة الروايات الثلاث والعشرين لمؤسسها جورجى زيدان ، وتهذيب كتابه « ألف ليلة » خاصة بعد المكاسب الكبيرة التى جناها من هذين العاملين الكبيرين ، ولكن الدار - بدلا من ذلك - خيبت آماله فيها ، وقدرت له مكافأة لا تبلغ ٥٪ مما كان يرجوه . ولما رفض قبول تقديرها بعثت اليه بورقة تقول فيها انها علمت انه يعمل فى مؤسسة صحفية أخرى ، وترجوا ان يترك ذلك حتى لا يتعرض لتطبيق الجزاء المنصوص عليه فى لائحة الدار . وبعد حوالى أسبوعين اليه بعثت اليه بورقة أخرى تأسف فيها لإنهاء عمله بها شاكره له ما تقدم لها من خدمات .

وعند الخاسبة على المكافأة التى يستحقها عن مدة خدمته ، فوجيء بتقدير هذه المدة بعشر سنوات بدلا من عشرين . كما أصرت الدار على أن تكون المكافأة على اساس نصف مرتب شهر عن كل سنة من السنين العشرين بدلا من مرتب شهر !!

للمحاکم معهم .. والى آخر الطريق !

ولم يكن بد من التحاكم أمام القضاء ، وصدر الحكم لصالحه فيما يختص بتعويضه عن فصله التعسفى ، أما فيما يختص بمدة الخدمة فقد تبين للمحكمة من مراجعة دفاتر الدار ، أن تعيينه فيها مسجل من عشر سنوات فقط ، أى من عودته للعمل بها بعد الأشهر التى أنقطع فيها عنه طبقا لما أشير اليه من قبل . وهكذا أيضا كان حال الصحافى أيام زمان !

وأما فيما يختص بالعملين الإضافيين الكبيرين ، فقد قررت الدار امام المحكمة أنهما جزء من عمله الأسمى ، وأد جهده فيها لم يزد على مراجعتها نَحْوًا ، والاشترك فى تصحيح تجاربهما المطبعية ، وشهد شاهد من مديرى التحرير بالدار على ذلك ، ولكن المسئولين عن قسم التصحيح بالدار شهدوا بأن أصول كل اجزاء الف ليلة وروايات جورجى زيدان كانت كلها بخط عبد السلام شهاب . ثم شاء الله أن يعثر عبد السلام على اجزاء كاملة عدة من تلك الاصول المكتوبة بخطه ، فقدمها للمحكمة ورأت فيها ما يكفى للحكم بأن جهده فى إعادة كتابة الروايات لا يقل عن جهده مؤلفها ، ولذلك فهو شريك فيها بحق النصف . أما الاجزاء التى تم تهذيبها وتحقيقها من ألف ليلة فهى كلها حق خالص له ، وقررت المحكمة حوالى ٦٥٠ جنيهًا مكافأة لها ، ولكى تستأنف الدار هذا الحكم كان لابد من أدائها المبلغ المحكوم به فى خزنة المحكمة ، وقد كان . ومضى على ذلك ما يزيد على ١٥ سنة دون أن يتم الفصل فى القضية المستأنفة وحاولت الدار مرتين أن تستصدر حكما بإسترداد المبلغ من خزنة المحكمة ، فلم يحكم لها بذلك . ومازال الطرفان ينتظران (وقال شكرى زيدان وقال عبد السلام شهاب .. ومازال الأمر للورثة حتى هذه اللحظة .

دعوة غذاء عمل !

أما عمله بمجلة روزاليوسف فقد بدأ عقب مكالمته تليفونية تلقاها وهو يعمل بمجلة المطرقة من السيدة صاحبة المجلة تدعوه فيها الى الغداء معها في دار مجلتها ، ومع صديقة الزميلين : محمد عبد المنعم ، رخا ، رسام المجلة ، ووليم باسيل انحر بها .

وعلى مائدة الغداء ، تبين أن الزميل وليم ترك العمل بالمجلة مؤقتا وأنه ورخا رشحا عبد السلام ليحل محله اسبوعين وثلاثة أسابيع ولم يجد عبد السلام مقرا من القبول . وبعد ايام قليلة تبين عبد السلام أن صديقة وليم ترك العمل في مجلة روزاليوسف نهائيا ليتفرغ لأعمال صحفية وأدبية أخرى ، فصرح للسيدة صاحبة المجلة بأنه لن يستطيع الاستمرار في عمله بمجتلها أكثر من أسبوع ، لكنها استطاعت ان تقنعه بالاستمرار لأسبوعين أو ثلاثة حسب الاتفاق ، بل ٨ سنوات أو أكثر ، لم يكن معه في المجلة محترفي الصحافة غير عبد السلام رخا ، ومحرر ناشئ يكتب صفحة أو اثنتين كل أسبوع .. أما بقية صفحات المجلة - وعددها فوق الخمسين ، فكانت تحرر بأقلام عدد من الهواة والمتطوعين ، بينهم وزراء - سابقون وعامون ومهندسون وفنانون . وكان على عبد السلام وحده ان يراجع كل ما يقدمونه من انتاجهم قبل تقديمه للمطبعة وأن يكتب هو موضوعا أو موضوعين ، ثم يقوم وحده بتصحيح التجارب المطبعية .. كل ذلك ومرتبته الشهري في المجلة لا يزيد عن ٨ جنيهات .. وكثيرا ما كانت الحكومة تصدر اعداد المجلة بعد طبعها وبدء توزيعها ، فكان صرف المرتب يؤجل تبعا لذلك . وهكذا كان حال روزاليوسف .

وفي خلال سنوات عمله بالمجلة ، تعرف الى كثير من اقطاب الأحزاب الذين كانوا يمدون صاحبها بالمقالات والأخبار ، بالإضافة الى عدد كبير من الفنانين والفنانات ورجال المال والاقتصاد والأدب والجامعات . كما شهد عددا من محاولات صاحبة المجلة لتنظيم ادارتها وتحريرها وتوسيع مطبعتها . وتعاقب على العمل بها عشرات من الكتاب والظهيرين والاداريين ، بين محترفي وهواة ومتطوعين ، كانت شخصيات كثيرة منهم من الطرافة بمكان ، وواصل بعضهم العمل الصحفى حتى بلغوا أعلى درجاته الشهرة والنجاح ، ومنهم - على سبيل المثال - الاستاذ ، احسان عبد القدوس ابن صاحبه المجلة ، والاستاذ محمد حسين هيكل رئيس تحرير الأهرام ووزير الأرشاد القومى السابق ، وصحافي عصره طوال الستينيات !! وغيرهم كثيرين .

ولا يتسع المجال هنا لسرد الطوائف الكثيرة التى شهدها عبد السلام اثناء عمله في مجلة روزاليوسف . ولعلها لو جمعت كلها أو أكثرها ما اتسع لها كتاب مستقل من مئات الصفحات ...

● مثلا كان أحد كبار الزعماء يتحف المجلة كل أسبوع بكلمة من أسطر معدودة تنشر بعنوان « حكمة الأسبوع » . يستعرض فيها عضلات ما اشتهر به من بلاغة وحكمة وبيان . ومع أنها لم تكن توقع باسمه اكفاء بتوقيع مستعار هو « حكيم » .. وكان لا يأذن بنشرها الا بعد أن ترسل اليه « البروفات » قبل الطبع ، أو تقرأ عليه في التليفون ، ليراجعها ويغير منها ويبدل ما يشاء . وكثيرا ما كان التغير لا يتجاوز علامات الترقيم من كومات وأصفار وأقواس .. الخ .. ثم لم يكتف الزعيم الكبير بهذا كله ، فكان يوفد الى المجلة مبعوثا خاصا بالمجلة لذلك المبعوث الخاص - وما لبثت مهمته ان تطورت الى اعتبار نفسه عضو عاملا في هيئة تحرير المجلة ، وخصص عمود كامل في كل عدد لما تجود به قريحته في مختلف الموضوعات ، يذيل بتوقيعه الكريم بالبنط الكبير « حكيم » ، بعد عمليات تنقيح وتهذيب يشترك فيها عدد من الزملاء تقديرا لنشاطه وهداياه ، عينيه كانت أو قروضا غير واجبه الرد . وقد استمرت هذه الزمالة الكريمة حتى اختير فجأة بعد شهور لمنصب وزير !

● وزميل آخر عجيب : كان عليه أن يكتب صفحة للمجلة كل أسبوع ، لكنه ظل مشهورا يحرص على قضاء عشر ساعات بها يوميا على الأقل ، لا يكاد خلالها ان ينقطع عن الكتابة .. ثم أخذت مدة حضوره تناقص حتى لم

يعد يحضر الى المجلة الا ليسلم أصول الصفحة التي يكتبها . وما لبث ان انقطع عن الكتابة للمجلة والحضور اليها .. وتبين أن استغنى عن الصحافة كلها بالزواج من سيدة ثرية في عمر جدته ، وان الأوراق الكثيرة التي كان يمضي الساعات يوميا في كتابتها بالمجلة لم تكن الا رسائل غرام بها الى زوجة المستقبل الثرية العجوز .

ومن سخرية الأقدار ، أن ذلك الزميل الشاب لم يمتد به العمر بعد ذلك الزواج اكثر من سنتين ، أمضى الأخير منها مريضا بأحد المستشفيات . وتمضى ذكريات استاذنا عبد السلام شهاب .

وزميل شاب آخر بالمجلة ، من ابناء الصعيد ، بدأ عمله بها عقب تخرجه مباشرة في كلية الحقوق ، وأسعده الحظ من أول اتجاهه الى الصحافة ، فأسندت اليه اعمال رياسة تحرير المجلة . ومضت شهور وهو يتوج صدر كل عدد يصدر من المجلة بافتاحية يوقعها باسمه الكريم ، وفي اليوم الأول لصدر هذا العدد يتفضل بدعوة الخريين لشرب القهوة والشاي وعصير الليمون في مكتبه ، كما يتفضل بقراءة افتتاحية عليهم وتلقى اعجابهم وتقديرهم بتواضع العلماء .

وفي ذات يوم ظهر العدد وفيه الافتاحية ، ولم يكن صاحبها العالم العبقري الشاب لم يظهر في دار المجلة وطال انتظار الزملاء حضوره لكنه لم يظهر بعد ذلك في القاهرة كلها ، وتبين بعد حين أنه غادرها مسرعا للاقامة الدائمة في بلدته بالصعيد حيث افتتح مكتب للمحاماة وترك الصحافة إلى غير رجعه .

وكان السبب أن مجلة آخر ساعة التي كان محمد التابعي يصدرها منذ أن انقطع عن التحرير بمجلة روزاليوسف ، صدرت في ذلك اليوم نفسه وفيها صفحتان كاملتان بقلمه يثبت فيها بالزكروغراف أن جميع تلك الافتتاحيات منقولة بالخرق ، ودون أى تحريف ، عن مقالات له ونشرت باسمه في مجلة روزاليوسف ايام اشتراكه في تحريرها !! ..

وفي ذلك الحين ، خطر للأستاذ عبد الرحمن نصر ، مدير وكالة الانباء العربية ان يصدر مجلة اسبوعية باسم « المصرى افندى » واتفق مع السيدة روزاليوسف ، على طبعها بمطبعة المجلة : وعلى تخصيص حجرتين بالطابق الأرضى من دار مجلتها لإدارة - مجلته وتحريرها . كما اتفق مع عبد السلام صاحبنا على القيام بمهمة سكرتير تحرير مجلته . ولما كان محرورها أو أكثرهم من العاملين معه في الوكالة ، ومنهم : الاساتذة : عباس حافظ ، ومحمد وجدى ، ومحمد فوزى ، فقد بقيت الحجرتان خاليتين الا بضع ساعات في الاسبوع ليلة صدور المجلة .

وانتهز عبد السلام هذه الفرصة فأتخذ منها معتكفا للراحة من العمل بالنهار ، وملتقى له بخاصة اصدقائه لقضاء السهرات والمسامرات الأدبية والفنية وغيرها !! . وفي مقدمتهم من الأدباء والصحفيين الاساتذة / بيرم التونسي ، وعزيز احمد فهمى ، ومحمد على غريب ، ومحمد نزيه ، والشاعر محمود حسن اسماعيل ، وقاسم أمين ، زوج السيدة روزا ، ورسامو الكاريكاتير : رخا ، وزهدى ، والمثال السجيني ، والحاج فهمى الفيشاوى صاحب قهوة الفيشاوى العالمية بالحسين . ومن الفنانين الاساتذة : الموسيقار زكريا أحمد شيخ الملحنين ، وعزيز عيد ، شيخ الخرجين ، وعبد العزيز خليل ، شيخ الممثلين .

والى جانب العمل في مجلتي روزاليوسف والمصرى افندى ، عمل عبد السلام محررا ومراجعا في ثلاث مجلات اسبوعية مصورة أخرى منها : « العزيمة » التي اصدرها في ذلك الحين محام شاب وثيق الصلة بالنيل عباس حلمي الذى كان يتزعم الحركة العمالية عقب غضب القصر الملكي عليه وكان الخامى الشاب رشدى عمر يتولى قبل ذلك منصب مدير الدعاية ببنك مصر . ومنها مجلة « زهرة الشرق » التي اصدرها الاستاذ فؤاد مغيب ، اللبناني الأصل ، والمحرر المترجم بالأهرام ، عقب اختياره مديرا عاما للدعاية البريطانية في البلاد العربية . ومنها مجلة « أبو نضارة » التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ سيد البشلاوى ، ويتخذها ادارة في عمارة مواجهة لدار الأهرام القديمة ..

وكان المرحوم الأستاذ محمد خالد ، أحد كبار محرري الأهرام شديد الإعجاب بشعر عبد السلام وازجاله وفكاهاته . فلما ترك الأهرام ليصدر جريدة « الدستور » اليومية لحسابه اختاره سكرتيراً لتحريرها مع الأستاذ مصطفى الصباحي وأجزل مكافأته ليغنيه على العمل الشاق المتواصل في كل تلك الصحف والمجلات . وبقي الأمر كذلك حتى توقفت الدستور عن الصدور بعد سنوات فعاد عبد السلام الى توزيع جهدة وانتاجه على عدد من المجلات الاسبوعية ومن بينها :

- مجلة « الليالي » الاسبوعية الفنية لصاحبها د. حسين جلال .
- مجلة « الأولاد » التي أصدرتها مطبعة الرغائب .. وكانت تطبع على الحجر بالالوان ويتولى الرسم فيها الرسام محمد فوزى .
- مجلة « النداء » التي كان يصدرها ياسين سراج الدين .
- مجلة « الجمهور » التي كان يصدرها أبو الخير نجيب .
- مسامرات الجيب ، وألف نكته ، اللتان كان يصدرهما الزميل عمر عبد العزيز .
- الحوادث التي كان يصدرها محمد عفيفي شاهين .
- « ابن البلد » التي كان يصدرها الزميل المرحوم محمد على غريب . ثم عاد عبد السلام للعمل في دار الهلال . ومع ذلك ظل يواصل بانتاجه عددا من المجلات منها : مجلة « المطرقة » الى ان احببت عقب وفاة صاحبا ، ومنها مجلة التسعيرة ، وقطار البحر لصاحبها البيرومى راحي المقيم الآن لأمريكا ، ومجلة صوت العمال لصاحبها سليم يوسف .

وبعد احتجاب تلك المجلات ، عمل في مجلات أخرى ظهرت بعدها ومنها : مجلة « اضحك » الاسبوعية الفكاهية التي عين رئيسا لتحريرها ، اشترك في تحريرها معه بيرم التونسي الذي سبق اشتراكهما معا في مجلة « يا هوة » المماثلة التي كان يصدرها صاحب مجلة المطرقة . كما اشترك في تحرير مجلة اضحك الأساتذة : بديع خيرى ومحمد على غريب ، ووليم باسيلي ، وأمأمون الشناوى ، ومحمد مصطفى حمام ، ومحمد عبد المنعم (أبو بنية) ، وطه حراز ، وعبد الله امام ، وفتحى قورة . وراجت المجلة رواجاً كبيراً . ودعا صاحبها الأستاذ بريق يدار ، ضابط البوليس السابق والمحرر السابق بدار الهلال ، الى إصدار مجلتين معها احدهما للقصص ، والأخرى لحوادث البوليس .. وكان بسبيل إصدار مجلات أخرى ، لكنه توقف فجأة عن الاشتغال بالصحافة ، وتفرغ للمشروعات الصناعية . ومازال يمارس عمله في مشروعات ورق الكرتون .



• أخذت هذه الصورة أمام جريدة المطرقة في مايو ١٩٣٣ وفى الوسط الأستاذ عبد السلام وشهاب



انطون الجميل



تحت في الصورة



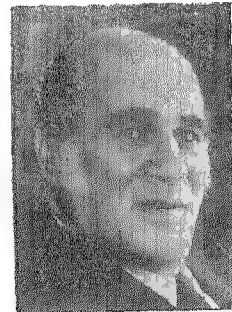
التي هي الصورة التي تظهر في الصفحة الأولى من العدد ١٠٠٠ من روز اليوسف

التي هي الصورة التي تظهر في الصفحة الأولى من العدد ١٠٠٠ من روز اليوسف



مكرم عبيد

سواء كان هذا هو الرجل الذي كان في الصورة الأولى من العدد ١٠٠٠ من روز اليوسف أو الرجل الذي كان في الصورة الأولى من العدد ١٠٠٠ من روز اليوسف، فإننا نعلم أن هذا هو الرجل الذي كان في الصورة الأولى من العدد ١٠٠٠ من روز اليوسف.



مصطفى أمين

• العدد الأول من
صحيفة «روز
اليوسف» اليومية.
صدر في ٢٦ أكتوبر
١٩٢٥ وتمثله
مليمات وفي الصفحة
الأولى لوحة فنية
للإيطالي تيسيان وهي
عبارة عن رسم للاله
فلورا. الله الربيع •



سلامه موسى



(٩) عن صحافة الاربعينات

ارتبطت صحافة الاربعينات ، بصحافة الثلاثينات ، مشاكلها وصراعاها .. وأخذت هذه الصراعات تتفاقم خاصة بعد إعلان الاحكام العرفية في أغسطس ١٩٣٩ .. تواطؤ الوفد مع القصر وانتشار الدسائس الملكية .. الازمات الاقتصادية نتيجة الحرب العالمية في العالم وفي مصر .. تعارض مصالح الأحزاب التي بدأت تظهر على صفحات الصحف ويعرفها الناس .. بحر من الأخبار اليومية يغرق فيه الناس كل يوم وظهور الكتاب الأسود .. وآثاره على المجتمع المصرى فى هذه الفترة ومحاولة اضعاف الوفد وقيام الملك بزيارات الى اسوان حيث انتشرت الملايا ، ومحاولة المنافسة على كرسى الحكم التنفيذى ثم قيام النحاس باشا بجولات مماثلة ! صراع على السلطة انعكس على الصحف وعلى الناس .. وانتشرت الاغتيالات السياسية وبدأت الجمعيات السرية والصحف والنشرات علنية سرية وانتشرت المظاهرات والصدام بين الطلبة والبوليس ونسمع عن حادثة كوبرى عباس فى ٩ فبراير ١٩٤٦ ، وزادا الهياج الوطنى بعد معاهدة صدق - بيفين فى اكتوبر ١٩٤٦ ويزيد عدد المثقفين وتتكون النقابات العمالية وتشهد هذه الفترة الغنية بالاحداث ، كراهية مصر للملك وفقد ثقتها بالحكام ، وكان هذا هو نتيجة تأثير الصحافة فيها .. أخذت تكشف كل شىء .. واضطربت الأحوال وتستمر الصحف وتظهر صحف جديدة ، « المصرى » الذى ظهر عام ١٩٣٦ ، أخذ يشتد ساعده وتظهر صحف مثل الكتلة الوفدية وأخبار اليوم والأساس والزمان والاشتراكية ومصر الفتاة والجمهور العربى والايخوان المسلمين . وكلها توجه الرأى العام ، تؤثر فيه وتتأثر به .

وتتعدد مصادر الانباء : احمد حسنين يصبح صديقا للصحفيين ويوزع على مندوبى الصحف قصص عن ديمقراطية الملك فاروق المزعومة . الوفد يوزع الاخبار ايضا . والصحفيون .. أقطاب تماما. كأقطاب الأحزاب ..

وتبلغ الصحافة شأنًا كبيرًا : وزراء سابقون يشرفون على التحرير ويقول المصور في ٤ فبراير ١٩٣٨ « علمنا أن الوفد المصرى اشترى حصة كبيرة من جريدة المصرى وأصبح له الحق فى الإشراف على سياستها وإدارتها وكذلك اشترى حصته فى جريدة الجهاد ويتولى نجيب الهلالى ادارة هذه الصحف .

وتنمو الصحافة والصحف .. اقطاب مصر الجدد وتنشأ لهم أول نقابة صحفية ، وفى ٣١ مارس ١٩٤١ ، صدر القانون الأول لنقابة الصحفيين وكان ذلك اعترافا بأهمية الصحفى المصرى وحقوقه ..

وكانت النقابة الأولى مكونة من جبرائيل تقلا وأمين الرافعى وسليمان فوزى وحمدى ابراهيم وداود بركات وفارس شنودة المنقبادى والشيخ حامد ابراهيم ورشيد رضا وخليل ثابت واميل زيدان .. وهكذا ينمو حجم الصحفى المصرى ولكن الرياح لا تأتى بما تشتهى السفن .. ففى ١٤ ابريل ١٩٤٢ نقرأ فى صفحة ٢ من الأهرام هذا الخبر : **تخفيض حجم الصحف الى أربع صفحات .**

السطر الأول ٣٦ أسود والسطر الثانى ٢٤ أبيض ، وتحت فاصل على عمود وسط السطر والجمع عمود واحد يفصله جدول فى الوسط . ومقدمة الموضوع تقول : قضت ظروف الحرب وما صارت عليه وسائل النقل والشحن بتخفيض مقدار الواردات الى مصر من الخارج ومن ذلك مقدار الورق المعد لطبع الصحف والمجلات .. فبعد ان ارتفع ثمن الورق الى أن بلغ أكثر من سبعة أضعاف ما كان عليه قبل الحرب انخفض مقدار الوارد منه حتى نقص عن مقدار ما تحتاج اليه الصحف .

● عنوان فرعى : الأمر العسكرى : لذلك رأى صاحب المقام الرفيع الحاكم العسكرى العام اصدار الأمر العسكرى الذى نشرناه منذ يومين وهو يقضى بانقاص عدد الصفحات فى الجرائد اليومية الى اربع صفحات وقصر صدور هذه الجرائد على ست مرات فى الأسبوع .

● وتنفيذا لأحكام هذا الأمر العسكرى ستصدر « الأهرام » كغيرها من الجرائد اليومية فى أربع صفحات ابتداء من اليوم ، بعد أن كانت قبل الحرب تصدر فى ٢٠ و ١٦ صفحة ، وبعد ان كانت تنشر فى كل سنة أعدادا ممتازة يصل عدد صفحاتها الى ٦٤ صفحة .

● أقلام التحرير : وستبدل أقلام تحرير « الأهرام » أقصى ما فى الطاقة مثلا يترتب على انقاص عدد الصفحات نقص فى الانباء ، وذلك بزيادة عدد السطور فى الأعمدة ، والابجاز فى تدوين الأخبار ، وتلخيص البيانات والمذكرات والخطب تلخيصا وافيا لا يخل بمضمونها ، وبعبارة واحدة بتقديم أكثر ما يمكن من المواد فى أقل ما يمكن من المكان .

● رسائل الكتاب : ولا نرى بدا من التوجه الى حضرات الكتاب والشعراء الذين اعتادوا ان يوافوا « الأهرام » بنفثات أقلامهم ، وهو أن يتفادوا الفصول المستفيضه ، والابحاث الطويلة التى يضيق عنها نطاق الجريدة فى حجمها الجديد .

● الاعلانات : وستنظر كذلك الى الاقتصار على ما يسمح به المجال من « الاعلانات » راجين من حضرات المعلنين ان يكتفوا بأقل حيز ممكن حتى لا نكون مضطرين الى رفض الاعلان لضيق المقام وسيتصل « قلم الاعلانات » في ادارة « الأهرام » بحضراتهم للإبلاغهم الشروط الجديدة للاعلانات .

● أسوة بغيرنا : والصحافة المصرية التي التزما منها تساير البلاد في نهضتها ، عاملة على مجازاة صحافة أرقى البلدان في أنبائها الداخلية والخارجية وفي ما تنشره من الفصول والبحوث السياسية والاقتصادية والأدبية والاجتماعية ، تدعن مضطرة للظروف الحالية القاهرة ، ولها في ذلك أسوة بصحافة العالم اجمع التي قصت عليها الحرب بمثل ما تقضى علينا به مراعاة لندرة الورق .

● أمل ورجاء : واذا كانت الأمة جمعاء قد رضيت بما فرضته الحرب من ضروب الحرمان في شتى مناحي الحياة ، فلا شك في أن جمهور القراء سيقابلون هذا الحرمان الجديد بزيادة العطف على صحفهم الأمانة التي سظل في حجمها الصغير ، كما كانت في حجمها الكبير ، خادمة مخلصة للمصلحة العامة . والله نسأل أن يعيد السلام والطمأنينة الى العالم فعود الحياة الى مجراها الطبيعي في مختلف مظاهرها .

ولكن برغم من نقص صفحات الصحف كان الفن الصحفي قد بدأ ينتشر وقصص وحواديت الصحفيين لا تنتهى . !!

● صلاح عبد الجيد وعثمان العنتبلى يتناولان الوزراء بالتشبيهات القاسية يقول الأول النحاس رقاص مثله مثل بديدة مصابنى هو يرقص على المسرح الفنى ويصر العنتبلى أن يكتب ذلك في ذلك ورقة يأخذها ويعطيها الى النحاس نفسه .. ويفاجيء في اليوم التالى صلاح عبد الجيد بالنحاس باشا يقول له : كده يا ابن .. تكتب في هذا الكلام ويفاجيء صلاح عبد الجيد ويكاد يغمى عليه !

● « الجهاد وهى في المعارضة تنتقد الحكومة لأن اثنان قد ماتوا في اسوان بسبب الحر !

● انتشرت « الفبركة الصحفية » وأصبحت فنا مشهورا وكان من أشهر قصص هذا الفن اللعين قصة محرر المقطم الذى جاءه عامل المطبعة ليقول له ان الصفحة الأخيرة ينقصها أخبار .. ويعدها يرسل المحرر فقرة يقول فيها الخبر لا أساس له .. وقد اكتشف ذلك والجريدة ماثلة للطبع .

● ويطلق حافظ محمود على هذه الفترة الياءات الفنية الصحفية العشرة « وهى يحرق .. يختصر .. يشيل .. يطبخ .. يعلق .. يغطى .. يفبرك .. يفرقع .. ينافق .. يوضب ..

● ويكتب الصحفيون تحت اسماء مستعارة : مكرم عبيد : حكيم - نجيب الهلالى : مخالب القط أوديك الجن - محمد محمود : صريح - مصطفى أمين مصمص - التابعى :

حندس - توفيق حبيب : الصحافي العجوز ويشتهر حبيب جاماقي بتعبير : تاريخ ما امله
التاريخ !

● ويشتهر « صالون الأهرام » ويكتب المصور في ابريل ١٩٤٣ يقول : « شلة الأهرام »
« كانت مصر عامرة بالصالونات فكان هناك صالون بيت الأمة وسلامك دار محمد محمود باشا وسراى محمود
عبد الرازق باشا وغيرها وكانت هذه الصالونات في وقت من الأوقات مركز الحركات الفكرية والسياسية وتوفى سعد
ومحمد ومحمود عبد الرازق وبوفاتهم أقفلت هذه الصالونات أبوابها !

وفي السنوات الأخيرة ظهر صالون الأهرام وهو عبارة عن غرفة الاستاذ أنطون الجميل بك رئيس تحرير الأهرام وان
كانت الغرفة تضيق في بعض الأحيان عن أن تستوعب كل أعضاء الشلة فيتفرقون في الغرف المختلفة .

وقد وصف الكاتب الشروط التي يجب توافرها في عضو شلة الأهرام وأول هذه الشروط أن يترك داخل الصالون
حزبيته على الباب وبجوار لفة ومركزة يؤنسان وحدتها طول فترة الانتظار .

والواقع أن شلة الأهرام تجمع بين مختلف الأحزاب .. فهناك الجميل بك وهو مستقل بمعنى الكلمة وجبرائيل
تقلا وهو معارض دائما والاستاذ ابراهيم عبد الهادي وهو سعدى والاستاذ زهيرى صبرى وهو وفدى اشتراكي وعبد
الستار الباسل بك وهو وفدى وعبد الجليل ابو سمرة باشا وهو دستورى وحفنى محمود بك وهو دستورى ثالث
والاستاذ قاسم جودة وهو كئلى وغيرهم كثيرون .

كل صنف ..

وتجد في شلة الأهرام كل صنف .. فهي تعقد في بعض الأحيان بشكل مؤتمر حزبي يبحث الخطط العسكرية على
الخرائط الموجودة على الموائد والجدران .. وهنا يبرز للمناقشة الخبير الحزبي الأستاذ عبد الرحمن عزام بك وعبد الستار
بك الخبير في طرق الصحراء ! وقد انقطعت محاضرات الباسل بك بعد انتهاء حملة شمال افريقيا !

وتتعقد شلة الأهرام بهيئة مؤتمر اقتصادى يبحث شئون المال والأسهم والسندات والتمويل وهنا يتولى الحديث
أنطون وأحمد بك نجيب مندوب الحكومة في بورصة الأولوازيق والأستاذ على أمين مدير المكتب الفني لوزير المالية ..
كلم التاجر العصامي المعروف سيد جلال بصفته خبيرا عمليا في شئون القومين !

وعندما تعقد شلة الأهرام بهيئة مجلس ادباء يتصدرها الأستاذ توفيق دياب وتوفيق الحكيم وأحمد الصاوى محمد
وكامل الشناوى .

وعندما تعقد شلة الأهرام بهيئة « سوق عكاظ » يتصدرها الشعراء خليل مطران وكامل الشناوى ومحمد الأسمر .

وفي اثناء الحوادث الجسم تعقد شلة الأهرام بهيئة برلمان سياسى يجمع كل حزب وكل لون وكل رأى .. ويخرج
الأستاذ مصطفى أمين ، ولا يلبث أن يعود مهرولا فتشرب اليه الأعناق وينصت الجميع فيلقى هذا خبرا هاما سيهم
له الجميع أو يضحك له الجميع !

ولا تتخذ الشلة قرارات ، ولا تشر على الناس الآراء التى يديها أصحابها فان هذه الجلسات سرية ولا يصح لعضو من الأعضاء أن يخرج ويقول .. سمعتم يقولون كذا فى الأهرام !
وكانت الحكومات تهتم كثيرا بما يجرى فى هذه الغرفة ، وحدث أن ذهب دولة حسين سرى باشا رئيس الوزراء إلى الأهرام ودخل غرفة انطون بك الجميل فقال له :
- هذه هى الغرفة .. التى تحسب الوزارات حسابها ؟!

ومن أعضاء شلة الأهرام الأستاذ عبد الحميد عبد الحى وزير الأوقاف وعبد المجيد صالح باشا والإستاذة سليمان نجيب وفكرى أباطة وأحمد مرتضى المراغى والدكتور عزمى والدكتور محبوب باشا ثابت وإبراهيم الطاهرى بك ، وعلى راتب والدكتور مأمون عبد السلام الاختصاصى فى القلقاس !

أعضاء ضيوف

وتحب شلة الأهرام ان تستفيد بجميع الآراء والابحاث فتدعى من وقت الى آخر بعض الضيوف ليقضوا السهرة مع الشلة ..

ويسمى هؤلاء أعضاء ضيوف .. ومن هؤلاء الذين شاهدناهم فى جريدة الأهرام محمود شكرى باشا وزكى الإبراشى باشا وهبى الدين بركات باشا ومحمد محمود خليل بك وغيرهم !

وتتحول الصحافة .. الى اسلوب التلغراف والصور .. وأبواب التسلية وتبدأ فى مخاطبة غرائز القارئ بالصورة العارية مرة وبالكلام الملفوف مرة ، وبالطباعة الجيدة من أجل مزيد من التوزيع والانتشار من أجل الابتعاد عن قلم الرقيب الذى يحذف ويمنع !!
وتبتكر أخبار اليوم الطريقة الجديدة لكتابة الخبر وابرار الصورة وتهتم بالاعراج الصحفى الذى على غرار صحف الأحد فى لندن وتثير من أول يوم ظهورها بالمانشيتات الضخمة بعنوان : لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد ؟

- وهكذا خرج مقال مصطفى أمين الشهير بعنوان :
- مصطفى أمين يكتب الوصايا العشر لعلى ماهر
- هل من المصلحة ان يبقى منصب رئيس الديوان خاليا ؟

ينشر مربع أبيض - بدون كلام - والى جواره كاريكاتير لثلاثة من الزعماء والمقال عبارة عن ثلاث صفحات .. وفى الصفحة الثانية الوصايا العشر مكتوبة بارقام فى أولها رسم ليد بها صابع يشير الى نهاية رسم لعلى ماهر فى حالة إستياء . ثم رسم آخر لعلى ماهر بالكاريكاتير ينظر الى سلة مهملات بها وصايا مصطفى أمين .. وبأسف

شديد .. ويقول له تذكر جيدا ان كثير من رؤساء الوزارات القوا بالنصح الخالص في سلة المهملات فانهى بهم الأمر أن وجدوا أنفسهم أيضا في سلة المهملات ! »

طريقة جديدة للأخراج لابراز الفكرة :

وفي نفس العدد من آخر ساعة يسخر من الصحفيين ويكتب بأسلوب كل منهم ويقول ماذا تكتب الصحف لو أن الطليان زحفوا فجأة على مصر بأسلوب كل من كريم ثابت وأحمد الصاوى محمد وعباس العقاد وفكرى أباطة ومصطفى أمين .

وتحولت الصحافة تبحث عن شيء آخر غير القضية الوطنية وتاهت في زحام الخلافات الداخلية بالرغم من ذلك استمرت بعض الاقلام ولعت بعض الأسماء .

● أخبار اليوم تثير الدنيا تحت عنوان لغز الاسبوع وردت في افتتاحية الأهرام لعزيز ميرزا لم يفهما أحد وتقول العبارة :

مد في ارتفاع نفقات المعيشة ... كلت الآمال في إرتقابها له جذراً

● فكرى أباطة يكتب في المصور عام ١٩٤٣ تحت عنوان عجوز شمطاء يقول :

من أروع ما نشر في الاهرام رد في غاية القوة والمثانة موقع عليه بمضاء عجوز شمطاء على مقال من مقالاتي ضد الجنس اللطيف وقد دهشت للأسلوب قوته ومثانته فأخذت اتحرى عن الكاتبه حتى علمت أن العجوز الشمطاء هى الأستاذ الكبير « لطفى جمعة » !!

● خليل ثابت نائب رئيس تحرير المقطم يلقي كلمة للصحفيين يقول فيها : «لقد كان الدكتور هيكل صحفيا عظيما لكنه انحط حتى صار وزيرا !!

● يصدر كريم ثابت مجلة « العالم » وتهتم بالمجتمع وأحاديثة وينشر فيها أخبار على طريقة جديدة يقول مثلا حافظ ابراهيم يكره التفاح ، فتح الله بركات يأكل مرق الفول المدمس ، عبد الفتاح يحيى ينزعج اذا لم يجد في جيبه إنبوية اسبرين ، أحمد خشبة يفضل الحلوة الطحينية على الكباب !! وفي سنة ١٩٢٧ كتب مقالا بعنوان : « نريد أن نرى الأمير فاروق » .. وبعدها بعام ينشر أخبار الأمير فاروق الى أن يصبح صديق القصر ويلاحق الملك وزوجته فريدة في فندق كتركت ويصدر كتابة الملك فاروق الذى بدأه بكيف تشرفت بمعرفة الملك فاروق .

● حتى صينية البطاطس التي كتب عنها توفيق الحكيم كانت حديث الناس : ففى أوائل الاربعينات كان توفيق الحكيم لايزال موظفا فى وزارة الشؤون الاجتماعية وكان يكتب بين الوقت والآخر مقالات فى بعض المجلات الى جانب ما كان يصدره من كتب .

وطلبت اليه دار الهلال مقالا وذهب كمال نجيب المحرر فى المصور فى ذلك الوقت يطلب منه المقال كالعادة .. وكان اللقاء يتم فى مقهى الجمال .. المواجهة للمنزل الذى كان يقيم به او منتدى آخر عمارة الايمويليا يواجه البنك الاهلى أو فى مقهى بجوار سينما مترو وبعد حديث طويل حوّل المقال كان يتم الاتفاق على لقاء فى بيت توفيق الحكيم بملى فيه المقال ...

وكان من أشهر ما كتب مقالا عن صينية البطاطس أثار ضجة ونشر « المصور » نحو ثلاث مقالات متتالية ردا عليه وفى إحدى المرات ذهب مبعوث المصور يطلب الى الكاتب الكبير مقالا فكان رده : التابعى أصبح يدفع الآن ثلاثة جنيهات ونصف عن المقال وأنا لايمكن أن أرضى بالكتابة بدار الهلال بجنيهين !!

وذهب مندوب المصور الى الاستاذ شكرى زيدان المشرف على المجلة فى ذلك الوقت وأبلغه طلب توفيق الحكيم . وفتح شكرى زيدان باب غرفته الذى يصل بينها وبين غرفة شقيقة الأكبر اميل زيدان ودخل ليلغة بطلب توفيق الحكيم زيادة أجر المقال مائة وخمسين قرشا .. وبعد مداوات استمرت بعض الوقت عاد يقولان شكرى وإميل للمندوب المصور : قل له .. لا ..

ولكن لتوفيق الحكيم اسمه الكبير ونحن نستغل مقاله لنشر تعليقين أو ثلاثة فى كل مرة ولاشك أن هذا يساوى أكثر من المبلغ الذى اتفقت معه عليها .

وأصر أميل زيدان على موقفه .. ورفض الزيادة ..

ومضت شهور .. وصدرت أخبار اليوم وإذا بتوفيق الحكيم يسرى موقفه مع الحكومة ويطلب احالته الى المعاش ليتفرغ للعمل فى الجريدة الجديدة بمائة وخمسين جنيها فى الشهر ، وهو أعلى مرتب يتقاضاه صحفى أو كاتب حتى ذلك الوقت . وكان اغراء المرتب الضخم حافزا لتوفيق الحكيم على التفرغ لأخبار اليوم ، وكان هذا هو شرطها لعمله ... ● وهكذا إهتمت الصحف بأخبار المجتمع بطريقة غريبة .. بدأت تنشر .. وتبتعد عن السياسة قليلا فتهتم ببعض المساجلات الاجتماعية .

كيف صدرت روايات الجيب ؟

كان عمر عبد العزيز ومحبي الدين فرحات يعملان في الجهاد معا فخطرت لهما فكرة عمل روايات الجيب تناسب المثقفين الذين يريدون ان يتسلوا في هذا الوقت فأحضروا رأسمالا قدره ١٤ جنيها وخشى عمر أن ينفقها وحده فاشرك زميله معه في رأس المال ويقول له محي الدين ان المبلغ معي وأنا مستعد أن أقرضك اياه ولكني لا أحب أن أشارك في المشروع وقبل عمر وطبع العدد الأول ونفذ في نفس اليوم وجاء « الفهلوى » متعهد الصحف وطلب إعادة طبع العدد فقال له ليس معي نقود تسمح بذلك فعرض عليه أى مبلغ يشاء واعيد طبع العدد ونجحت الروايات (روايات الجيب) لا مثيل له وكانت تباع بقرش واحد وتوسع عمر عبد العزيز فبدأ بشراء صناديق الحروف ثم ماكينات الطبع واشترى آلة روتوجرافير وأصدر مسامرات الجيب وأضحك ومجلة للأطفال .. توسع بطريقة سريعة جدا قضت عليه فافلس وعاد يعمل مترجما في الاهرام ، وكان يدفع في ترجمة الرواية ٣ جنيهات للمترجمين ومنهم كمال نجيب سكرتير تحرير المصور وأحمد جلال وعبد الرحمن نصر وصادق راشد وكانوا يترجمون الرواية في ليلة واحدة !

وسط هذه الضجة الصحفية التي حولت مسار الصحافة المصرية كانت هناك أقلام بارزة هي علامات الطريق نذكر منها أقلام محمد حسين هيكل ومكرم عبيد ومحمد التابعي ومحمد مندور .

محمد حسين هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦)

عمل في « الجريدة » مع لطفى السيد وقت أن كان طالبا يدرس الحقوق وفيها تنشر قصة زينب التي هاج عليها الرأي العام وأصبحت علامة في طريق الأدب المصرى ثم حصل على الدكتوراه من فرنسا في موضوع « الدين المصرى العام » .

وبالرغم من أن هيكل لم يتخذ الصحافة حرفة ولكنه اتخذها عقيدة الا أنه كان أول مدير تحرير عرفته مصر في جريدة السياسة ، ويستخدم هيكل المقال النزلى مصر الى أن يصل الى الوزارة في أول يناير ١٩٣٨ وفى عام ١٩٤٣ يصبح رئيسا لحزب الاحرار الدستوريين ، وكان له طريقة جديده في كتابة المقال فكان يبدأ المقال بخبر ثم يفسره ويحلله ويلقى عليه الضوء .

مكرم عبيد (١٨٨٩ - ١٩٦١)

وقد بدأ حياته موظفا بالحكومة عام ١٩١٠ ثم عين مدرسا بكلية الحقوق وفى عام ١٩٢٠

نفى مع سعد زغلول الى جزيرة سيشل ثم أصبح بعد ذلك من أشهر وزراء المالية وظل سكرتيرا عاما للوفد وبعد خروجه من الوفد أصدر الكتاب الأسود وألف حزب الكتلة الوفدية في عام ١٩٤٢ . وتكاد تكون الصحافة هي المنفذ الوحيد الذى أدى منها نشاطه !!

● وكان مكرم بارعا في التلاعب بالالفاظ يوم أن طلق فاروق زوجته الملكة فريدة كتب تحت توقيع حكيم في برواز في رأس الكتلة « ابغض الحلال الى الله الطلاق » !

● وعند وصول ادمون جهلان من أوروبا وفتحة الخزانة التى ختمتها النيابة وسحب منها بعض المستندات الخاصة بقضية الأسلحة الفاسدة نشر مكرم عبيد مقالا بعنوان : هل وزير الحرية جاهل .. أم جهلان ؟

كانت الكتلة قد بدأت تضعف لشدة محاربة الحكومة لها وكان توفيق صليب مديرا للمطبوعات وتولى مهمة التضييق على الكتلة لاغلاقها . وفي نفس الوقت كانت الجريدة تعاني أزمة كبيرة ولكن مكرم عبيد لم يكن يريد اغلاقها بنفسه وإنما كان يتمنى أن تقوم الحكومة بذلك ولهذا كانت الرقابة تجيز نشر بعض الموضوعات في الكتلة وكانت تنقل صفحاتها من المبنى الذى كانت تشغله بشارع منصور الى مبنى جريدة البلاغ المجاور لها لطبعها هناك وما تكاد الآلة تدور وتخرج النسخ الأولى من الجريدة - تنقل الى توفيق صليب في وزارة الداخلية حتى يصدر أمره في معظم الاحيان - يوقف الطبع وحذف مقالات باكملها أو حذف حكمة اليوم وكان يعنى ذلك أن تخسر الجريدة كل النسخ التى طبعت حتى ذلك الوقت كما أنها كانت تعاني مشكلة .. ملئ الفراغ الذى تنتج عند حذف الرقابة فليس هناك مادة تكفى حتى أن سكرتير التحرير « كمال نجيب » كان يضطر كما حدث ذات مرة نشر اعلان وهمي يشغل حوالى نصف صفحة عن « السجارة الجديدة !!! انتظروها قريبا . » وطبعاً ليس هناك سيجارة جديدة أو أى شيء !!

● يقول عنه سلامه موسى : ذات يوم كنت في الاسكندرية وقابلت مكرم عبيد وكان سكرتيرا للوفد وتحدثنا عن الموقف السياسى وأدلى مكرم بحديث هاجم فيه القصر واعدت الحديث للطبع بل ان ماكينات الطباعة دارت فعلا وطبعت عدة آلاف واذا بمكرم عبيد يبحث عنى تليفونيا من الاسكندرية في كل مكان في المجلة وفي البيت وفي بار اللواء وتحدث مكرم عبيد معى فقال : انه لا يريد ان ينشر الحديث لأن نشره يغير الموقف الحالى لان هناك من يسعى الى تعكير الجو قلت ما العمل وقد طبعنا منه خمسة آلاف حتى الآن قال مكرم ، ببساطة : تصرف !

● وكان أن أعدمنا آلاف النسخ التي طبعناها وعدنا وطبعنا نسخا جديدة ليس فيها الحديث ونشرنا خيرا أهم من الحديث وهو أن هناك اتجاه في الوفد غايته التفاهم مع الرأي الآخر ! وكانت الضجة التي أحدثها الخبر أهم كثيرا من تصريح مكرم عبيد وهكذا خسرت تصريحنا هاما ولكني كسبت خيرا أهم من التصريح كان الخبر يساوى أكثر من الخمسة آلاف نسخة التي أعدمناها فقد احدث ضجة كبيرة وفي يوم صدور العدد ذهب رئيس الوزراء الى القصر وقدم استقالته من الوزارة .

ويقول عنه العقاد : البلاغة عنده لها طابع التأثير بالقرآن الكريم وكما كانت تقدم على استغلال المحسنات اللفظية حتى في الموضوعات الجافة .

ويرجع الأستاذ العقاد ذلك الى أن مكرم عبيد كان وليد ماسماه بالمدرسة القنائية في الآداب ويقول في هذا الصدد .

ان أول اشتغالي بوظائف الحكومة كان في اقليم قنا ، فرأيت فيها عجيبا بين البلاد المصرية في ذلك الحين ، واعنى به تلك الحركة الأدبية التي تعد تالية لحركة القاهرة نفسها في أوائل القرن العشرين ، لأننا لم نعرف بينه من المدن جمعت - الادباء والشعراء من يضارعون أدباء قنا وشعرائها في الكثرة والجودة ، فلم يكن عددهم فيها يقل عن عشرين ولم يكن مجالسها حديث فيها هو أفضل عند أهلها من رواية النظم الرائق والنثر البليغ ..

كان لمدرسة قنا في الأدب طابع الزمن الذي ازدهرت فيه « فكان شعرها من قبيل شعر البهاء وابن مطروح ، سلاسة وعذوبة وظرفا وحسن فكاهة وكان نثرها من قبيل ما يشتهر بالسجع والجناس والتورية والطباق ، فمكرم عبيد كما يقول العقاد وليد تلك الطريقة .

● أما حفنى محمود فيقول عنه : لم يفتن مكرم عبيد الناس لانه أديب ، فهو فوق الأديب هو شيء آخر فوق الأديب والأدباء ، هو رجل فنى فهو فنان في السياسة كما هو فنان في الكتابة والخطابة .

● وعند وفاته القى أنور السادات رئيس مجلس الأمة في ان ذاك خطابا في الكنيسة المرقسية عند الصلاة على جثمان مكرم عبيد أبين فيها الفقيه وأشار بكفاحه الوطنى في سبيل الاستقلال منذ ١٩١٩ وقال أن ابطال ثورة ٥٢ يعاهدون ابطال ثورة ١٩ على أن يسيروا دائما في طريق الكفاح الذى بدأوه واستشهدوا في سبيله .

● وقال عنه محمد حسنين هيكل في ١٠ ديسمبر ١٩٦٥ في مقاله بصراحة :

ماكان يتبقى من الثورة المصرية أو من ناتج العمل المصرى كاد يذهب الى خليط غريب من عناصر الاستقلال الخلى .

طبقة على القمة من جماعات المغامرين الأجانب وجماعات من المتصممين وجماعات من الاسر الشرسية ثم جماعات من ابناء البلد انفصلوا بالمصلحة عن الجموع المصرى وانضموا الى طبقة الإستغلال الخلى .

وشهادة لله - وأمانة - فان أول بارقة ألمت فى خيالى الى هذه الكلمة كانت عبارة وردت فى خطاب مكرم عبيد القاه فى مجلس النواب سنة ١٩٤٢ قال فيها « لقد خلعنا مصر من الاستعمار الأجنبى ويقى أن تخلص مصر من الاستعمار المصرى » لقد كانت هذه العبارة فى زمانها ومكانها سهما مشتعلا مرق لضوء الليل وخجاً !

ويثير الاهتمام هنا أن هذه العبارة كانت آخر صيحة صادقة انطلقت من حزب الوفد القديم .. وبعدها مباشرة بدأت عوامل التحلل والتعرية - التى تأكل بها حزب الوفد على مكرم عبيد سكرتير الحزب أيامها واخرجته من الحزب ثم ضيع البطاحن الحزبى هذه الصيحة وضيع صاحبها فى سراديب كما ضيع الوفد كله .. وضيع امكانية اكتشاف الحقيقة كلها لكى يظهر ان الاستعمار المصرى الذى أشار اليه مكرم عبيد هو مجرد واجهة للاستعمار الأجنبى الذى ظن مبالغة فى التفاؤل وقتها أن مصر تخلصت منه !

(محمد التابعى ١٩٠٣ - ١٩٧٧)

سيظل ذلك الصحفى هو جنتلمان الصحافة المصرية فقد هجر الوظيفة بعد تخرجه من مدرسة الحقوق عام ١٩٢٣ وعمل رئيساً لتحرير روزاليوسف عام ١٩٢٨ وانشأ آخر ساعة فى عام ١٩٣٤ واشترك فى انشاء المصرى عام ١٩٣٦ وباع آخر ساعة عام ١٩٤٦ وعمل فى أخبار اليوم إلى آخر حياته .

وهو فى حياته انيق .. لا يشرب الا مياة « فيشى » وصحفى لا بهمة شيء ، ولكنه بلا جدال ثورة فى الصحافة المصرية فى الاسلوب وفى كتابة الخبر وكلام الصورة والاخراج فهو سيد صحافة عصره كما كان عبد الوهاب سيد الغناء وأم كلثوم على عرش الفن الغنائى .

الجنتمان سجيننا :

دخل « أستاذ التابعى » السجن بسبب قضية الحصانية وهى قصة القذف فى حق مأمور السبلاوين . ويقول لم يكن هناك تفرقة معاملة بين المسجونين بسبب جنحة أو جناية سياسية أو بسبب سرقة أو تزوير أو قتل أو قطع طريق ! يقول : واستدعوا حلاق السجن الذى قص لى شعر رأسى « ثرة واحد » كما يقولون أما دقنى فكان الحلاق يخلقها لى كل اسبوع مرة واحدة وبالقطة !

ووجدت فى الزنزانة « بورش » على أسفلت ارضية الغرفة ومن فوقه مرتبة مغطاة بالقش وبطانية صرف .. وقد سمحت لى ادارة السجن بشرب الماء المعدنى ولكن من مالى الخاص ومن ثم كانوا يحضرون لى كل يوم زجاجة ماء « ايفان » وكان ثمنها خمسة قروش « !! وفى صباح اليوم التالى زارنى كبير أطباء مصلحة السجون الدكتور عبد المجيد واكتشف ان عندى عدة أمراض لم أكن أعرفها مثلاً لغط فى القلب وزلال ومنغط وأمر كبير اطباء مصلحة السجون

أن يضعوا لى سرير فى الزنانة والى جانب مائدة صغيرة عليها غطاء من الرخام وأمر لى بطعام خاص بناء على طلبى وهو قهوة وقطعة من الجبن أو الحلاوة الطحينية فى الفطور وكنت أتناوله فى السادسة صباحا ، وحساء عدس وكبد ، أو لحم مشوى وأرز وفاكهة للموسم فى الغذاء وكان ميعادة فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا . ومثله فى العشاء الساعة السادسة مساء ومرة فى كل اسبوع يقدم لى نصف دجاجة « رستو » فى طعام الغذاء ولم يكن مسموحا لى باستعمال الشوكة والسكين خوفا من ان أنتحر ! كانوا يقدمون لى ملعقة فقط وأشرب الحساء واكل بها الأرز أما الكبد أو اللحم المشوى أو النصف دجاجة .. فكنت أكلها وأمزقها بىدى !!

وبسترد أستاذ تابعى - وذات يوم ارسلت لى فاطمة اليوسف زجاجة صغيرة مملوءة بالكافيار الاسود اللون الأصيل ، واحترت كيف الفح الزجاجة وأخيرا نهضت من فراشى وذهبت الى غرفة العمليات الجراحية ووجدت فى الغرفة دولابا مملوءا بالالآت التى يستعملها الطبيب فى اجراء ايه عملية جراحية وأخذت منها آلة صلبة حادة إستطعت ان انزع بها غطاء الكافيار . وأعدت الالة الى مكانها فى الدولاب بعد أن غسلتها فى حوض كان موجودا فى الغرفة وذهبت بالكافيار الى الحمام القريب من سريرى وأكلت الكافيار (حاف) أى من غير عيش أو طوست أو زبدة أو الى آخر ما يؤكل به الكافيار !!!

وهكذا عاش التابعى عصرة وعائنة عصرة أيضا لم يفصل عن نسيج مجتمعة ولكنه أخذ منه وعبر عنه . وكان المكان المختار الذى يجلس فيه التابعى هو « قهوة الفن » امام مسرح رمسيس الذى صار فيما بعد مسرح الرمحانى وكان يعمل الناقد الفنى للاهرام ويتخذ من هذا المقهى مكتبنا وصالونا خاصا لمقابلاته ، وفيه أيضا تعرف على عبد الحميد حلمى الذى اتفق معه على انشاء مجلة فنية باسم « المسرح » وظهرت المجلة فعلا فى سنة ١٩٢٣ ، وكانت أول مجلة متخصصة تخصصت فى النقد المسرحى وأصبحت الصحافة وأصبح النقد شيئا هاما فى مجتمع الفن .. ويرتفع ويعلو اسم التابعى ليشارك بعد ذلك فى مجلة السيدة روزاليوسف الفنية التى أنشأت باسمها لتتقد به المسرح خاصة مسرح رمسيس الذى فيه فضل يوسف وهبى ، أمينة رزق عنها فى دور البطولة .. وارتبطت الصحافة الفنية فى اذهان أولاد هذا الجيل بالصحافة الشخصية . ويعلو نجم التابعى حتى عندما كتب النقد السياسى فهو يكتب بطريقة النقد المسرحى بعبارات مميزة وتعبيرات معينة وبالقاب شهيرة كأن يقول وزير الفاصوليا ووزير التقاليد .. وزير الأذنية ونفوس عين الدولة « وابتكر التابعى أساليب جديدة فى التعبير فيقول مثلا : ثم وضع الباشا كليشية الإبتسامة على شفاهه » الذى مازلنا نستعمله الآن .

وكان التابعى هو أول صحفى يعرف الأسرة المالكة .. وكان ينادى الباشوات باسمائهم مجردة .. وكان صالونه فى منزله بالزمالك هو من أهم الأوساط السياسية فى زمنه وكان رواد هذا الصالون أحمد حسنين باشا ومكرم عبيد باشا الى جانب اسمهان وعبد الوهاب .

محمد مندور (١٩٠٧ - ١٩٦٥)

● سنة ١٩٢٩ حصل على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة .

● سنة ١٩٣٠ حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة . ثم سافر فى بعثة الى باريس وعاد ١٩٣٣ ليوجد عصاية « اليد السوداء » تغتال الضباط الانجليز وتوجه خطابات التهديد الى الباشوات الذين التفوا حول الاستعمار ويستعجب مندور من أوضاع مصر

فيقول : وعندما يكون المرء في قبضة غيره .. والحاجة الى الكفاف من العيش تلاحة فكيف نريد ان يكون حر الرأى .

ويبدأ صراع مندور فالى جوار عمله السياسى يفضل الصحافة منبرا يتحدث فيه .. حتى تنتهى حياته وهو يعلمنا فى قسم الصحافة بكلية آداب القاهرة .
والدكتور مندور رجل ومواقف :

● يقول بلسانه : « لست أدرى كيف زل قدمى .. فدخلت هذا الطريق المظلم المسدود كنت اكتب بعض المقالات الأدبية فى مجلة الثقافة وأعجب محمود أبو الفتح بمقالاى فأرسل الى الدكتور سيد أبو النجا ليتفق معى على أن أعمل مدير تحرير جريدة « المصرى » بمرتب ٧٥ جنيها فى الشهر ويعقد مدته ٥ سنوات وكان مرتبى فى الجامعة ٢٥ جنيها فقط .. فقررت أن أقبل العرض وأمضيت العقد .

وبعد شهرين كتب عزيز خانكى فى جريدة الاهرام يطالب باصدار تشريع بمنع المسلمين والمسيحيين على السواء من تغيير دينهم ! وكان السبب أن أحد المواطنين المسيحيين أراد أن يتخلص من زوجته فأسلم وطلقها وكتبت أرد على عزيز خانكى .. قلت ان الديانة تتعلق بالضمير وأن المشرع لا يستطيع أن يتخطى حدوده ليتغلغل بتشريعاته داخل ضمائر البشر .

وسمع محمود أبو الفتح بمقالى فأمر عامل التوضيب برفع المقال ! وثمرت وأخذت بروفة المقال وأعطيها لانتون الجميل رئيس تحرير الاهرام فنشرها فى اليوم التالى وعندما قرأ محمود أبو الفتح مقالى فى جريدة الاهرام ، أرسل أحد السعاه الى البيت ليقول لى محمود بيه بيسلم عليك ويقول لك أوعى تروح الجورنال !

.....وظللت أعمل بالقطعة فى مجلات بلادى والرسالة الثقافية .. وفى يوم ارسل لى حامد طلبه فى جريدة « الوفد المصرى » واتفقت على العمل معه فى وظيفة رئيس تحرير بمرتب ١٠٠ جنيها فى الشهر .. ووضعت تحت « ترويسة » الجورنال شعار « الديمقراطية السياسية » وأرسلها مع أحد لتنشر فى صدر جريدة الوفد وتنقلب الحكومة ويبحث اسماعيل صدق فى رأسه الأصلع عن شعر يشده من الغيظ .

● كان مندور من الرواد فى الدعوة الى تدخل الدولة فى الاقتصاد حتى يمكن تحقيق العدل وتطوير الانتاج وكان من رواد الكشف عن عيوب الديمقراطية الغربية التى نقلت الى مصر .

● كان مندور من الدعاة الى الصحافة ذات التأثير .. صحافة توجه الرأى العام فيكتب تحت عنوان الرأى العام فى يناير ١٩٤٥ يقول :

لا يستطيع الناظر فى حياتنا العامة أن يطمئن الى وجود رأى عام بالمعنى المفهوم فى بلاد الغرب وتلك الظاهرة ترجع فيما يبدو الى عاملين كبيرين أولهما اقتصادى والثانى ثقافى .. والصحافة كما هو معلوم صحافة اخبارية أو صحافة رأى والأولى وان لم تخل من أثر على الرأى العام بحكم تخيرها لنوع الأخبار التى تنشرها وتلونها لتلك الأخبار ، الا انه فى نهاية الأمر أثر محدود . وعلى العكس من ذلك صحافة الرأى التى تتكون فى بلادنا فى بعض الصحف اليومية ثم معظم المجلات الاسبوعية . ومادات الصحف ملكا لأفراد أو شركات وكان هدفها الأول هو الربح المادى ، فما أظن اننا نستطيع أن نرجو من ورائها خيرا كثيرا فى تكوين رأى عام سليم ذلك لأن حرصها على الانتشار يدفعها الى اللعب على غرائز القراء ، فلا تجد فيها الا فتا سياسية تدور حول كبار الشخصيات ولا ترضى فى القارىء غير حب استطلاع خبيث أو تهريجا ديماجوجيا يولول لآلام الشعب ويلوح بآمال خادعة دون أن يدرس مشكلة دراسة جدية ويقترح لعلاجها الوسائل الجدية وأخيرا ترى آثاره الغرائز الجنسية اعتادا على ما تنزله حياتنا الاجتماعية بنفوس الشبان من كتب وانه يكن من الثابت ان أكثر الصحف انتشارا فى مصر ليس أكثرها تأثيرا فى الرأى العام بحكم انه إزدياد جمهور الصحيفة كان جمهور تسليية وترجية فراغ الا انه مما لاشك فيه ان أمثال هذه الصحف تقوم بعملية هدم كبيرة فهى تقوض الجدية فى النفوس كما تفسد الأخلاق وتعود العقول الكسل . وأنت اذا وجدت الى جوار أمثال تلك الصحف ، صحفا أخرى قليلة الانتشار ولكنها جدية مؤثرة باعتبار أن قراءها ممن يلتصون غذاء لأرواحهم الا انك - لسوء الحظ - قلما تجد لاحدهما قيادة عامة واتجاها روحيا واضحا وإنما هى طائفة من الاقلام والمعلومات لا يجمع بينها غير غلاف الصحيفة ولهذا قلما تكون صحيفة منها مدرسة خاصة فى الحياة وان كنا لم نصل بعد حتى فى مجال السياسة الى خلق صحافة تعبر عن مذاهب الحكم المختلفة وتتاضل دونها مع أن السياسة أمر يهم الملايين من البشر فانه لايزب يكون من تعجل الأمور تعجلا مسرفا أن نتطلع الى صحافة ثقافية موحدة الاتجاه ...

ومن أروع مساجلات د. مندور مقالاته وردود اسماعيل صدق عليها فى شهر فبراير من عام ١٩٤٥ فكتب تحت عنوان :

أجور أم مساهمة فى الأرباح ؟

لاشك أن القراء استفزهم جميعا منطق « دولة » اسماعيل صدق باشا عند حديثه عن العمال انتقد « الباشا » رفع الحكومة لمرتبات عماله ورأى فى ذلك خروجا على مبدأ المساواة اذ أصبحوا يتقاضون أكثر مما يتقاضى عمال الشركات والأفراد . وعنده أن واجب الحكومة يقضى بأن تحتفظ باجورهم فى مستوى منخفض لتحقيق المساواة وهذا هو المنطق الرأسمالى العجيب ...

وتحت عنوان « حصن الاستعباد » كتب عام ١٩٤٥ : ليس هذا الحصن كما قد يتبادر الى الذهن بشكنات قصر النيل أو قصر الدوبارة ولكنه أخطر من هذين شأنًا وأشد بأسًا على حياتنا ...

● البنك الاهلى هذا حصن الاستعباد فى مصر وتلك حقيقة لا بد من تبسيطها وشرحها وعرضها وتكرار القول فيها حتى يدركها رجل الشارع فيصحو الى حياته والى قوته وقوت عيالة الذى يهدده هذا البنك بالفناء فى غير رحمة ولا حياة . !!

● وكان له موقف مع « أخبار اليوم » فيما نشر « لماذا ساءت العلاقات بين الوفد والقصر ؟ » فاذا به يرد بعنوان « الأوراق الصفراء » فى مجلة بلادى لصاحبها محمود سمهان .

وعندما يجيء اسماعيل صدق الى الحكم ويغلق ١٢ جريدة ومجلة ويعتقل ما يعتقلة من الصحفيين والكتاب تنتهز اخبار اليوم الفرصة لترد اليه اللطمة وتكتب بالمانشيت الأحمر « القبض على الدكتور محمد مندور الكومسيير بين الوفد والكومينترون » وعند محاكمة د. مندور كان صدق قد ترك الوزارة وحضرة شاهدا فى القضية وقال أنه الذى أعطى الخبر لـ اخبار اليوم وأن الخبر كان بناء عن تقرير خاطيء .. وتدفع أخبار اليوم التعويض للدكتور مندور اكثر من ذلك تشيد المحكمة بوطنية الدكتور مندور !!

● كان الوفد هو حزب المعارضة ووقف صبرى أبو علم فى مجلس الشيوخ يطالب باصدار رخصة جديدة بدلا من « الوفد المصرى » الذى كان يرأس تحريره (وفيها عمل أحمد رشدى صالح وسعد لبيب وعبد الحميد الحديدى وأبو سيف يوسف وابراهيم ندا وكان مطبعة فى مطبعة الرغائب فى أول شارع محمد على والتي كانت تنشر ان الباشوات اعضاء مجالس الادارات يتقاضون مكافآت سنوية تزيد على المائة ألف جنيه مثل (حافظ عفيفى وحسين سرى) ووافق اسماعيل صدق على اصدار جريدة « صوت الأمة » بشرط الا يكتب فيها محمد مندور . ولكن الاحداث تتلاحق وتسقط وزارة صدق ويخرج د. مندور من السجن ليرأس تحرير صوت الأمة فى عام ١٩٤٩ .

● ويسكت صوت محمد مندور .. ويذكرنا بقول الشاعر :

بين ترى الانسان فيها نخيرا
فاذا به خبراً من الأخبار

ويعيش الانسان المصرى قلبه ينبض بسرعة .. ينبأ بازمة الضمير المصرى فى هذا الأيام .. الأغاني تتحدث عن الغلاء ويظهر شكوكو فى منلوج البامية والملوخية التى غليت على .. ويقول سوف أسافر الى المانيا وتركيا والنكته المصرية تصدر فى « القهوة » تملأ الشوارع والبيوت لتنشر الابتسامة على وجوه الناس !! وفى هذه الأيام لا يقف الانسان المصرى حائرا .. ولكنه وقوفه كان انتظار للحظة المواتية فاذا بالجمع ينهار .. والأحداث تتوالى بسرعة وكأنها تودع نفسها .. فالمشاكل تتراكم بدون حل .. والصوت العالى الوحيد هو صوت الصحافة أو صرخات الصحافة وعويلها .



داود بركات



كمال نجيب



• لفيف من محررى ومترجمى « المقطم » فى الوسط الآتية
برلنتى عطيه ويمنيها محمود حسنى العرابى ويسارها مصطفى
الحكيم ثم رسلان البننى ورشيد الخورى ووديع فلسطين وأحمد
فتحى المازنى ومحمد أحمد وكامل النياوى وجرجس يوسف
ومشرقى عزيز •

(١٠) صحافة تودع نفسها !

يكفى أن ينشر احسان عبد القدوس قضية الأسلحة الفاسدة لتعلو صرخات الصحافة وصرخات الناس أيضا .. وتتوالى الأحداث بسرعة .. لا يستطيع المصرى الا ان يلاحقها بالصلوات في المساجد والكنائس .. وتخرج مظاهرات الطلبة .. ونفض مصر في دقائق سريعة والفنائح بعد ان كانت في السر أصبحت على ألسنة الناس وعلى صفحات الصحف ، بالصورة المعبرة وبالعنوان الأحمر .. والنكتة المصرية تقوى وتنشر ولكنها هذه المرة لا تثير الابتسامة على الشفاة وإنما تبعث على المرارة .. خطب النحاس باشا أصبحت تحور الى خطب تحمل المعنى العكسى لما يقول وانتشرت على السنه الكبار والصغار أيضا .. نضوج سياسى وصل الى الاعماق المصرية .. والناس صامدة تبحث عن قائد يخلصها وينير الطريق الجديد .. وبدأ التصدى .. وحرقوا لنا القاهرة وعينوا الحاكم العسكرى .. وبدأ الانسان المصرى يواجه التحدى !!

● ويحدث أن يطلب عضو مجلس النواب اسطفان باسيلي بفرض الرقابة على الصحف ، وتنشر « المصرى » في برواز اسود يشبه الوفيات نعيًا للمواطن الشريف الذى مات معنويا إلى أن تسحب هذه الأفكار من البرلمان بعد مقاومة من عزيز فهمى وأحمد أبو الفتح ويصرح الوزير حامد زكى تصريحًا شهيرًا للصحف يقول فيه :

ان هذه التشريعات يجب ان تطبق في مصر مهما كان الأمر اذ لا يمكن ان تحكم وزارة بيضاء شعب أحمر وهذه التشريعات ضرورية كأساس للحكم الذى يهدف الى محاربة الشيوعية والقضاء على الصحف التى تدعو الى الشيوعية والمبادئ الهدامة .

● بدأ الانسان المصرى يواجه التحدى فاتهموه بالشيوعية وباللون الأحمر !! وظل كتاب مصر .. هم التابعى .. وفكرى أباطة وأحمد الصاوى ومحمد زكى عبد القادر وعلى ومصطفى أمين وأحمد أبو الفتح وأبو الخير نجيب وإحسان عبد القدوس وأحمد صادق عزام وأحمد حسين وفتحى رضوان وإبراهيم شكرى وأقلام اخرى كثيرة .. وحوريت الصحافة فى حريتها .. وسجن الكثيرين .. وسط هذا الصراع سقطت صحف كثيرة وتاهت صحف كثيرة فى الطريق .. والذى استمر من استطاع ان يعيش على الشوك !! أو تجنب مصاعب الطريق !! وتنمو الصحافة الساكنة !! والتى لا تقول .. !!

● وتشهد السياسة الاسبوعية حملة عنيفة دفاعا عن حقوق الملك والتي يعتدى عليها الوفد !!

● والوفد يطلق حرية الصحف لتكتب بين سنتي ١٩٥٠ و ١٩٥٢ ما لم تكتبه في حياتها وتظهر صحف جديدة هي اللواء الجديد والكاتب والملايين لاحمد صادق عزام ، والجمهور المصرى لتهاجم البوليس السياسى - والدعوة - والاشتراكية ، ويقول حافظ محمود انتشرت المصروفات السرية .

● الجمهورية ٢ يوليو ١٩٦٩ : كان يحيى الخشاب مدير المطبوعات واتفق مع محمد هاشم باشا على تحويل بند المصروفات غير المنظورة الى مصروفات منظورة على أن يوكلوا نقابة الصحفيين تحديد المستحقين واسباب استحقاقهم ويومها رفض فكرى اباطة وحافظ محمود وبقية اعضاء النقابة .

وأثناء هذه الحريه يكتب احسان عبد القدوس مقالة الخالد « من المسئول عن حكم مصر ؟ » ويتكرر في روزاليوسف شخصية غول شابه الى حد كبير « الملك » واطلقت عليه الفساد وأصبح شخصية من شخصيات المجتمع الذى يعرفه الجميع !! وكان ذلك من ابتكار الفنان عبد السميع عبد الله .

● وبدأت الصحف تنشر أنباء شقيقات الملك والدته وماذا فعلوا فى الخارج ؟ !

● ويحاول كريم ثابت المستشار الصحفى للملك أن ييذل جهدا مع رجال الصحافة بالكف على النشر فيفشل !! فتصدر سلسلة قوانين لتقييد حرية الصحافة منها قانون الاشتباه السياسى والذى يحول للسلطة القبض على أى فرد لمجرد الاشتباه فى جريمة ما ليوضع تحت الرقابة !! ومنها أيضا مشروع قانون يحظر نشر انباء الاسرة المالكة الا باذن من القصر !!

● وفى هذه الأثناء فشلت صحف كانت تحاول أن تقف .. مثل صحف أحمد عبود باشا ومحمد ياسين ملك الزجاج !!

● وفى شهر مايو ١٩٥٢ يصدر وزير الزراعة قرارا يقول فيه :

لاحظنا أن بعض الجرائد والمجلات تنشر تصريحات وبيانات عن وزراء الزراعة تحوى فى كثير من الأحيان على اخطاء ومعلومات غير صحيحة ، فينبه مستردا على جميع الموظفين والمستخدمين بالامتناع بتاتا عن الاتصال بمندوبى الصحف أو مدهم بالمعلومات والأخبار مع عدم السماح لهم

بدخول مكاتب الموظفين وعلى هؤلاء المندوبين الرجوع دائما الى حضرة السكرتير الصحفى الملحق بمكتبنا وكل من يخالف هذا يعرض نفسه لأشد الجزاء .

● ومن الطريف أن الذى يرد على هذا الأجراء هو صحيفة الاهرام المعروفة بموقفها المعتدل والذى نشر فى ٦٠٥٤ مايو ١٩٥٢

أول تحقيق صحفى عن حريق القاهرة :

وتمر مصر .. بأيام عصبية .. فمصر التى خرجت من حرب فلسطين عام ٤٨ تواجه عام ٥٢ حريق القاهرة .. وتفرض الرقابة على الصحف ويوقف نشر أخبار الحريق ، الى أن نجد تحقيقا صحفيا ينشر « صلاح هلال » الذى التقط خبرا سمح بنشره وهو يروى أن وزارة الشؤون الاجتماعية قد صرفت اعانات مالية لبعض المنكوبين ويوافق الرقيب على نشر الموضوع دون أن يرى الصور التى نشرت فى آخر ساعة وتظهر صور الذين صرفت لهم التعويضات كل واحدة وخلفها صور المكان والمبنى الذى حرق .. وكانت هذه أول صور تنشر لحريق القاهرة فى الصحف المصرية . ومن الطريف أن الرقيب كان يراقب « المكتوب » ولا يراقب الصور !

● أخبار اليوم تطالب فى عددها « آخر لحظة » الصادرة فى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٠ بشورة شاملة فى قوانين الدولة وتصادر المجلة لحضها على قلب نظام الحكم .

● يصدر كتاب على أمين « كيف تحكم مصر » فى أول مارس ١٩٥٢ وفيه يتخيل « ابن البلد » دققد محمود دققد فى سن الأربعين الذى يصبح رئيسا للوزراء بعد انقلاب يتم فى دقائق وتعلن محطة الاذاعة أن رفعة النحاس باشا قدم استقالة وأن الاستاذ دققد تولى منصب رئيس الوزراء ويمضى على أمين فى احلامه فيقول : هنأت جريدة الأهرام الاستاذ دققد وتقنيت له الترفيق فى حكم البلاد وعددت مفاصد الوزارة النحاسية ، وقالت جريدة المصرى : ان دققد ينوى تأليف وزارة وفدية ، ونشرت جريدة المصور على غلافها صورة بالألوان لدققد باشا منقذ البلاد الوجه .

● فى ٢ يناير ١٩٥٢ تنشر آخر ساعة تحقيق صحفى مصور عن انتخابات مجلس إدارة نادى الضباط (١) .

● استفتاء فى آخر ساعة : الوزارة التى تريدها مصر !

● آخر ساعة ٢١ يناير ١٩٥٢ : قانون من أين لك هذا لا يساوى ثمن الورق الذى طبع عليه .

(١) نصح فى الانتخابات محمد نجيب ، حسن حشمت ، عبد الرحمن فوزى ، رشاد مهنا ، عبد الرحمن أمين ، أنور عبد اللطيف ، ابراهيم عاطف ، جلال ندا ، محمد بهجت مصطفى ، جمال حماد ، حسن ابراهيم ، امين شاكر .

● محمد حسنين هيكل يكتب حديثا مع الدكتور محمود فوزى عناوينه تقول : قبل أن
يخفنا الدخان !

● فاطمة اليوسف تكتب في يوليو ١٩٥٢ خطابا الى حسين سرى : تقول له من
أنت !! انك رجل بلا موقف !! .. (ولم يبق سرى في الوزارة أكثر من ٢٠ يوما !!)

● في ١٨ يونيو ١٩٥٢ يكتب على أمين في آخر ساعة :

عزيزى القارىء

هذا خطاب وداع (اكتبه لك مودعا واعترف لك اننى كتيته منذ عام ثم ترددت في نشره
وحفظته في درج مكتبى ! وكنت اخرج الخطاب من درج المكتب مرة كل اسبوع وأعيد قراءته
ثم أردته الى الدرج .

« فأنا لا أريد أن أودعك ولا أريد أن أودع مجلة آخر ساعة التى علمتى الصحافة منذ ١٨
عاما ومنحتنى عشرات الالوف من الاصدقاء والأعداء والاصدقاء يحمون ظهرك والأعداء
يشعرونك بأنك على قيد الحياة لأن الناس لا تعادى الاموات !

واليوم أزيح الغبار عن خطاب الوداع واعرضه عليك كما كتيته منذ عام اذ زحمة العمل في دار
أخبار اليوم تضطرنى الى الاستقالة من رئاسة تحرير آخر ساعة وقد كنت منذ أكثر من عام اتوقع
هذه الاستقالة ولذلك بحثت عن شاب يعمل بجانبى كما كنت أعمل منذ ١٨ سنة بجانب الأستاذ
التابعى يتحمل أعصاب رئيس التحرير ويجمع أطرافها المبعثرة ويبحث عما فقد منها بين الأدراج
والمكاتب ورسلات المهملات ثم يتعلم وظيفة رئيس التحرير ! واخذت عددا من الشبان
الأكفاء .. ولكن بعضهم سقط في منتصف الطريق .. وبعضهم كنت أمضى الساعات باحثا
لهم عن اعصابهم المتناثرة بين الأدراج - والمكاتب ورسلات المهملات !

وكان آخر هؤلاء الشباب هو محمد حسنين هيكل وأحب أن اعترف لك بأنه كان آخر من
فكرت فيهم ! لاننى كنت أصر على أن يبقى في العمل الذى نبغ فيه وهو الباحث عن
« المتاعب » فقد كانت أخبار اليوم ترسله بالطائرة وراء كل انقلاب ! فيقيم الدنيا ويقعدها
بتحقيقاته الصحفية .. وكنت في نفس الوقت اخشى عليه من التجربة ، كما يخشى الأب على ابنه
اذا ركب طائرة . أو دخل سفارة فأننى أشعر بأن هيكل ابنى اكتشفته ودفعته الى الأمام فاذا به
يصبح نجما - من نجوم الصحافة وهو في سن الرابعة والعشرين ولذلك كنت أخاف عليه ..
وأخاف على اكتشاف من أن يدخل امتحان جديد ! ولكنه دخل التجربة ولجح وعمل في
العاميين الماضيين كمساعد لرئيس تحرير آخر ساعة ثم كرئيس تحرير فعلى فلمع في الدوران ولم
يخرج نورة الى الشارع !

وأخيرا أقدم لكم استقالتي لاعود محررا عاديا في آخر ساعة وأقدم لكم مع الاستقالة رئيس تحرير
آخر الجديد^(١) محمد حسنين هيكل .

« على أمين »

(١) قال لى المرحوم توفيق بحرى سكرتير تحرير الاهرام انه رشح محمد حسنين هيكل لآخر ساعة وموسى صبرى للجيل
الجديد وقد اكّد ذلك موسى صبرى في مقال في جريدة الأخبار .

والصحف تنشر .. كل شئ .. الفضائح في الحكم .. والفضائح في المجتمع ، أحمد حسين يدخل السجن هو وفتحي رضوان وآخرين في اعقاب حوادث ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، ويكثر الحديث عن التحرير والتطهير وتقوى غضبة المارد المصرى الجالس القرفصاء امام الملك وامام الملك وأمام الحكومة ، وترى القاهرة محاكمة الذين اتهموا في التحريض على حرق القاهرة وتسمع مرافعات المدافعين في المحكمة وتحدث الناس في كل مكان .. ويكثر القيل والقال !!

وكانت صحف أحمد حسين قبل ذلك بسنوات قليلة يتخاطفها الناس وتصادرها الحكومة .

كان أحمد حسين يكتب في صحفه تحت هذه العناوين المثيرة :

- ● الثورة .. الثورة .. الثورة
- ● خلاص ايها المصريون اتعدلت
- ● انصبوا المشائق ولكن الشعب ينتصر .
- ● إنها إرادة الله :

« والكلمة الآن لهذا الشعب .. للشعب كله ، شعب القاهرة والاسكندرية والدلتا والصعيد . ان القاهرة مازالت عامرة دور السينما مازالت عامرة وهذا ينبىء عن إغتصاب هذا الشعب لم تعبأ بعد وهذا ما يجب على الطبقة الواعية من الشعب أن تنهض به . ان دوريات من الشعب الواعى المنظم يجب ان تتولى ايقاظ الملطوعين على المقاهى والسكرارى في البارات والكباريات والفارقين في دور السينما . أما السادة الذين لا يهدون أن تسيل أموالهم تبرعات فلهم حساب غير هذا الحساب

(العدد رقم ٢٨١ من الشعب الجديد ٢٢/١١/١٩٥١)

- ● شركة « كوهنكا » اليهودية تستغل . !!
- ● كرم ثابت ما الذى ينصبه مستشارا للاذاعة .
- ● سراج الدين يلعب بالنار .
- ● جماهير الزراع ترفع شكواها الى جلالة الملك .
- ● لن نسمح للانجليز والامريكان أن يهوشونا وسنمضى في مقاومتهم .
- ● لا تدجلوا على الشعب فتقولوا ان مصر تقدمت وارتقت ، بل قولوا أنكم أثريتم على حساب الشعب وشبعتم وجاع الشعب .

- ● ما هذا ايها السادة وكيف تذاع الأنباء عن رحلة جلالة الملك كيف يقرن اسم سامية جمال باسم الملك ؟!
- ● كيف يمكن أن تنجح حكومة بلا رئيسها ويلعب في ذلك الوقت الذى يحترق فيه الشعب بنيران الغلاء والاستغلال ومفاسد الحكم .
- ● نستطيع أن نؤكد للبدرأوى أنه سيعيش حتى يرى بعينة توزيع هذه العشرين ألف من اطيانه التى وقفها على أولاده .
- ● مصادرة الصحف الاجنبية فضيحة عالمية .
- ● اوقفوا الفضائح التى تنشرها هذه الصحف بدلا من مصادرتها .
- ● كيف هرب « جهلان » من وجه العدالة .
- ● فليسقط حكم العصابات والبلطجية .

وتصادر صحف أحمد حسين .. وتعرض للمحاكمات وتوجه اليها تهمة « العيب في الذات الملكية » . وكانت القاهرة تتحدث عن إنشاء تمثال لاحمد فؤاد في ميدان عابدين وفي سبيل ذلك كانت منازل الأهالي هى المعرضة لنزع ملكيتها لهدمها لتوسيع الميدان !! وكانت القاهرة مشغولة بالمقالات الملتبة التى تنشر في صحف أحمد حسين وحملاتها ضد هذه الاجراءات الأمر الذى أدى الى وقف الهدم ! ولم يقم التمثال حتى الآن .

وفي هذا الوقت كانت القاهرة تعرض أفلام « اشكى لمن لفائن حمامة وشادية وبيت الاشباح لكمال الشناوى وثرثرا حلمى وانتقام الحبيب لسامية جمال ويحى شاهين .

ومنذ أن فأجىء النحاس باشا مجلس النواب بالغاء معاهدة ١٩٣٦ .. تعيش القاهرة في مظاهرات والصحف تتابع انباء هذه المظاهرات .. وفي عام ١٩٥١ وبالتحديد في ١٤ نوفمبر شهدت مصر أعظم حشد شعبى في مظاهرة صامته .. وبالرغم من الحماس الذى دب في مصر فقد كانت البرجوازية المصرية تقف موقف المتفرج .. لما يحدث في منطقة القناة بين الفدائيين المصريين والانجليز خاصة !! وكانت الصحافة قد انقسمت بعضهما يمثل السلعة الطباعية التى تباع كل يوم .. وبعضها يمثل وظيفته الاعلام كضرورة اجتماعية هدفها الحرية (وكانت صحف صاحبة استطاعت أن تقول كل ما تريد !!)

وكان نجوم الصحافة هم الذين بدؤوا يلعبون في الأربعينات .

(مصطفى أمين ١٩١٤ - ٢٠٠٠)

- في عام ١٩٣٠ عمل في مجلة الرغائب ومجلة البرق والصرخة .
- وفي عام عام ١٩٣٤ عمل في روزاليوسف .
- في عام ١٩٣٩ عمل في الاهرام رئيسا لقسم الأخبار .
- عام ١٩٤١ رئيسا لتحرير مجلة الاثنين .
- عام ١٩٤٤ أصدر أخبار اليوم .
- عام ١٩٤٨ أصدر آخر لحظة .
- عام ١٩٥١ أصدر الجليل الجديد .
- عام ١٩٥٢ الاخبار الجديدة .
- ١٩٦٢ رئيس مجلس إدارة اخبار اليوم .

قبض عليه بتهمة التجسس في ٢١ يوليو ١٩٦٥ وأفرج عنه إفراجا صحيا في ١٩ يناير ١٩٧٤ وبعدها عين رئيسا لتحرير أخبار اليوم ثم كاتب متفرغا بعد ذلك .

على أمين (١٩١٤ - ١٩٧٦)

اشتهر بالحملات الصحفية في عام ١٩٤٤ دعا الى حق المرأة في الانتخاب وفي عام ١٩٤٦ طالب بهدم عشش الترجمان وفي عام ١٩٥٦ ، الحملة على الذباب وطالب بيوم الاحتفال بعيد الأم ، عين مراسلا للاهرام في لندن عام ١٩٦٥ ثم توقف .. ولم يعد اليها الا في يناير ١٩٧٤ . ليصبح رئيس تحرير الأهرام ثم رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم بعد ذلك . واشتهر بكتابة العمود « فكرة » وأخبار الغد .

(فكرى أباطة)

• تخرج من كلية الحقوق ١٩١٩ وعمل بالمحاماه حتى اعتزلها عام ١٩٤٤ وانتخب نقيباً للصحفيين ٤ مرات كتابة « الضاحك الباكي » أعيد طبعة ٥ مرات . اسلو به كان يتميز بالتهكم والسخرية وخفة الدم .

ويتحدث فكرى أباطة في « الجمهورية » العدد ٢١ نوفمبر ١٩٥٩ تحت عنوان : مقال ندمت على كتابة يقول :

« المقال الذى أفخر بكتابته هوالمقال الذى دعوت فيه فاروق يوما ليجمع رؤساء الاحزاب

ويشكل حكومة ائتلافية تتولى تعديل الدستور ، وغضب الملك واعتبر ذلك المقال عيا في الذات الملكية وكلمنى كرم ثابت يخطرني أن الملك غاضب وساخط ..
أما المقال الذى أسفت عليه فهو أننى كتبت بعد أسبوع أقول ما يفهم منه اننى أعتر عن المقال السابق .

وأنا اعتبر ذلك جبا شخصا منى أو انقاذا للمجلة التى يجب أن أكون آمينا على صالحها أو تورطا .. المهم أننى أسفت على ذلك وأسفت أكثر عندما نشرت فى المصور أيام اشاعة خطبة ناريمان موضوعا انشائيا كتبت فقدمنى الملك للمحاكمة لأنه لا يجوز للملكة ان تخطئ فى اللغة وصدر العدد ولم يفرج عنه الا بعد ثلاثة أيام وبعد تمزيق موضوع صاحبة الجلالة .. هذا ما أسفت عليه »

وكان فكرى أباطة قد دعا فى مقال الى ضم أسرائيل فى اتحاد فيدرالى يضم دول الشرق الاوسط ونشرة فى المصور فى ٢٦/٩/١٩٦٦ ويعفى من العمل ولكنه يعود فى أول ابريل ١٩٦٧ بعد أن كتب فى الاهرام فى الصفحة الأولى على ثلاثة أعمدة كاملة تحت عنوان « معركة بين ضميرى وقلمى » يقول :

كان واجبا على أن أنشر لقرائى ايضاحا عن مقالى ولقد كان أوجب أن أقدم هذا الايضاح لصاحب الشأن أولا وهو سيادة الرئيس ..

وكان الأهرام قد قدمه فى صفحته الأولى يقول :

« يسعد الأهرام أن يحمل اليوم أول مقال لفكرى أباطة بعد غيبته الطويلة التى نحمد الله أنها لم تطل . نقول ذلك بشعور من العرفان ليس له حد نحو هذه الثورة الغالية التى تمسك سيف الحق فى يدها وبين جنيتها قلب يبيض سلاما وحبا . »

وهكذا وقف محمد حسنين هيكل الى جانب فكرى اباطة فى محنته !! واقنع عبد الناصر بضرورة عودة فكرى أباطة .

حافظ محمود

أول افندى يعمل رئيسا للتحجير

وهو رجل صحفى .. أحب الصحافة والية يرجع كل الباحثون ليعرفوا منه اسرار الصحافة فى الفترة التى عاش نبضها نقرأه ونسمعه ولا نحن نمل فهو بقلمه يقول انه أول أفندى يتولى رئاسة التحجير ، فقد عمل رئيسا لتحجير السياسة فى اكتوبر ١٩٤٤ .

كان أقطاب الحزب يرون في رئيس التحرير الجديد مؤهلات هي أما أن يكون ناضجا في حدود الأربعين أو أن يكون عضوا بارزا في مجلس إدارة الحزب ، وكان هناك اتجاه آخر وهو أن يكون رئيس التحرير صحفيا بمقياس حياته الصحفية لا بتاريخ ميلاده وقد استطاع الفكر الصحفى أن يتغلب على الفكر السياسى فى إدارة الحزب ومع هذا فقد كان تعيينى رئيس لتحرير السياسة اليومية ايدانا بأن بعض التقاليد قد أذنت بزوال ويكفى للتدليل على هذا المعنى أننى كنت أول أفندى يتولى هذا المنصب .

ومن الطرائف التى يروها حافظ محمود :
لقد كانت آلة الطباعة الخاصة بجريدة الإخوان المسلمين تطبع فى هذه المطابع .وحدث ذات ليلة أن أخطأ العمال فوضعوا « صفحة » من الاخوان المسلمين فى جريدة السياسة و « صفحة » من السياسة فى الاخوان .

ومن طرائف حافظ محمود أن سأله أحدهم كم تطبع « السياسة » قال عشرة آلاف فرد عليه هل تقرأهم كلهم بمفردك !!

كامل الشناوى :

مكث فى الأزهر ٥ سنوات وكان أول عمله فى الصحافة فى « كوكب الشرق » سنة ١٩٣٠ ثم فى جريدة الوادى مع الدكتور طه حسين وفى عام ١٩٣٥ عمل فى الأهرام رئيسا لقسم الاخبار وفى عام ١٩٤٣ عمل رئيسا لتحرير الاخبار عام ١٩٥٢ ، ويترك الاخبار ليعمل رئيسا لتحرير الجمهورية عام ١٩٥٥ (بالرغم من أن اسمه نشر ضمن الذين يتقاضون المصروفات فيبدو أن الاسم قد دس للتشهير به) وأعاد للصحافة جلساتها حيث يجتمع الادب والفنانين والصحفيين ويجلسون حتى الصباح فى فندق الهيلتون فى مناقشات لا تنتهى ! فهو قد ترى فى جنينة ناميش حيث تفتحت عينه على جمعية الأدب والمسرح .. اتهمه يوما احسان عبد القدوس بانه شاعر لوث يده بحجر المطبعة .. يرد كامل الشناوى .. اننى صحفى .. ولم أكن شاعرا !!

وكان الصحفيون والكتاب يداعبونه على صفحات الجرائد .. فنرى مصطفى أمين فى ١٢ ديسمبر ١٩٦٤ يقول عنه :

كامل الشناوى عبارة عن مائة وخمسين كيلو من الضحك والمرح والقفش

والشعر . وكامل الشناوى مجموعة من المتناقضات .. ازهرى الدراسة ..
أورى التفكير .. ثقل الجسم . خفيف الروح .. وبرغم بدانته سريع
التنقل وخصوصا فى حبه وهواه وقلبه مثل براج السينما التى تتغير كل
أسبوع ! وكل رواية تعرض على شاشة قلبه هى « تحفة الموسم » وهى
« آخر صيحة » وهى « أقوى ما عرض حتى الآن » !!

● وكامل الشناوى هو صاحب التعبير الذى قال فيه على موسم أم كلثوم « لقد
بدأت السنة الغنائية » .

● حدث خلاف بين كامل الشناوى ورئيس تحريره انطون الجميل بسبب طلب
لشناوى نشر خبر عن اعتكاف عبد العزيز فهمى فى داره لمرضه .. ولما كان رئيس تحرير
الاهرام العتيد محنكا أعطاه درسا فى الصحافة قال له فيه :
« ان الصحافة تتطلب من الصحفي عقل فليسوف ، وقلب شاعر ،
وضمير قاض ولا مانع بعد ذلك أن يكون الصحفي صاحب قلم »

وقد حاول الشناوى عمل جلسة فكرية فكانت تبدأ الساعة ٢ صباحا فى إحدى قاعات
فندق الهيلتون وكان يجالسة كمال الملاخ وسعيد سنبل وموسى صبرى وعدد كبير من
الصحفيين والفنانين منهم محمد الحيوان وحمدي فؤاد وأحمد رجب ومن هذا المجلس كانت
تخرج النكتة اللاذعة ..

حكايات وأسرار لم تنشر !!

وقفت الحكومات المتوالية فى مصر بعد ذلك فى وجه الصحافة وفى وجه مصر أيضا
وفرضت عليها الرقابة والمصادرة والتشريد ولا ترفع هذه الرقابة الا بعد الثورة ونقرأ
تصريحا لعل ماهر « لقد رفعت الرقابة ثقة فى وطنية رجال صحافتنا العزيزة واعتمادا على
حكمتهم » فماذا حدث قبل ان تعود الرقابة مرة أخرى عام ١٩٥٦ :

● كانت هناك جلسات حديدة جريدة المصرى ، حيث النقاش دائر .. وهناك
يجلس أحمد أبو الفتوح ولطفى الخولى ويوسف ادريس وعبد الرحمن الشرقاوى وحسن
فؤاد وكثيرين من مديرى المصرى .

● أحمد أبو الفتح يحارب تهريب الرأسمالية عن دفع الضرائب ويحارب انخفاض الاجور ولا يمنع هذا من فصل عبد العليم المهدي صباح يوم زواجه بتهمة تخويف العمال !

كيف أغلق المصري !!

● ويصدر آخر عدد من المصري رقم ٥٩٠٤ في ٤ مايو ١٩٥٤ بعد عمر أمتد ١٨ سنة ويومها نشر مانشيت المصري يقول « انتهاء مرافعة الدكتور وحيد رأفت » ، ويروى أحدهم القصة ، ومنها نفهم أن صحفيا كبيرا كان وراء اغلاق المصري ، حيث اتصل به من المحكمة وأخبره ان حكما سيصدر ضد المصري بسبب « قضية بيع ورق المصري » فقال له الصحفي الكبير أن القانون يسمح لوزير الارشاد اغلاق المصري ، وراجع صلاح سالم مع مستشار الوزارة القانوني في الصباح وأصدر القرار ، وبعد الظهر أبلغ صلاح سالم مجلس الثورة بالقرار . وهكذا أغلق المصري .. وكان الصحفيون في هذه الفترة يكتبون بحرية واضحة !!

وقالوا عن الثورة !!

- احسان عبد القدوس يكتب : العصاة المسلحة التي تحكم مصر
- احمد بهاء الدين يكتب : الجمعية السرية العسكرية متى تنقلب الى علنية
- حسين أبو الفتح يكتب : أين الدستور ؟
- أبو الخير نجيب : عودوا الى ثكناتكم !

ومن الجانب الآخر فكرى أباطة سعيد بالحكم الجديد ؛ وأحمد الصاوي محمد يصف زيارة محمد نجيب لمزرعة دواجن فيقول : وما أن رأيت الدواجن الرئيس محمد نجيب حتى إنتفضت طريا بمقدم الرئيس !! وهكذا كان حال الصحافة في بداية ثورة ٢٣ يوليو .. جانب الجد .. وجانب الهزل !!

مستقبل مصر .. كيف يتحدد مع الصحافة !!!

وكانت القاهرة تشاهد فيلم ريا وسكينة عن تحقيق صحفي للأستاذ لطفي عثمان الحرر بالاهرام سيناريو نجيب محفوظ وحوار السيد بدير وإخراج صلاح أبو سيف .
كان حديث الناس عام ١٩٥٣ .. هو أين نقف الآن .. وما هو مستقبل مصر .. وكان وجه مصر يتسم للمستقبل .

لم تنتشر الصحف الاقليمية .. وصحف مصر في العاصمة بجوار الجهاز الحكومي .. حتى بعد تطبيق نظام الحكم المحلى .. واهتمت المحافظات بنشرات أقسام العلاقات العامة .. ونشاطها كان يصدر على هيئة ملاحق في الاهرام والاعبار والجمهورية .. ملاحق اعلانية مدفوعة الأجر ، وتطورت الصحافة رأسيا وتطورت وسائل الطباعة والاخراج وتحفل دار الهلال بمرور ٦٠ عاما في يناير ١٩٥٣ ويزورها محمد نجيب .. ولم تتطور أفقيا حيث التوسع بتوسع المحافظات واختفت صحف الاقاليم التي كانت تظهر في نهاية القرن التاسع مثل صحف المنيا والفيوم وصحيفة حلوان .. وحتى الصحف التي صدرت في الاسكندرية انتقلت الى القاهرة .

تهتم الصحافة بحكومة العهد الجديد ونرى المصور في ٩ يناير ١٩٥٣ تقول :

الحكومة والصحافة

لوحظ نشاط حكومي في الأسبوع الماضي فقد تعددت اثناء الاجتماعات بين ممثلي السلطات الحكومية والصحفيين من أجنب ومصريين في شكل مؤتمرات صحفية تارة ، وفي شكل اجتماعات للتفاهم وتنظيم التلة بين الصحافة والحكومة ويرفع النظر عما قيل من الجانب الحكومي والجانب الصحفى ، ويرفع النظر عما شكت منه الحكومة وما شكت منه الصحافة فان أمرا واحدا برز بين الآراء المختلفة وهو مدى « الثقة » القائمة بين السلطات الحكومية وبين الصحافة ، وفي رأى الصحفيين أن « الثقة » الحكومية لو اكتملت لمساعد ذلك كثيرا على التعاون المطلوب من ألسنة الرأى العام وهذه « الثقة » لا تكتمل الا اذا سرى التغلب المعروف الذى تتبعه الحكومات الكبرى فى الامضاء الى الصحفيين بخطوط السياسة الخارجية والداخلية الرئيسية .

حاولنا فى نقابة الصحفيين أكثر من مرة أن يستقر « تقليد الاتصال » أو تقليد الإيحاء أو الإيعاز فى المسائل القومية بين الصحافة ووزارة الخارجية فى الشئون الخارجية .. وبين الصحافة والوزارة المختصة فى الشئون العليا الداخلية .. حاولنا أكثر من مرة خلق هذا التقليد وتمكينه فلم ننجح ولعل « العهد الجديد » - وهو مجرد فى كل شئ - يقتنع بهذا الرأى ويدفع حكومته الى أن تسير على غرار ما يحدث بين اولياء الأمر فى إنجلترا وفرنسا وأمريكا وغيرها وبين الصحافة ، وعندنا أنه لو سرى هذا التقليد لادى هذا الى ازالة شكوانا من ناحية أخرى .

حكام .. صحفيون

ويعمل زعماء الثورة فى الصحف ، أنور السادات يتولى الجمهورية ويكتب فيها مقالات عن دور محمد نجيب ويقول وأيناه ونحن نشكر أنفسنا ونذكره وأرونا ونحن

نصنع منه زعيما وهو يحضر للثورة قبرا (١) جمال عبد الناصر في مجلة التحرير يكتب في العدد الثاني منها مقالا بعنوان « كيف دبرنا الانقلاب »

وكان جمال عبد الناصر يقرأ « بروفات » مجلة التحرير كلها ويعطى بنفسه الاذن بطبعها ويتصل بمحرريها ليبلغهم الأخبار أول بأول . وكذلك كان أنور السادات هو المسئول عما ينشر في الصحف . ثم خلفه بعد ذلك « موقف الحموى » كركيب عام .

● وفي أثناء عدوان ١٩٥٦ كان أنور السادات يكتب المقالات باللغة العامية في الجمهورية وكان يكتب افتتاحيات مجلة التحرير وكانت مجلة التحرير محل اهتمام عبد الناصر وعندما اختير سامى داود لرئاسة تحريرها أخذه أنور السادات ليقابل عبد الناصر ويومها قال عبد الناصر اننا نريد ان تسبق المجلة خطوات الثورة وان تبشر بكل ما هو جديد في اتجاهاتها .

وتعرض جريدة الجمهورية الثورة للرقابة .. حتى الرقيب العام نفسه كان ضحية الرقابة والقصة يرويها عن نفسه رائد العطار :

في مارس ١٩٥٩ كان عبد الناصر في سوريا يتحدث ويخطب ويواجه عبد الكريم قاسم ، وبدأت صحف القاهرة تنشر أسرا من داخل العراق ، هيك يكتب في الاهرام ، ومصطفى أمين في الأخبار ، ويتصل السيد إبراهيم مدير توزيع الجمهورية برائد العطار نائب رئيس تحرير الجمهورية ويبلغه أن توزيع الجمهورية « نازل يرف » وكانت الجمهورية قد نزلت بتوزيعها الصحف وأن السبب في ذلك الأسرار التي تنشرها الاهرام وأخبار اليوم .

وكان السادات المدير العام للجمهورية في دمشق وجلال الدين الحمامصي نائبه في امريكا وكامل الشناوى في اجازة مفاجئة ، ويحصل رائد العطار على الملف السرى الذى أعده الملحق العسكرى المصرى في العراق (محمد المصرى) وينشره وهو يعتقد أنه حصل على كنز صحفي دوليا !

وكان عبد الناصر قد طلب هذا الملف السرى ولكن رائد العطار أخذه بطريقة ما ونشره في الجمهورية .

ويعرض الموضوع على الرقابة قبل نشره وكان مدير الرقابة هو حسن صبرى الحولى ويعرضه عليه

(١) « يقول سامى داود في الجمهورية ٩ ديسمبر ١٩٧٣ : وكان أنور السادات الذى اقترح السلاح والقلم في نضاله قد حمل عن مجلس الثورة هذا العبء عبر انشاء دار التحرير وصدار جريدة الجمهورية وكان قد اتخذ مقرا اداريا مؤقتا في عمارة بشارع شريف ريثما يجد للجريدة دارا ومطبعة وبدأ يلتقى في هذا المقر ليختار اسرة تحرير الجريدة الثورية الجديدة وتصدر الجمهورية في ٧ ديسمبر ١٩٥٣ ، وليلة صدور العدد الأول كان أنور السادات يتوسلنا ويشارك معنا في تأمل الصفحات قبل صباها في قوالب الرصاص .

الاستاذ طلعت خالد وتحذف منه بعض الفقرات وينشر المقال وتنزل الجمهورية الى السوق ويصل سعر العدد الى ٤٠ قرشا .. ويفصل رائد العطار .. ويتغير مدير الرقابة (ويتسم لي رائد العطار ويقول لم أكن وحدي ضحية الرقابة .. فقد كان الرقيب العام أيضا ضحية !!

وهذه صورة أحد الصحفيين الذين عملوا في هذه الفترة عبد الحميد سرايا :

عملت مع الاستاذ عبد الحميد سرايا فترة طويلة تزيد عن ال ١٥ عاما وكنا بعد الانتهاء من العمل في الثالثة صباحا نتحدث كثيرا في أمور الصحافة حتى الصباح التالي . وكانت قصة حياته هي محور الحديث وكان للاستاذ سرايا مواقف كبيرة هي التي اثرت حياته .. وهكذا كان يحكي الاستاذ سرايا من أيام القرية وأيام الجامعة وفي بداية حياته الصحفية .

● في الثلاثينات كان في قريتنا « فقية » ليس هناك متعلم أو نصف متعلم إلا وممر من تحت يده في الكتاب يقرأ عليه القرآن أو بعض منه . كان في ذلك الوقت قد قارب السبعين ذو وجه « مجفف » من شدة الفقر . ولكنه رغم قسوة الحياة كان رجلا طيبا يتمتع باحترام الجميع . مذهب يتحدث بصوت رقيق حتى وهو يترنل القرآن .. كان الشيخ دسوق دره أو عريض الدسوقي كما نسميه صفارا وكبارا - يأتي الى بيتنا كل عصر ليقرا القرآن .

وفي ذات مرة فأجأني بقولة تعرف بماذا أحلم ؟ .. أحلم بعفريت من الجن يسلك في يده سبعة كراييج كل كراييج بسبعة السنة . أضعه في كمي وأنا أتحدث مع العمدة .

- ولم ؟ وليس بينك وبين العمدة ما يستاهل التسليح بهذا العفريت .

- في الحق ليس بيني وبينه شيء . ولكنك تعرف أن العمدة أقوى شخص في القرية ، وأنا أريد أن أمشي وأنا أتحدث معه أي أقوى منه .

ومرت أسابيع وسمعت الاستاذ فكري أباطة - وكان الكاتب والحدث الفاضل عند الشباب في ذلك الوقت - يتحدث على الراديو ويقول « بص لتحت .. » مرة كنت ماشي وأنا أبص للسما فصعرت في طوبة وكدت اكسر رجلي ، ثم مشيت بعدها وأنا أبص لتحت فوجدت قرش « وبعث برسالة الى المصور احتج فيها على هذه الدعوة ووصفتها بانها « دعوة الى الادلال » وبعدها قرأت في برهد المصور « تلقينا رسالة من الأديب عبد الحميد سرايا فنشكره » .. ثماني كلمات في سطرين لا أكثر ولا أقل ، ولكن كان لما فعل السحر . القرية كلها قرأتها ، وجاءني كثيرون يسلمون على باحترام كثير ، ويومها شعرت بانى قوى وان عفريت عرّفى الدسوقي في كمي .

وأخذت الصحافة مهنة وعملت . كنت سكرتير تحرير مجلة « المنصورة الثانوية » ولما ذهبت الى كلية الآداب أصبحت سكرتير تحرير مجلة « القبس » وكتب المقال الأول فيها تحت اسم « المقامة الجامعية » وكان جولة نقدية في اقسام الكلية - بأسلوب مقامات الخيري - مع كثير من التركيز على استاذي في ذلك الوقت وزميلي وصديقي الآن الدكتور لويس عوض . واذكر بعد صدور العدد الأول ان استندعاني الاستاذ العميد الدكتور طه حسين الى مكتبه ليقول لي « لقد أعجبت بمقامتك كثيرا جدا .. وضحكت بها كثيرا جدا » . ثم سكت قليلا واضاف « ولكن لماذا لم تخرج على .

والثانية - قال لى الدكتور مندور ذات ليلة .. توزيع الجريدة ينهار ، لابد ان نفعل شيئا .

- تفعل ماذا ؟

- ندخل معركة .. نفتح معركة .. نفتح معركة سياسية هز .

- معركة ضد من .

- ضد مكرم عبيد اولاً .

وبعد مناقشات طويلة استقر الرأى على بدء معركة لحل الاتحاد المصرى الانجليزى ، وكان مكرم باشا نائب أول لرئيس الاتحاد .. وكانت تقديرات الدكتور مندور أن يقاوم مكرم عبيد وتصفى الحركة . ولكن مكرم باشا كان اذكى وتلقف الحقيظ بسرعة وترغم حركة الاتحاد وفى اسبوع واحد كان كل شيء قد انتهى . وغضب الدكتور مندور .. لاني كنت صاحب الاقتراح - وفصلنى من صوت الأمة .

وتخرجت من الجامعة فى يونيو ١٩٤٣ ، وفى أكتوبر كنت ادخل دار جريدة المصرى لأبدأ أول تجربة لى فى حياق الصحفية فبعد ستة شهور ، (كنت مندوباً بها فى وزارة المعارف) . وسطت أحد أقرانى لدى الاستاذ محمود أبو الفتاح - صاحب المصرى - وهو صديق له ليربط لى راتب محدد .

وفى اليوم التالى اتقادتى بواب الدار الى مكتب محمود بك ، ووقفت امامه فى هدوء انتظر وبعد وقت رفع رأسه وسأل : اتشكوى الى الناس يا الهندى .. انت مفصول . !!

وساعتها شعرت بالضعف .. ووقفت مذهولاً لا أستطيع ان اجر قدمى . وفجأة وجدته من الغيظ اقول له « انت لا تستطيع ان تفصلنى لأنك لم تعينى » . والفجر غاضب « أخرج به » . وظللت شهوراً دون جدوى ابحت عن موقع قدم لى فى الصحف .. وفكرت فى الاقسام الخارجية (وكانت وقتها تعرف بالسام الترجمة) . ورجوت صديقاً يرأس قسم الترجمة فى جريدة « صوت الأمة » أن يهين لى فرصة للتدريب .

ثم ذهبت إلى العمل فى جريدة صوت الأمة فى قسم الترجمة بدون أجر وصدر قرار النحاس باشا بتعيين استاذى وكيل فى الجامعة .. وزميلي وصديقى لسنوات طويلة فيما بعد - الدكتور محمد مندور رئيس التحرير . وعينى على الفور عمراً ... كنت أبدأ يومى مندوب للجريدة فى وزارة - « التجارة والصناعة » وفى الساعة الرابعة اذهب الى مجلس الشيوخ . وفى الثامنة اجلس فى قسم الترجمة الى منتصف الليل ، وبعدها انزل الى المطبعة حتى الرابعة صباحاً . كل ذلك باحد عشر جنياً ..

ولم يدم عملى فى صوت الأمة اكثر من عام ، اذكر واقعتين بالذات ربما تلقيان ضواء على جانب من طبيعة الحياة الصحفية فى ذلك الوقت .

الاولى - الى عملت من وزارة التجارة والصناعة وأيضاً المهن .. ان الحكومة قررت انقاص وزن الرغيف بضع دراهم . كان ذلك فى رمضان ونشر الدكتور مندور الخبر تحت عنوان عريض فى الصفحة الاولى « هدية حكومة السعديين الى الشعب فى العيد » .

وفى مساء ذلك اليوم وأنا جالس فى استراحة الصحفيين بمجلس الشيوخ جاءنى ساع وطلب أن اذهب لمقابلة مسئول وذهبت اليه فسألنى عن مصدر الخبر ، وكان ردى أن المصدر ليس موضوعاً للمناقشة .. المسألة هى هل الخبر صحيح أم خطأ ؟ ان كان صحيحاً فما هى مبرراته وان كان خطأ فليصدر الوزير تكذيباً رسمياً ومن حقه أن نشره فى نفس الموقع فى اليوم التالى . وأخرجت عليه سجانى لاشعل سيجارة ، فاذا به يطلبنى ان اجرب واحدة من

عنده ، وفتح من مكتبه عليه سجائر وقدمها لي مغلقة . وفتحها واذا بي اجدها ملأى بنقود (اوراق من فئة العشرة جنيهات) . وبهدوء شديد اغلقت العلبة ورددتها اليه دون أن أقول كلمة ، واخرجت سيجارة من علتي وبدأت أشعلها وأنا أهم بالوقوف لأعادر المكتب وقسمات وجهي تنطق بالغضب .. فنهض الرجل من على مكتبه يتعثر في مشيته من الاضطراب ويتقدم الى ويسكني من كفي قائلا « استاذ سرايا » . أنا آسف .. آسف .. أرجو أن تعذرني فقد عودني زملاؤك على هذه الطريقة » . ثم أخذ يكرر « أرجو أن تغفر لي .. أرجو أن تغفر لي » وشعرت بالقوة .. ومن يومها صرنا صديقين .. رحمة الله .

ورغم الصدمة فقد كنت احسن بان عفريت الدسوق موجود معي في كمي .. ودرت على عدد من الصحف الصغيرة فلم أوفق ووجدت نفسي مرة أخرى في العراء . وطال أمر العراء هذه المرة وكان لابد من أن أعيش .. وعملت في قسم الاعلام بالسفارة الامريكية ولكني اشترطت عليهم أن لا اتقاضى مرتبا وانما اعمل بالانتاج . وبدأ انتاجي بخمسة وعشرين جنيها في الشهر ، وفي خلال شهرين ففز لي ٦٠ ثم ٨٥ جنيها . ولكني كنت قلق .

وفي ٢٦ أبريل ١٩٤٨ كنت اسير امام دار الازهر في شارع مظلوم فدخلتها ، استقبلني « عم بشير » وطلبت منه أن اقبل أى مسئول في الدار . وبعد لحظات كنت في مكتب الاستاذ نجيب كنعان .

- ايوه يا استاذ .. عايز حاجة ؟

وفي أقل من دقيقة قدمت له نفسي وتجربتي في الصحافة وسألته ان كان لي مكان في الترجمة

- اتفضل .. ثم اشار الى منظدة صغيرة في طرف الحجرة وجلست اليها . واحضر برقية من وكالة رويتر (حوالى ٥٠٠ كلمة) إنتهت منها في وقت قصير . ولما قرأها طلبت مني ان أعود في أول مايو لاتسلم العمل .

وقدمت استقالتي من السفارة ، وهاج مستر اوليكس - الملحق الصحفي - كيف ارمي بكل بساطة ٨٥ جنيها من اجل عمل لن يزيد اجري فيه على عشرين جنيها (لقد كان متفائلا فقد بدأت في الازهر بخمسة عشر جنيها) . وكان ردى عليه هذه هي الخطرة الاولى على الطبيب الصحيح . وشعرت يومها بانى أقوى الناس وبعد ٦ شهور اختارني رئيس مجلس الادارة رئيسا للقسم الخارجى .

احسان عبد القدوس (١٩١٩ - ١٩٩٠)

في عام ١٩٤٢ تخرج من كلية الحقوق ، وكاتب القصة وهو في العاشرة من عمره واعتزل المحاماة بعد تخرجه بعد عام واحد وعندما سألوا والدته متى سيصبح رئيسا التحرير قالت بعد ان يجرب السجن ويخرج منه .. فالصحفى لابد وأن يسجن ، وفي عام ١٩٤٥ تولى رئاسة تحرير روزاليوسف ، واحسان عبد القدوس له ابتسامه طيبه لا تفارق شفثيه حتى في احلك الظروف وأقساها وأشتهر في هذا الوقت بسلسلة مقالاته : « قضية الأسلحة الفاسدة » .

وكان صديقا لأعضاء مجلس قيادة الثورة ، ولعللى ماهر أول رئيس وزارة بعد يوليو ١٩٥٢ ، وقبل تنظيم الصحافة في مصر طالب بنقابة لأصحاب الصحف . ومن أشهر مقالاته التي سببت له المشاكل كما قال لي مقالة الذى نشر في المصرى في ١٦ مارس ١٩٥٤ تحت عنوان « برلمان .. لا جمعية تأسيسية » .. وفي نهاية المقال قال احسان عبد القدوس :

« اكتبها لاننى تبينت ترددا من اغلبية المواطنين فى التقدم للترشيح لجمعية
لن تدوم مهمتها أكثر من شهر أو شهرين .. ولأننى أريد أن أتعدل
الاستقرار لمصر .. وأريد أن أتجنب المزيد من الشذوذ » !!

. وتشهد مصر معركة نشر قصص احسان عبد القدوس .. حين يطالب أحد النواب
بوقف نشر قصصه ..

وفى مجلس الأمة .. نسمع بيان الحكومة فى ٩ يونيو ١٩٦٤ يلقيه الدكتور محمد عبد
القادر حاتم .. وتنشر الاهرام مانشيتا يقول : « الصحافة لا تخضع للرقابة ولا لسلطانها »
بيان حاتم يلقيه فى مجلس الأمة عن حرية الصحافة وضماناتها .

ويقول الدكتور حاتم فى بيانه : « ان دستور ٢٥ مارس ١٩٦٤ أكد حرية الصحافة
والطباعة فى حدود القانون وأن الصحافة جزء من التنظيم الشعبى لا تخضع بتنظيم
ادارى وإنها سلطة توجيهية شأنها من ذلك شأن غيرها من السلطات الشعبية .

انتشر التعليم وتوسع الإستهلاك وتطور وأصبح شيئا عاديا أن نرى الفلاح فى حقلة
يحمل الراديو الصغير ويستمتع الى آخر الأنباء .. ومن هنا تبرز أهمية ثورة ٢٣ يوليو اذ
انها نهت الجماهير الى واقعها وحركتها ودعت الى ضرورة التغيير !!

ولم نشاهد هذه الفترة معارك صحفية بالمعنى التقليدى ، المتعارف عليه فى عهود
سبقت

كانت هناك معركة أدبية بين بنت الشاطىء والعقاد .. كتبت الدكتور بنت الشاطىء
فى الاهرام فى ٢١ مارس ١٩٦٠ تحت عنوان كلمة صريحة يا أستاذ عقاد .. اللهم انى
صائمه » وفيه تهمة بأنه يقتبس من نفسه ولا يمر اسبوع الا وترد عليه مرة أخرى تحت
عنوان : « مالم أقله فى الصيام » !! وتستمر المعركة تكتب له فى أول شهر مايو ١٩٦٠
« الدنيا بخير » تقول فيه :

النقد الأدبى عندما يمر اليوم بمحنة عصية ، تهدد كرامة الفكر وحرية الرأى وتعطلة عن أداء
مهمته الكبرى فى تقويم العمل الأدبى وتوجيهه منذ صار لمشهورى الكتاب نوعا من الخطا وقد
خضت معارك نقدية ذات عدد وبلوت من آثارها ما يعث على التشاؤم واليأس ولكنى لم أتخل
لحظة عن إيمانى بأن الدنيا ماتزال بخير ، وستظل بخير ، وستظل بخير أبدا ، أقول هذا لم ومنذ

جرؤت على إبداء رأى فى كتاب من الكتب ورسائل القراء لم تكتف عن موقفى اما بالتهديد
والوعيد واما بالحرف والاشفاق .

وفى ٢ فبراير ١٩٦١ تكتب بت الشاطىء تحت عنوان الطغيان الأدنى : يقول الأستاذ العقاد هذا رأى وهذا رأى
الخالق وأقول له مرة ثانية اللهم انى صائمة !!



(١١) الاهرام ١٩٦٧

وتشهد هذه الفترة معارك قلمية بين الصحفيين ولعلها ترجع بسبب تفوق محمد حسنين هيكل وإنفراده بالأخبار .

محمد حسنين هيكل (١٩٢٣ - ٢٠٠٠)

● في مايو ١٩٤٦ التحق بأخبار اليوم بعد أن عمل في روزاليوسف وفي الاجيبيشيان جازيت وفي آخر ساعة . واشتهر بالرحلات فقد كان يغطي أخبار مؤتمر بلودان في سوريا .. ورافق الأميرة فائقة عند عودتها إلى مصر في يونيو ١٩٥٠ . وبرز اسمه كمراسل عسكري عام ١٩٤٨ .

● في يونيو ١٩٥٢ أصبح رئيسا لتحرير آخر ساعة (قبل ثورة ٢٣ يوليو بشهر واحد)

● في يونيو ١٩٥٣ قدم للمحاكمة بسبب كتاب « ايران فوق بركان » بتهمة العيب في امبراطور ايران والكتاب نشر ١٩٥١ وفي نفس العام يكتب احداث كوريا ويومها أرسل له كامل الشناوى يقول له : ماذا تفعل أنت هناك ؟ تتابع أحداث أوطان أخرى ووطنك هنا على شفا أحداث كبرى ؟

● في ٢ يوليو ١٩٥٣ قدم للمحاكمة التأديبية والصحفية بسبب مقال (حديث صريح عن صحافة مصر ففي صباح يوم الاربعاء ١٥ ابريل ١٩٥٣ صدرت آخر ساعة وهي تحمل مقالا بقلم رئيس التحرير هيكل بعنوان « حديث صريح عن صحافة مصر » وجاء هذا المقال شديدا .. فثار أعضاء النقابة وهاجموا وطالبوا بحالته الى مجلس تأديب . وكتب هيكل يقول :

ان نقابة الصحفيين وليس غيرها يجب أن تتقدم للمسؤولين بالمطالب الآتية :

(١) وقف المصروفات السرية للصحفيين اذا كانت باقية لم تلغ الى الآن .

(٢) نشر كشوفات المصروفات السرية في كل العهود الماضية .

(٣) تأليف لجنة قضائية تفحص حسابات جميع الصحف لتعرف مصادر تمويلها ثم انى لا أريد ان اتهم أحدا أو أتجنى على أحد وإنما أريد الحقيقة كاملة لانى أريد أن تبقى صحافة مصر عزيزة مجيدة على نفس المستوى العالمى الذى سجله لها طليعة من روادها وأبطالها يوم اندفعوا عزلا الا من الايمان لمقاومة جيوش الشر الزاحفة ويوم استعانوا بقوة الايمان وحرارته الى نار تحرق حصون الظلم ونور يطبق على الظلام !

وكان المفروض حسب التقاليد الصحفية أن يسكت هيكل وينتظر الحكم ولكنه لم يطق السكوت فكتب مقالا أشد عنفا بعنوان « أحوالنى الى مجلس تأديب » .

- دخل الاهرام فى أول أغسطس ١٩٥٧ وفى عام ١٩٦١ أصبح رئيسا لمجلس الادارة وفى عام ١٩٦٥ أصبح رئيسا للمؤسسة الصحفية العربية وفى ٢٦ ابريل ١٩٧٠ أصبح وزيرا للارشاد القومى رغما عنه الى جانب عمله فى الاهرام وفى أول فبراير ١٩٧٤ ترك الاهرام .
- له عدة مؤلفات ويصر على كتابة اسمه ثلاثيا . الذى ارتبط بمقالة بصراحة .

ويلعب هيكل دورا سياسى - كصحفى - منذ بداية الثورة فكان يقوم كحلقة الاتصال بين ضباط الثورة ومرضى المراهى وكان وقتها احسان عبد القدوس يتصل بعلى ماهر .. وهكذا بدأ هيكل حياته صحفيا وانتهى سياسيا بعد أن كانت الصحافة هى مهنة السياسيين ! وأخذت الاحداث تطارده بعد أن كان يبحث عنها !!

وهيكل صحفى زمانه وعصره ومراجعة التاريخ كان لكل حاكم كاتبة وراويته وأستطاع هيكل وصف الأحداث فى الستينات وينفرد بالانخبار ويحكى قصة صنع القرار وينشر الأسرار .. وأصبح الناس ينتظرون الاهرام ويقرأون مقالات هيكل لتتضح لهم الصورة . ومنذ أن أصبح هيكل مسئولا عن الأهرام ، شارك فى بناء مبنى عصرى جديد تكلف نحو ٦

مليون جنيه وجمع فيه نخبة من الكتاب والمثقفين وأصبح مسئولاً كرئيس تحرير ويكتب كل اسبوع مقالة الشهير بصراحة :

- نقد الاتحاد الاشتراكي وندد بعجزة وطالب بتطويره
- وكشف قصور البيروقراطية المصرية . وكشف عن أزمة المثقفين مشكلة عصره .
- وندد بتجاوز سلطات الأمن وكتب « زوار الفجر »
- وطالب بالتروى فى فرض الحراسات والاعتقالات .
- ودعا الى مجتمع مفتوح يسود فيه القانون وصك تعبير « مراكز القوى » .

وكانت أخطر مقالاته - التى عبر بها عن عصره - هى «السلى فى التجربة المصرية» كتبها عام ١٩٦٤ :

ويروى أنيس منصور عنه : الكاتب عادة يصارح الحاكم على مرأى من الناس ولكن هيكل كان يصارح الناس على مرأى من الحاكم وفى مأمن منه أيضا ..

ومن هنا كان لهيكل مواقف فى الاهرام حينما نعرضها تكتب بنفسها قصة طويلة :
(١) كان هيكل يركز بعينه على أزمة مصر وصداقة عبد الناصر وكانت هذه هى معادلته الصعبة كصحفى .

(٢) فى حديثه عن حرية الصحافة كتب يقول : نحن نعيش فى مجتمع بلا حدود ولا تعرف أين يقع الصدام بيننا وبين السلطة لذلك فالكثير خاصة من ابناء الجيل الجديد يعيش فى الوسواس ويتوجس يملك فى داخله رقيبا للنشر ، وأخطر شئ أن تتحول الوسائل الى « عادة » .

(٣) حينما عبر عن أزمة تمويل السد العالى وكتب يقول « الأبواب المفتوحة والباب المغلق كان وقتها الصاروخ الروسى يسبق الى القمر وكانت مصر تبدأ الحرب على الاسراف !! (الاهرام ٣ يناير ١٩٥٩)

(٤) اصدر اهرام الجمعة فى ٢١ مايو ١٩٥٩ فى هيئة ملحق خاص بعد أن كان ضمن صفحات الاهرام فى ٣ أكتوبر ١٩٥٨ وكانت قفزه صحفية ويصبح فى ١٩ يناير ١٩٦١ ، صباح كل يوم جمعة فى ١٦ صفحة منه ٨ صفحات ملحق خاص وفى ١٤ يوليو ١٩٦١ يلغى اللون الاحمر من المانشيت ويعلق حتى لا نبالغ فى الافتعال

والانفعال ويعود اللون الأحمر الى العناوين بعد النكسة ليختفى مرة أخرى في ٨ نوفمبر ١٩٦٨ ولا يعود بعد ذلك إلا في يوم ٧ أكتوبر بعد العبور يوما واحد فقط .

وفي ٢ مارس ١٩٦٢ يدخل الكاريكاتير لأول مرة في الاهرام وينضم صلاح جاهين الى أسرة الاهرام ، وفي عام ١٩٦٢ في السادس والعشرين من ديسمبر يصدر الاهرام عدد خاص عن القاهرة في ألف سنة وفي ١٠ يناير ١٩٦٤ يبدأ الاهرام بتبويبه الجديد ويكتب كلمة من الاهرام :

في مطلع السنة التسعين من عمر الاهرام سوف يلحظ قارئه هذا الصباح أن ثمة تغييرا لمس بعض صفحاته .. لقد كان القصد منها مزيدا من الخدمة اتساعا وعمقا .

ويصدر ملحق المرأة والبيت في ٧ أكتوبر ١٩٦٥ مع كلمة تحية للمرأة صانعة المستقبل ، ناسخة الأمل الجديد .

وفي اثناء الاحتفالات بتحويل مجرى النيل في ١٤ مايو ١٩٦٤ ، ينشأ الاهرام نظام الصورة بالتليفون ويرسل بعثة صحفية كبيرة وعدد من المصورين لترسل الصورة التي تستقبل على جهاز تليفوني في مبنى الاهرام ويدعو الاهرام ثلاثة من فناني التشكيل هم صلاح طاهر وسيف وانلى وراغب عياد لرسم المنطقة على الطبيعة .

(٥) اهتم هيكل بأزمة المثقفين وهي في الحقيقة أزمة عصره وقمة المشاكل الداخلية وكان رأيه : « وحتى يتم ذوبان الثلوج وحتى يشعر آلاف الشباب من المثقفين الجدد الذين يقومون اليوم على تنفيذ خطة التنمية وهي البلورة العملية والتجسيد الحى في قيادة معركة التطوير الكبرى تحقيقا لأهداف الثورة الشعبية » (الاهرام ١٩٦١/٦/٢)

في قراءة هذه السطور تبدو الصورة واضحة وبدون تعليق أو رتوش !!

(٦) حينما تمثلت المثل العليا في القومية العربية تحدث عبد الناصر عن الحرية ويخرج الاهرام في اليوم التالى يصف العرض العسكرى والدرع والقوة الضاربة كانت الاحداث تتلاحق منذ عام ١٩٦٦ .

- تأجيل مؤتمر القمة برغم معارضة فيصل (٢ أغسطس)
- معركة جوية وبحرية بين سوريا واسرائيل (١٦ أغسطس)
- الملك سعود يطلب الاقامة في مصر (١٣ ديسمبر)

تلاحقت الأحداث في عام ١٩٦٦ وفي اليوم الأول من سنة ١٩٦٧ يخرج لنا الاهرام بعنوانة : «المعالم البارزة لسنة ١٩٦٧» ويكتب المحرر السياسي تحقيقا من شكل الحوادث المقبلة واتجاهاتها وفيها يتنبأ بالنكسة ، لم يخلو الاهرام من صورة كبيرة لعبد الناصر على أربعة أعمدة وتحتها خبر يقول : عبد الناصر يصبح جدا وتحتة خبر يقول مونترجمري يقول : أريد أن أعرف وجهة نظر الرئيس عبد الناصر فيما يجري في العالم اليوم . وكان الموضوع الذي يحدد المعالم البارزة يقول : قال المحرر السياسي : أخطر ما تقع فيه الصحافة هو محاولة التنبؤ بالحوادث وأخطر ما يكون ذلك على وجه التحديد بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة بسببين :

الأول - ان القيادة السياسية تحسن توقيت تحركاتها وتملك قدرة فائقة على الإستجابة السريعة وهذه من أبرز مميزاتها .

الثاني - أن الجمهورية العربية المتحدة وهي تقوم بدور يتعاضم تأثيرة في العالم المحيط بها والمتشابك في مصالحها معها والمعرض لمؤثرات خارجية قوية تأخذ في كثير من الاحيان أو يفرض عليها موقف رد الفعل ومن هنا فان التنبؤ يصبح مغامرة محفوفة بالشك .

مع ذلك ، ورغم هذه المحاذير فانه يمكن تصور شكل الحوادث على النحو التالي :

- ١ - سوف يتم تشكيل اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربى ..
 - ٢ - يحدد بعد ذلك موعد اجتماع المؤتمر الوطنى الأول للاتحاد الاشتراكي العربى .
 - ٣ - سوف يبدأ مجلس الأمة - بنشاط اكبر - فى وضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة .
 - ٤ - كل ذاك سوف يفتح الباب فى هذه السنة لمناقشات سياسية واجتماعية وفكرية على أوسع نطاق تستهدف :
 - تحديداً فكريا أوضح .. وتحديددا اجتماعيا أوضح
 - ٥ - .. ضرورة تقوية السلطة التنفيذية ودعمها .
 - ٦ - سوف تحصل أجهزة الانتاج على سلطات أكبر ..
 - ٧ - سوف يشهد العام الجديد نقط تحول هامة فى عملية الانتاج ابرزها :
- بدء انتاج الكهرباء من السد العالى .
 - تقدم ضخخ فى بناء مجمع الحديد والصلب .
 - زيادة ضخمة فى البترول .

وكانه كان يعرف !!!

ولا يمر عام ١٩٦٧ الا ونسمع في شهر ابريل :

(١) تفاصيل انقلاب عسكري في غانا (يوم ١٩)

ويكتب هيكل في عدد الأهرام رقم ٢٩٣٤٤ .. وكانت محاولة امريكا لترويض الثورة المصرية قد انتهت بالفشل وكانت الثورة المصرية قد تمرت واتخذت موقف العصيان علنا ، وكان على الولايات المتحدة الامريكية ان تتجرع الكأس المرة الى القطرة الأخيرة ، وكان عليها ان تفكر في المرحلة القادمة وفكرت واختارت .. محاولة العقاب .

والكلام هنا بدون رتوش أو تعليق .. ولكنها سيناريو قصة مصر من عناوين

الاهرام : ٢٨ ابريل : ازمة خطيرة

(الحكومة الامريكية توجه اندارا الى الحكومة اليمنية وتطلب قبوله في ظرف ٢٤ ساعة والا سحبت اعترافها بها)

ويكتب هيكل في مقالة نحن وامريكا :

وبدا القفاز الحريى يتمزق وتظهر من تحته اليد الحديدية . مرحلة العنف !

٦ مايو : تطور هائل في احتمالات بترول الصحراء الغربية .

٨ مايو : خبر صغير يقول :

● اختفاء مواد ذرية من امريكا تكفى لصنع ١٥ قنبلة ذرية .

● تقرير خطير يحذر من تسرب المواد الذرية الى السوق السوداء .

● ١٣ مايو ١٩٦٧ :

الجمهورية العربية المتحدة ترفض زيارة قطع الاسطول السادس الامريكى لموانئها .

● القاهرة وجهت نظر واشنطن الى تصريح لرئيس وزراء اسرائيل تقول فيه انها تعتمد في حماية امنها على وجود الاسطول الامريكى السادس فى البحر الابيض .

وخبر على عمودين يقول :

ازدياد حدة التوتر على خطوط سوريا وامريكا .

أشكول يقول : اسرائيل لا تستطيع ان تعتمد على نفسها .

وخبر صغير فى ذيل الصفحة وتحت عنوان

« كيف يريد ان يذكره التاريخ ! »

واشنطن فى ١٢ - أب - قالت اليوم صحيفة واشنطن بوسى « ان الرئيس الامريكى ليندون جونسون قال أن اسمه قد يقترب فى التاريخ بانه الرجل الذى بدأ الحرب العالمية الثالثة !

١٤ مايو ١٩٦٧ :

خبر بعنوان سطر واحد يقول :

الذين يتحدث إيان باسمهم !!

تل أبيب فى ١٣ - وكالات الأنباء - صرح ابا إيان وزير خارجية اسرائيل بأن الشرق الأوسط لم يكن اطلاقا ولن يكون فى المستقبل منطقة عربية وإنما الشرق الأوسط سيضم فى المستقبل قوميات متعددة .

واضاف إيان أن دول العالم ماعدا الدول العربية قد هجرت مقاطعة اسرائيل وعدم الاعتراف بها وأن اصداقاء اسرائيل يزايدون فى العدد عن الأعداء . غير ان الاصدقاء بعيدون عنا والاعداء قريبون منا !!

● ١٥ مايو ١٩٦٧ : احتمال انفجار فى أى وقت على خطوط الهدنة بين سوريا واسرائيل الحملة الاسرائيلية تزداد ضد سوريا سياسيا ونفسيا بينما الحشود الاسرائيلية تتجمع قرب المنطقة المتزوعة السلاح .

● اذاعة اسرائيل وصحفيها تتحدث عن « اسلحتها الجديدة »

● الرئيس عبد الناصر يزور الاتحاد السوفيتى قريبا !!

● الموقف يشتعل فى عدن وبريطانيا تسعى لجر الجنوب المحتل الى حرب أهلية

(يوم ٢٠)

● الجيش اليونانى يقوم بانقلاب عسكري (يوم ٢٢)

● ١٦ مايو ١٩٦٧ : اعلان حالة الطوارئ فى القوات المسلحة .

● ١٧ مايو ١٩٦٧ : القاهرة تطلب سحب قوات الطوارئ الدولية من نقط

الحدود المصرية فورا .

- الآن اتضححت اسرار المؤامرة التي كانت مدبرة للهجوم على سوريا واحتلال جزء من أراضيها .
- السياسة المصرية تتخذ مواقف حازمة ازاء كل المحاولات الامريكية البريطانية - الكندية !
- قوات العدو مازالت تتدفق نحو الجنوب وهو الآن يحاول تعزيز بعض المراكز بسرعة مستعملا طائرات الهليكوبتر .
- ٢١ مايو : عبد الحكيم عامر مع قوات الجبهة في مواقعها المتقدمة .
ويوثانت يطير غدا الى القاهرة ليقابل عبد الناصر .
- اسرائيل تعلن حالة التعبئة العامة وعملية استدعاء الاحتياطى تجرى على قدم وساق بكل وسائل المواصلات .
- العالم كله مازال مأخوذ بمفاجأة التحرك السياسى والعسكرى المصرى وسط الازمة الخطيرة فى الشرق الأوسط .
- القاهرة ترفض اقتراحا بدعوة مجلس الدفاع العربى فى الوقت الحاضر لانها ليست على استعداد لمناقشة خطط الموقف الخطير الراهن مع الرجعية أو بحضورها !!
- ٢٢ مايو : الساعات القادمة .. حاسمة .. اللجنة التنفيذية العليا تعقد اجتماعا طارئا برئاسة عبد الناصر لبحث الموقف ودراسة تطورات المحتملة المشير عامر يصدر أمرا بدعوة الاحتياطى الى الخدمة العسكرية العاملة فورا .
- العراق يعرض على مصر قوات من المشاة والمدركات والطيران ومصر تقبل تأكيدا لوحدة النضال العربى .
- القوات العراقية سوف تأخذ مواقعها جنبا الى جنب مع القوات المصرية كجيش واحد .
- فريق من قوات العدو يتدفق على الجنوب وقائد الجيش الاسرائيلى يعقد اجتماعا مع كل القواد الذين سبقوه الى هذا المنصب .
- جونسون يقوم بتصرف غريب ويكتب الى كوسيجين بأن تتعاون أمريكا وروسيا على مواجهة الازمة فى الشرق الاوسط .

● يوثانت يصل الى القاهرة بعد ظهر غد ويمد اقامته فيها الى ثلاثة أيام بعد أن كانت يوما واحدا . ويكتب الاهرام الموضوع الرئيسى :
« سوف تكون الساعات القادمة حاسمة بالنسبة لتطورات الازمة التى تتصاعد الآن ذروتها فى الشرق الأوسط .. وكانت أهم التطورات أمس على النحو التالى :

- (١) فى الجمهورية العربية المتحدة .
- (٢) فى العالم العربى .
- (٣) فى الولايات المتحدة وبريطانيا .
- (٤) فى جبهة العدو .
- (٥) فى الأمم المتحدة .

ثم نقرأ خبر يقول : وصول السفير الأمريكى الجديد ويصرح فى المطار السفير ريتشارد نولتى بأنه سعيد بالعودة الى مصر .

٢٣ مايو ١٩٦٧ : عبد الناصر يعلن اغلاق خليج العقبة .

الخليج مغلق أمام الملاحة الاسرائيلية والمواد الاستراتيجية لا تستطيع المرور منه الى اسرائيل ولو على سفن غير اسرائيلية .

● ٢٤ مايو ١٩٦٧ : الحرب مع اسرائيل قد تنشب فى أى لحظة .

● يوثانت يصل الى القاهرة بينما ازمة الشرق الأوسط تكاد تصل الى نقطة الانفجار هستيريا فى اسرائيل واجتماعات سياسية وعسكرية مستمرة والنغمة السائدة كلها انها سوف تهاجم مصر بسبب اعلان خليج العقبة .

● الولايات المتحدة تقوم بدور مرتب الازمة وتوجه الى الأمة العربية انذارات مقنعة .

● حكومة الاتحاد السوفيتى تعلن رسميا مساندة الدول العربية بصلافة فى موقفها ضد العدوان .

فى نهاية الصفحة وتحت عنوان الساعة ٣ صباحا « اجتماع عاجل لمجلس الأمن »

الأمم المتحدة فى ٢٤ . أب . طلبت الليلة الدفرك وكندا بتأييد قوى من الولايات المتحدة عقد اجتماع عاجل مجلس الأمن لبحث الموقف المتوتر فى الشرق الأوسط وينتظر أن يجمع المجلس صباح اليوم .

وفى براونز فى نفس الصفحة الأولى اشارة لملف خاص عن خليج العقبة . وكل الوثائق الاساسية المتعلقة بالملاحه فيه .

- ٢٥ مايو ١٩٦٧ : يوثانت يقضى ٤ ساعات مع عبد الناصر .
- عبد الناصر يعقد مؤتمرا لممثلي الصحافة العالمية الذين جاءوا الى القاهرة بعد ظهر يوم الاحد القادم .
- رسالة من عبد الناصر الى ديجول - ورسالة من تيتو الى عبد الناصر - وزير الحرية يطير صباح اليوم الى موسكو .
- وقائع الجلسة المثيرة التي عقدها مجلس الأمن مساء امس لبحث الموقف وتمتلىء الصفحة بالاحبار المثيرة :
- مجلس الأمن انهى اجتماعه فجأة بعد مناقشات حادة ودون أن يحدد موعدا للجلسة مقبلة !
- واشنطن توجه - تحت ستار الأمم المتحدة - حملة واسعة ضد القاهرة .
- وزير خارجية اسرائيل طار في مهمة عاجلة الى باريس ولندن وواشنطن .
- البيت الأبيض ينفي التهديد باستخدام القوة لفتح خليج العقبة .
- استمرار الهبوط في بورصة لندن .
- السماح لفنيين المانيين بدخول خليج العقبة بعد تفتيشهما .
- ٢٦ مايو : مطالب أمريكا التي رفضتها مصر .
- التفاصيل الكاملة للاتصال الوحيد الذى جرى بين القاهرة وواشنطن خلال ازمة الشرق الأوسط الراهنة .
- الاستعداد للحرب يزداد فى اسرائيل بينما ستار من السرية ينزل على تحركاتها العسكرية .
- ويقدم المحرر السياسى للاهرام الصورة .. ويصفها بقوله ويكاد الرئيس الامريكى ليندون جونسون : أن يلعب لحساب ليفى اشكول الآن - سنة ١٩٦٧ - نفس الدور الذى لعبه انتونى ايدن لحساب دافيد بن جوريون سنة ١٩٥٦ !
- ثم يقدم المقترحات الخمس الامريكية والتي تطالب بانسحاب الى المواقع الاصليه للطرفين . وأن الولايات المتحدة الامريكية ترى أن تظل قوات الطوارئ فى غزة وشرم الشيخ لحين صدور قرار من الجمعية العامة !

وتمتلىء صفحة الاهرام الأولى بالعناوين المثيرة وتقدم مسرحية « الحرب » !!

- الصين تؤيد الجمهورية العربية .
- عبد الناصر يرأس اجتماعا هاما في مقر القيادة العليا للقوات المسلحة .
- مناقشات مجلس الأمن «نكسة» لأمريكا وبريطانيا .
- الملك سعود يقدم ٣ ملايين دولار لخدمة الجهد العربى .
- السفارة الامريكية تبدأ فى ترحيل عائلات موظفيها اليوم .
- ايبان يعلن : اغلاق خليج العقبة غير محتمل .

وفي الصفحة الاخيرة : توفيق الحكيم يوجه كلمة الى قواتنا المناضلة .. اريد ان اعمل عملا يدويا لكم !

وفي ملحق الجمعة يكتب هيكمل فى صراحة :
الصدام بالسلاح مع اسرائيل محتم .. لماذا ؟

٢٧ مايو : عبد الناصر يتحدث عن احتمالات الحرب .

اسرائيل أتمت اجراءات التعبئة العامة .

ر : القاهرة تطلب ترحيل الكتيبة الكندية فى ظرف ٤٨ ساعة

رسالة من جونسون الى القاهرة يناشدها ضبط النفس .

وتمتلىء الصفحة بالانخبار المثيرة .

- اسرائيل تزيد من استعدادتها الحربية بعد كلمة عبد الناصر .
- يوثانت يقترح اعادة لجنة الهدنة التى كانت تعمل سنة ١٩٥٦
- مليون دولار للقوات المسلحة من عبد الله المبارك .

٢٩ مايو : عبد الناصر يتحدث الى العالم

وكان خطاب خطير تحدث فيه عن قوات الطوارئ واغلاق خليج العقبة امام اسرائيل ، وامريكا مسئولة عن مشكلة اسرائيل ، عبد الناصر يشيد بموقف الاتحاد السوفيتى .

وتمتلىء الصفحة بالانخبار المثيرة التى تقول :

- جونسون يتعهد لاسرائيل بتوفير البترول وبمساعات ضخمة .

ثم خبر على عمود ونصف يقول فى بنط ١٢ أسود

علم احرر العسكرى « للأهرام » ان هناك معلومات كثيرة ومؤكدة تفيد ان حركة واسعة النطاق لنقل المعدات العسكرية والذخائر تجرى الآن من قاعدة « هيرلس » الامريكية فى ليبيا الى اسرائيل .

الثلاثاء ٣٠ مايو مناوشات عسكرية فى البحر والبر .
صوت اطلاق القنابل سمع لأول مرة منذ بدء الأزمة عند مدخل خليج العقبة وعلى خطوط غزة .

- زورق طوربيد مصرى يتصدى لناقلة بترول امريكية تحمل علم ليبيا تقترب من خليج العقبة ويأمرها بالتوقف ويطلق أمامها طلقة انذار فتعود باقصى سرعة الى الجنوب .
- اطلاق النار على مستعمرة اسرائيلية أمام قطاع غزة بعد أن حاولت ثلاث مدرعات اسرائيلية خرجت منها أن تخترق خطوط الهدنة .
- قيادة الجيش الامريكى تعلن أن ٢٠ قطعة من الأسطول السوفيتى فى شرق البحر الابيض
- تحركات واسعة للأسطول الامريكى السادس وللأسطول البريطانى بالقرب من منطقة الازمة فى الشرق الاوسط .
- وحدة من مشاة البحرية الامريكية تتجه على ناقلة برمائية ناحية اسرائيل بينما الامدادات مازالت تنقل من القاعدة الامريكية فى ليبيا الى اسرائيل .

والصورة للموقف واضحة من عناوين الاهرام !!

٣١ مايو : اتفاقية دفاع مشترك يوقعها الرئيس عبد الناصر والملك حسين أمس فى القاهرة : وعلى يسار الصفحة خبر يقول : الذخائر تنقل بالطائرات من امريكا الى اسرائيل مباشرة وينشر الاهرام خريطة على عمودا واحد طويل تبين الجهة الاردنية وهى - كما يقول - اطول الجهات مع اسرائيل اذ تمتد مساحة ٦٤٠ كيلو مترا .

وفى أول يونيو : يوم الخميس يظهر الاهرام ويقول :
جونسون يقود حملة من الضغط العسكرى والسياسى والاقتصادى والنفسى ضدنا .. صندوق النقد الدولى فجأة يعيد النظر فى الاتفاق الذى كان قد توصل اليه مع مصر .

الجمهورية العربية قدمت مشروع قرار الى مجلس الامن فى جلسة أمس .

المشروع يحمل اسرائيل مسؤولية الأزمة ويقترح إعادة لجنة الهدنة الى مقرها القديم في العوجة . ٢٠ ألف جنيه تقدمها اسرة الاهرام لخدمة الجهد الحربي .

٢ يونيو : أى دولة تحاول اقتحام خليج العقبة سوف تمنع من استخدام قناة السويس . اذا حاولت أى دولة أن تفتح خليج العقبة بالقوة فهي تقوم بعمل عدوانى ضد مصر ويحق لمصر بمقتضى معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨ منعها من استعمال قناة السويس .

● تعيين ديان وزيرا للدفاع بعد خلاف شديد فى اسرائيل .

وفى نفس عدد الاهرام ولكن على صفحة ملحق الجمعة الاولى يوالى هيكل فى صراحة بعنوان : الصراع الذى يدور فى التفكير الاسرائيلى الآن (المؤسسة العسكرية الاسرائيلية) ودورها فى التقلصات العينية التى سوف تحكم رد فعل اسرائيل حيال الأزمة المفاجئة !

يقول هيكل :

الدراسة والتحليل لم يجرى وقتها بعد .. لأن الاعصار مستمر . والتنبيه والتصوير فات وقتها .. لأن الاعصار بدأ فعلا . ويختم هيكل مقالة قائلا : إما ان تضرب اسرائيل لكى تكسر الحصار العربى حولها واما أن لا تضرب وتنكسر اسرائيل من الداخل !!

□ صباح السبت ٣ يونيو : يطالعنا الاهرام بعنوانها الكبير الذى يقول :

« انقلاب صامت فى اسرائيل يأتى بوزارة حرب »

تعيين موشى ديان وزيرا للدفاع ومناحم بيجين وزيرا للدولة بطلب من الجيش ويخصص الاهرام صفحته الثالثة لشخصية موشى ديان حيث اسماء « طائر العواصف » الذى عينوه وزيرا للدفاع .

● ٤ يونيو : العسكريون وحدهم هم الذين يتكلمون الآن فى اسرائيل

سكتت جميع الأصوات فى اسرائيل ولم يعد يسمع فيها. الآن غير أصوات رجال المجموعة العسكرية الحاكمة الجنرال ديان يعلن فى مؤتمر صحفى أمس « أن الحرب تتوقف على نتائج اتصالات الدول العربية » الجنرال راين يقول فى منشور الجيش « لقد أعددناكم لتقوموا بأية مهمة نكلفكم بها . البرجادير ايجال الون يتحدث فى مؤتمر عام . « عبد الناصر أعلن الحرب علينا فعلا .. واليوم نحن نريد رفع الحصار » وتمتلئ الصفحة الاولى بالانخبار المملوءة بالحياة :

- ١٠ ألف قنّاع ضد الغازات من امريكا والمانيا الى اسرائيل .
 - الدول البحرية ترفض المشاركة في خطة امريكا لاقتحام تيران بالقوة .
 - سفارتنا في واشنطن تعلن : الاعلان المقترح تمهيد للعدوان .
 - ٣ مدمرات سوفيتية جديدة تحمل الصواريخ دخلت البحر الابيض صباح أمس .
 - ٥ يونيو : اضمم العراق لاتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والاردن .
- الجهات العربية كلها كانت أمس تتحرك في تناسق رائع الى مواقع الجبهة الحاسمة مع العدو الاسرائيلي ومن يقفون ورائه .
- وعلى يسار الصفحة .. زكريا محيى الدين يطير بعد غد الى واشنطن لموعد مع الرئيس الامريكى جونسون . ثم هناك خبر صغير بعنوان : « قيمة الجنرال ديان »
- اذاعت اسرائيل رساله لمراسلة الاذاعة الاهلية الامريكية وجاء في الرسالة على حد ما اذاعته اسرائيل « انه للمرة الاولى منذ نشوب ازمة الشرق الاوسط لمس شعورا بالقلق والخوف في مصر وذلك بعد تعيين الجنرال موشى ديان وزيرا للدفاع » . !!
- ٦ يونيو : يصدر الاهرام في ٤ صفحات وسط المانشيت احمر ارتفاع ١٧ سم بعرض الصفحة يقول : قواتنا المدرعة تتوغل .

ومن أخبار الصفحة الأولى

- الرئيس يستقبل السفير السوفيتى .
- فيصل يبلغ عبد الناصر بدخول قوات السعودية الى الاردن .
- تقرر تأجيل رحلة زكريا محيى الدين لواشنطن .
- يوثانت أبلغ مجلس الأمن : بدأ القتال بغارة اسرائيلية على غزة .
- الاتحاد السوفيتى يعلن : تأييده الكامل للعرب .
- البيت الأبيض يعلن : الحقائق غير واضحة تماما .
- آخر لحظة : ضرب قلب تل أبيب من البحر .

« وكنت أقف أمام الصحيفة الأولى لأرتب أخبارها في مبنى الاهرام القديم القابع بشارع مظلوم ومعى عم محمد ربيع الذى يرتب معى الأخبار يمسك بكل خبر وقد صب في رصاص ليضعة في اطار الصفحة ويردد في صمت « لا إله إلا الله »

وكان عم ربيع - ولا يزال هو سرى وسره فى يديه أخبار التشكيلات الوزارية التى كنت أودعها فى جيبه حتى وقت اعدادها بعد خروج كل المحررين . وكان ولا يزال يحمل فى جعبته كل أسرار الصحافة من خلال الأهرام !!

● الصحف اليومية فى ٤ صفحات ابتداء من اليوم .
فى الصفحة الأولى صورة طيار اسرائيل قتلته فلاحو الزقازيق بفؤسهم وتحتها خريطة تبين الهجمات الاسرائيلية على الجهة المصرية .

٧ يونيو : الطيران الأمريكى والبريطانى يعمل ضدنا فى المعركة .

٨ يونيو : القتال مستمر بعنف على الجبهة المصرية .

٩ يونيو : وقف اطلاق النار .

وينتهى السيناريو المعلن !!

والصفحة التى بلغت ارتفاع عنوانها الرئيسى خمسة عشر سنتيمترا مليئة بالاحبار التى تقول :

- عبد الناصر يتحدث اليوم عن تطورات الأزمة .
- سفير اسرائيل فى لندن يعترف بان اسرائيل هى التى بدأت الحرب .
- الرئيس يستقبل السفير السوفيتى .
- امريكا وعدت بامداد اسرائيل بكل ما تحتاج اليه من مساعدات .
- ملايين من الدولارات تتدفق على اسرائيل من امريكا .
- اجتماع طارئ فى البيت الابيض لبحث التطورات الموقف .

١٠ يونيو : عبد الناصر يقرر ان ينتهى !!

ويرتفع المانشيت الى ٢١ سنتيمترا بعرض الصفحة وفى الصفحة الرابعة الصفحة الأخيرة فى الاهرام نقرأ خبر فى ثلاثة سطور : المشير عامر يقرر اعتزال جميع مناصبه .

وعناوين .. وعناوين مصر خرجت امس فى مظاهرة واحدة تصر على بقاء عبد الناصر .
● « عبد الناصر يناقش فى مجلس الأمة القرار الذى أعلنه مساء أمس » .

١١ يونيو : أمام ضغط شعبى غلاب قرر عبد الناصر تأجيل قراره بالتنحى .
وفى الصفحة الخامسة صورة على خمسة أعمدة : أحد ممثلى الفلاحين فى مجلس الشعب

يرفع يديه إلى أعلى وشرح الصورة يقول : الفرحة .. فرحة الشعب كله .. فرحة كل العرب - رغم قسوة الظروف - اجتاحت قاعة مجلس الأمة عندما قرأ السادات رسالة عبد الناصر التي أعلن فيها أنه باق في منصبة .

ثم صورة لانور السادات رئيس مجلس الأمة يغالب دموعه وهو يتلو رسالة الرئيس .
.... وعناوين الاهرام كل يوم لا تنتهى !
« اتصالات تجرى الآن لعقد مؤتمر قمة عربى طارىء » .

● ثم خبر في ٣ سطور بومدين يطير الى موسكو اليوم : وكان بومدين قد قابل عبد الناصر الذى قال له : اصطادونى ياهوارى :
بومدين .. أبدا يا ريس .. إحنا كلنا وراك .

١٣ يونيو : اهتمام كبير بمحادثات بومدين فى موسكو .
١٤ يونيو : موسكو تعلن رسميا ان كوسيجن سوف يرأس الوفد السوفيتى الى نيويورك .
وفى نفس العدد فى الصفحة الرابعة « بصراحة » لمحمد حسنين هيكل : وتحت عنوان أقصى درجات العنف .

وبداية لحديث طويل عن الأزمة على ضوء القليل الذى ظهر من تفاصيل الحوادث يكتب هيكل مقدمته ويقول :
فى أوقات المحن الكبرى - وما أكثرها على طريق بناء الأمم - لحظات يشعر فيها الذى يمسك بالقلم انه لا يكتب على الورق بقطرات من الحبر ، ولكن بقطرات من دمة .

وتمر الايام : ويصبح هيكل وزيرا : وتمر الأحداث : ويعقد مؤتمر القمة لوقف الحرب الاهلية فى الأردن ويموت عبد الناصر : وتعيش مصر تكتم انفاسها فى أيام هامة من تاريخ حياتها .

(عبد الناصر فى رحاب الله)

أول أكتوبر ١٩٧٠ :

مصر كلها تودع بدموعها اليوم جمال عبد الناصر الى مثواه الاخير .
حداد كامل فى كل الدول العربية .. وجنازات شعبية حزينة تسود شوارعها .

- ارتفاع المانشيت الذى يعلو رأس الاهرام ١٢ سم وصورة على ثلاثة أعمدة طويلة يكللها السواد لعبد الناصر .
- ثم فى العمود الاول على يمين الصفحة كلمة لتوفيق الحكيم بعنوان : تمثال لعبد الناصر بدأها بقوله : اعذرني يا جمال القلم يرتعش فى يدى ليس من عادتي الكتابة والألم يلجم العقل ويذهل الفكر ..

٢ أكتوبر : طوفان من الدموع

صورة بعرض الصفحة ارتفاعها ٢٨,٥ سم . ومقدمة الحديث تقول : كما لم يحدث فى أى زمان أو مكان وفى صورة أروع من كل وصف وأقوى من كل عبارة وأبلغ من كل كلمة كان وداع الشعب المصرى ومعه كل الأمة العربية لانبيل وأعز الرجال .. الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . والأهرام يمتلأ بالصور وعنوان صغير فى رأس الصفحة : « هكذا ودعنه مصر »

٣ أكتوبر : رأس الأهرام تعود الى مكانها ولكن البرواز الأسود مازال يلتف حول الصفحة (مئات الملايين صلوا من اجلة فى كل قارات الارض .)

- أم كلثوم تلغى موسمها القادم وتقدم العزاء فى سفارة مصر فى موسكو للسيد مراد غالب .

٤ أكتوبر : الآن الى العمل محبة فيه ومحبة فى الوطن .

وتمر الايام .. وفى ٦ أكتوبر ١٩٧٠ :

- اللجنة المركزية ترى بالاجماع ترشيح أنور السادات رئيسا للجمهورية .

٧ أكتوبر ١٩٧٠ : مجلس الأمة يرشح اليوم رئيس الجمهورية .

٨ أكتوبر ١٩٧٠ : مجلس الأمة يرشح بالاجماع انور السادات رئيسا للجمهورية .

ويكتب محمد حسنين هيكل : عبد الناصر ملحمة الصراع مع الأمم !

« انه بكل عزيمته لم يصنع مصر ولكن مصر بكل عظمتها هى التى صنعتها
ولو ولد فى غير مصر لما ظهر ، ولو ظهر فى غير مصر لما استطاع دوره البطولى »

١٠ أكتوبر ١٩٧٠ : الجماهير تزحف لتؤيد السادات على طريق عبد الناصر .

١٧ أكتوبر ١٩٧٠ : السادات رئيسا للجمهورية بأصوات ٩,٤٣٢,٥٨٧ ناخبا .

١٨ أكتوبر ١٩٧٠ : السادات أدى اليمين وتولى سلطاته الدستورية رئيسا للجمهورية .

وهنا يستجيب الرئيس السادات لطلب هيكل لاعفائه من وزارة الارشاد القومى وليرد عليه الرئيس السادات .

عزيزى الاستاذ محمد حسنين هيكل

وزير الارشاد القومى

تحية الاسلام مباركة طيبة وبعد :

فلقد تلقيت كتابك وقرأته بكل عناية وتقدير فليس أحب الى فى هذه الحياة من معنى مثل معنى الوفاء فى كل صورة وألوانه من أجل ذلك فانه لا يسعى الا أن اجيبك الى طلبك ايها الصديق واقفا ان جهدك وقلمك سوف يظنان كما عودت زعيمنا الراحل ان يكون فى مكانهما فى معركتنا القادمة شاكرا لك ما بذلته من جهد خلال توليك الوزارة داعيا لك عز وجل ان يوفقك فى مكانك الذى اخترته بارادتك وان يمنحك الصحة وموقور السعادة والله اسأل أن يشملنا بتوفيقه والسلام عليكم ورحمة الله . « أنور السادات » .

وفى يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٠ ينشر الاهرام

« اول حديث صحفى للعالم الخارجى مع أنور السادات .

وفى يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٧٠ يكتب هيكل :

ايضاح آخر

« اتصور اننى مطالب بتقديم ايضاح بعد خروجى من الوزارة يلحق بذلك الايضاح الذى قدمته يوم دخولى اليها وذلك لكى يكون المسجل دقيقا وكاملا .

وأرجو ان تكون هذه آخر مرة اشغل فيها الناس بمشاكلى ويفغر لى على أية حال .. اعتقادى ان الناس يجب الا يهتمهم فقط ما يصدر من قلم أى كاتب ولكن يجب أن يهتمهم أيضا ما يصدر من تصرفاته ذلك انه لا يمكن ان يكون هناك خط فاصل بين الكلمة والفعل بالنسبة لكل من يتصدون للخدمة العامة .

لقد حرصت منذ بداية حياتى الصحفية أن أكون بعيدا عن السلطة ولم يكن ذلك مجرد تمسك بمبادئ مهنة أحببتها وأعطيها فكرى وجهدى كله ولكنه كان ايضا تعبيراً عن ادراك بطبيعة العلاقة بين السلطة والصحافة .

وهى علاقة مألغة التعقيد :

الصحفى يريد ان يقترب من السلطة لانها مصدر للأخبار .. ولكنه يخشى منها على استقلال رأيه .

ورجل السلطة يريد أن يقترب من الصحافة لأنها وسيلة فى الوصول الى الجماهير .. ولكنه يخشى منها على سره .

كلا الرجلين ، الصحفى ورجل السلطة يريد الآخر ويخشى منه علاقة قرب وبعد فى نفس الوقت .. علاقة ثقة وحذر فى اللحظة ذاتها .

وفى ٦ نوفمبر ١٩٧٠ يكتب هيكل مقالة المشهور :

عبد الناصر ليس اسطورة .

وفي ١٥ سبتمبر ١٩٧٢ يكتب هيكل مقالة وكأنه يودع عملة :
مسافر وسط العاصفة .

- جاء فيه هذا الحوار بين هيكل وبين صاحبة الفندق الذى ينزل فيه فى سالزبورج .
- هل ستقابل كيسنجر هنا فى هذا الفندق أو أن اللقاء سيتم خارجة ؟
 - ونظرت اليها بدهشة وسألتها من الذى قال باننى سأقابل كيسنجر ؟
 - ونظرت الى السيدة الرقيقة نظرة مثل محترف الى ممثل هاو ! وقالت لى :
 - أو .. هو هيكل ان القصة كلها منشورة فى الصفحات الأولى عن جرائد سالزبورج هذا الصباح ثم أضافت وصوتها يتهدج بالرجاء . من أجل خاطرى دع هذا اللقاء يتم هنا .. انه سوف يجعل من هذا الفندق مكانا مشهورا ! «
 - وتناولت منها صحف الصباح التى كانت تحملها ورحت أحاول استقراء السطور ثم قلت لها ضاحكا :
 - هل تصدقين الصحف ؟
 - وسألتنى باستغراب
 - الست أنت صحفيا ؟
 - وقلت لها على الفور :
 - اذا كانت تجربتى مع الصحافة أكثر من ثلاثين سنة قد علمتى شيئا فهو أن لا أصدق كل ما أقرأه فى الصحف ؟

-
- وكتب هيكل نحو ألف مقال بصراحة وطاف الدنيا كلها بحثا عن المتاعب وفى حديث بينه وبين عبد الناصر عندما أراد هيكل أن يعتزل الصحافة . !!
 - سوف أصنع مفتاحا من الذهب لمشروع الاهرام وسوف أسلمه لك عندما تزوره وسوف أقول لك اننى به قدمت اسهامى فى خدمة مهنتى كما اننى اثبت امكان نجاح المشروع العام فى مصر وعلى مستوى تحدى العصر .

- وضحك جمال عبد الناصر وقال :
- ما تفعله الآن هو قدرك .. ولا يستطيع أحدنا أن يهرب من قدره .

ويمشي هيكل في أول فبراير ١٩٧٤ وتهتم صحف العالم بهذا الحدث : وتقول صحيفة التايمز الانجليزية : سقوط رئيس تحرير عظيم .

يخرج هيكل ويتفرغ لكتابة كتب ومذكرات بالانجليزية وينشر في صحف لبنان وصحف لندن .. وفي العالم كله .

سيادة رئيس الجمهورية اللبنانية

الشيخ الرئيس

والله اعلم بالصواب

انتم ايها الرئيس

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

• بخط محمد حسنين هيكل صورة الخطاب الذي أرسله إلى الرئيس محمد أنور السادات يطلب منه اغفائه من العمل كوزير للارشاد القومي •

الطبقة الوسطى بعد هزيمة ١٩٦٧

من الطبقة الوسطى خرجت قيادات الجيش ورئاسات العمل التنفيذي والإدارى فى المصالح الحكومية « البيروقراطية » والتي قامت بمهنة الطب والهندسة والتعليم .. هذه الطبقة تراجعت بعد ١٩٦٧ .. كان عليها أن تعود مكانها بعد ذلك ..

ولكن الذى حدث فى عام ١٩٧٣ .. وبعد إنتصار الجندى المصرى .. وبعد اتفاقات الهدنة وإرهاصات السلام . دخلت الميدان طبقة جديدة لتحاول متصورة ! عبور الهزيمة .. وكما قال الفنان محمود شكوكو فى الأربعينات بعد الحرب العالمية وظهور طبقة اغنياء الحرب « من فوق لتحت .. ومن تحت إلى فوق » نجد أن الطبقة التى عبرت الهزيمة تترك مكانها مضطرة لتستغله الطبقة التى رأت فى الإنفتاح فرصة العمر وتخرج هذه الطبقة وتزاحم الصفوف الأولى .. وتتوازى الطبقة الوسطى التى تعرفها إلى آخر الصفوف ويغنى أحمد عدوية بنفس كلمات شكوكو « حبة فوق .. وحبة تحت » وكأن لا جديد تحت الشمس فى مصر - على الأقل !

حتى أبناء الطبقة الوسطى .. طبقة ٦٧ حالوا التمرد .. بل تمردوا فعلا .. هاجر بعضهم .. وغطوا الدول العربية .. والولايات المتحدة وكندا .. وأستراليا أيضا !!

وخلا الجو لطبقة أخرى وجدت الفرصة لها .. والمستقبل تحت أقدامها من فقر كامل وحاولت ملء الفراغ .. لتبدأ طبقة وسطى من نوع جديد غير الطبقة الوسطى التقليدية .. طبقة المدير البيروقراطى .. طبقة الوظيفة .. الطبقة التى خرج منها الفنان والممثل .. وخرجت المهوبة لتغطى نواحي الحياة بأستاذية ومقدرة .

أصبحت الطبقة الوسطى الجديدة .. هى طبقة من يحصل على المال الجديد .. ودخل الصنایعى « والحرفى فى قلب الطبقة الوسطى واتسعت سجادة الطبقي الوسطى .. وتاهت الطبقة الوسطى التقليدية .. وهكذا شاءت إرادة التغير .

(١٢) حرية الصحافة ٧٤

نحىء فترة حكم الرئيس أنور السادات بعد أن انتشرت النكتة المصرية وانتشرت الإشاعة .. وكان المصرى يفهمها دائما وهى طايه .. مهارة .. وحيلة .. وذكاء وتشاهد على العربات كلمات مثل : « ياناس يا شر كفاية قر .. والثالثة ثابتة .. والصبر مفتاح الفرج وكذلك ما تبصليش يا عبيط .. دى العربية بالتقسيط وتظهر مسرحيات فايز حلاوة وتحيه كاريوكا تنتقد الأوضاع تحت اسماء « البغل فى الابريق .. والثعلب فات وكذاب الزفة ويحيا الوفد والسينا تقدم الشيطان يعظ .

كانت الفترة التى عاشتها مصر بعد هزيمة ١٩٦٧ هى فترة شوهدها فيها شعبها المشهور بأنه بطيء الإنفعال كعادته عند البيات الشتوى ، يتقبل السلطة المركزية كسمة من سمات المجتمع الزراعى المستقر .. وفى تحركة كانت حركته واعية .. لا حركة إنفعالية .. ويتحرك بطريقة أعطى بها شعوب العالم درسا فى الصبر والتضحية .. وعلم الشعوب أيضا كيف يتحول بنفسه لبحث عن عد أفضل .

وبعد ٦٧ .. تشتد موجة هجرة العقول وهجرة الشباب ، ونسمع عن الآف الشباب الذين يعملون فى الولايات المتحدة وكندا وإنجلترا وأستراليا ، بل ويشاركون فى صنع مستقبل دول الغرب ومن أشهرهم الدكتور فاروق الباز الذى يعمل فى الصواريخ الأمريكية والدكتور مجدى يعقوب الذى يعمل فى جراحة القلوب فى إنجلترا .

وبالرغم من أن الأقلام الصحفية بدأت فى مصر مطالبة بالتعليم منذ مائة سنة فإننا حتى الآن وفى عام ١٩٨١ مازالت الأقلام المصرية تطالب « بانتشار التعليم وبحو الأمية وتدعو إلى وزارة متخصصة لتنوير المليون نسمة التى تولد كل عام !!

وعندما تقوم حرب أكتوبر العظيمة لتحرير قيد الانسان المصرى ، كانت الصحافة نموذجاً رائعاً تعبر به عن بطولة المصرى ، أفردت الصحافة ونشرت صور الأسرى الاسرائيليين ، ورسمت الخرائط ليتابع القارئ حركة الجيش ساعة بساعة .. وصدرت

صحيفة يومية أصدرتها نقابة الصحفيين - وهذه أول مرة يحدث فيها ذلك - وانبرت الأقلام
تخل وتفسر وتشرح .. الأحداث تجرى وهيكل يوضح الصورة في الداخل وفي الخارج
وموسى صبرى يكتب يومياً تحت عنوان « الله أكبر » .. وكانت أيام رائعة عاش فيها
الصحفى المصرى عينة على المعركة ويده على القلم .. وآلة المطبعة لا تتوقف !!

السادات والصحافة

وقد شهدت الفترة التى بدأ فيها الرئيس السادات حكمة تطورات صحفية هامة :
● فى ٩ ابريل ١٩٧٢ : أصدر الرئيس السادات قرارا بعودة جميع الصحفيين المنقولين
منذ عام ١٩٦٤ إلى وظائف غير صحفية إلى مؤسساتهم الصحفية .

● فى ٢٥ يونيو ١٩٧٢ : دارت فى مجلس الشعب مناقشة هامة حول حرية
الصحافة ، طالب فيها الأعضاء برفع الرقابة عن الصحف - عدا الأخبار العسكرية -
وتدعيم علاقة التنظيم السياسى بالمؤسسات الصحفية ، وتأمين الصحفيين ضد النقل أو
الفصل بسبب ارائهم يومها قالت كريمة العروسى عضو مجلس الشعب :
نحن أحيانا نسيء إستعمال حرية الصحافة .. لأن بعض رؤساء التحرير
يستغلون هذه الحرية ويكتبون على هواهم . إن الكلام عن حرية الصحافة
يجب ان يبدأ بتحرير لقمة العيش للصحفيين أولاً وقبل كل شئ .
وكانت مناقشات طويلة تفتحت فيها كل أبعاد المشكلة الصحفية آنذاك .

● فى ٧ مارس ١٩٧٣ : تم نقل ١٢٨ صحفياً من مؤسساتهم إلى هيئة الإستعلامات
ومن بين هؤلاء الصحفيين الدكتور لويس عوض وأحمد بهاء الدين ومكرم محمد أحمد وفيليب
جلاب وزكريا نيل ومصطفى نبيل . ولا يعود هؤلاء الصحفيين إلى عملهم إلا فى ٢٨
سبتمبر من نفس العام . ويومها زارهم الدكتور اشرف غربال - وكان المستشار الصحفى
رئيس الجمهورية - فى دار النقابة وأعلن قرار العفو .

ومن بعدها يكثر الحديث عن ميثاق الشرف الصحفى .. ويكثر الحديث عن تكوين
مجلس أعلى للصحافة .

وكذلك تشهد فترة حكم الرئيس المقال الشهير الذى كتبه فى صحيفة الجمهورية بعنوان
اسمعى يا أمريكا وكان ذلك فى سبتمبر ١٩٧٢ .

وتدور الدائرة وتقفز مشكلة الصحافة فى مصر الى السطح .. يخرج هيكلى فى أول
فبراير ١٩٧٤ ويعود على أمين ليصبح مديرا لتحرير الأهرام ويفرج عن مصطفى أمين إفراجا
صحيحا ويعود للكتابة ، وتشهد الساحة الصحفية تطورا كبيرا . احسان القدوس وأحمد
بهاء الدين فى الأهرام . ويرز اسم محسن محمد ليصبح رئيسا لتحرير الجمهورية . ويدعو
السادات إلى الحرية .. وتخرج الكتب من المطابع دون رقابة وتظهر كتب مثل حوار وراء
الأسوار الذى أثار ضجة كبيرة . والصحف تتحدث عن حرية الصحافة .. ولكن هناك
كاتبيا فى صباح الخير هو رؤوف توفيق يطلق عليها حرية الصحافة .. ولكن على طريقة
« الهايد بارك » الشهيرة فى لندن .

وتشتهر هذه الفترة أيضا بمعارك انتخابات نقابة الصحفيين .. فقد أصبح عدد
الصحفيين فى النقابة نحو الفين من الصحفيين وأصبح معاش الصحفي ٧٥ جنيها .
ويطالب صلاح حافظ فى مقال بملكية أرض نقابة الصحفيين ولا يتم ذلك إلا فى شهر
نوفمبر ١٩٨١ حينما أصدر الرئيس محمد حسنى مبارك هذا القرار .

ويسافر على حمدى الجمال رئيس مجلس إدارة الأهرام فى مهمة صحفية إلى الولايات
المتحدة . ويموت هناك فجأة ويصدر قرار الرئيس السادات بأن يتولى ابراهيم نافع رئاسة
تحرير الأهرام . وتشهد هذه الفترة بظهور اسماء تلمع فى سماء الصحافة المصرية بعد ثلاثين
سنة من رؤساء تحرير تقليديين بين الصحف . ظهر ابراهيم نافع وزاد توزيع الأهرام ..
واستقرت الأوضاع وظهر ابراهيم سعده فى اخبار اليوم وفى مايو ومكرم محمد أحمد رئيس
مجلس إدارة الهلال ورئيسا لتحرير المصور ومحمد وجدى قنديل فى آخر ساعة : وحامد
زيدان فى الشعب .

ويلاحظ أيضا فى هذه الفترة ان اسعار الصحف قد ارتفعت ثلاث مرات ففى ١٠ يناير
١٩٧٤ أصبح سعر الصحيفة اليومية ٢٠ مليما ثم بعد ذلك ثلاثة قروش وفى يوليو ١٩٨١
أصبح سعر العدد الاسبوعى للصحيفة خمسة قروش .

وتعرف هذه الفترة أيضا باحتفالات الصحف بمرور الأعوام الطويلة على انشائها فالأهرام يحتفل بالذكرى انشائه في عيد مئوى وكذلك الهلال والمصور وآخر ساعة وروزاليوسف وحتى صباح الخير احتفلت بعيدها الفضى بمرور ٢٥ سنة .

وكذلك صدرت صحف مصر ومايو ومجلة أكتوبر .

إن هذا الفصل ليس تاريخا للصحافة في فترة حكم السادات . وليس تسجيل مرآة .. ولكنه مجرد خواطر تجيء وتذهب .

أيام وصحف .. وأيام وصحف .. وتظهر صحف المعارضة ..

وتصدر الأحرار والاهالى والشعب والدعوة وعدد من المجالات والصحف الدينية . وتصبح الصحافة القومية سلطة رابعة تتبع مجلس الشورى ويتكون المجلس الاعلى للصحافة .

وفي ٣١ مارس ١٩٨١ يقام العيد الأول للصحافة « يوم الصحفى » ويقابل السادات الصحفيين في قاعة اللجنة المركزية ويدعوا الصحفيين الراضيين في الخارج إلى كلمة سواء ويقول من دخل نقابة الصحفيين في مصر قبل ١٥ مايو فهو آمن . ويسافر صلاح جلال نقيب الصحفيين اليهم في باريس ويدعوهم إلى العودة . ويزغ نجم صلاح جلال .

ولكن باختصار إن هذه الفترة الصحفية كانت فترة غير مستقرة وسببت الصحافة « الصداق » .. وتغلق صحف المعارضة كلها في ٥ سبتمبر (٩ صحف) ويحال عدد من الصحفيين للعمل في هيئة الإستعلامات - ويقبض على السياسيين والجمعيات الدينية المحتجزين تحت بند قانون الطوارئ !! ويخرج الوزير منصور حسن وزير الاعلام وكذلك السفير الشافعى عبد الحميد رئيس هيئة الاستعلامات ليعمل سفيرا في الخارجية . وينجىء محمد حقى الوزير المفوض من واشنطن ليعمل رئيسا للهيئة العامة للإستعلامات وينجىء صفوت الشريف وزيرا للاعلام .

ثم يفرج الرئيس حسنى مبارك عن السياسيين ويلقى بهم في قصر العروبة ويعيد جميع الصحفيين إلى أعمالهم ويكتب أحمد بهاء الدين وكامل زهيرى وجمال الحمامصى . غيرهم .. وتبدأ فترة جديدة في حكم مصر ..

أيام .. وأيام ... وأيام .. رحلة طويلة .. طويلة .. طويلة .. في حاجة إلى كتاب .. وكتاب .. وكتاب .

سمير صبحى

من المراجع

- قصة الحضارة ويل ديوارنت (٢٥ جزء)
- قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة الى الصفحة المطبوعة :
فرانسيس روجرز - ترجمة د. أحمد حسين الصاوى
- تاريخ الصحافة اميل بوفان ترجمة محمد اسماعيل .
- الصحافة الفرنسية في مصر : محمود نجيب أبو الليل
- فجر الصحافة في مصر : د. أحمد حسين الصاوى
- تاريخ الكتاب من أقدم العصور الى الوقت الحاضر : شنفد دال - ترجمة محمد صلاح الدين حلمي .
- كنز الرغائب في منتخبات الجوائب : (١٨٧٢) أحمد فارس الشدياق
- الكافي في تاريخ مصر الحديث والقديم : ميخائيل شارويعم (٣ أجزاء) .
- الصحفي الثائر : د. ابراهيم عبده
- عبد الله النديم : د. على الحديدى .
- فنان الشعر : بقلم أحمد يوسف أحمد
- الجريدة : تأليف جورج فيل ترجمة وتلخيص ادجار موصلى وحسن سلومة
- الطابع القومى للشخصية المصرية بين الايجابية والسلبية : د. عبد العزيز رفاعى .
- الصحافة والمجتمع : د. عبد اللطيف حمزه
- تقويم النيل : امين سامى (٣ أجزاء)
- سندباد مصرى : د. حسين فوزى
- مصر الفراعنة : تأليف سير الن جاردنر . ترجمة د. نجيب ميخائيل ابراهيم ومراجعة الدكتور عبد المنعم ابو بكر .
- شخصية مصر : د. نعمات احمد فؤاد
- شخصية مصر : د. جمال حمدان

- فى اصول المسألة المصرية : صبحى وحيد
- مصر والمسألة المصرية : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى
- تاريخ الحركة القومية : عبد الرحمن الرافعى « جزئين »
- عصر اسماعيل : عبد الرحمن الرافعى « جزئين »
- مدخل فى علم الصحافة : د. عبد العزيز الغنام
- حرية الصحافة فى مصر : ١٧٩٨ - ١٩٢٤
- د. خليل صابات - سامى عزيز - يونان لبيب رزق
- من اعلام الحرية فى العالم العربى الحديث : أنور الجندى
- اداب المقالة الصحفية : د. عبد اللطيف حمزة (٨ أجزاء)
- اثار الزعيم سعد زغلول : محمد ابراهيم الجنزورى
- سعد زغول سيرة وتحية : عباس محمد العقاد .
- الموسوعة السياسية : اشراف عبد الوهاب الكيالى - كامل زهيرى .
- الوزارات المصرية : د. يونان لبيب رزق
- الحقيقة التاريخية وراء حادث السردار : مقال فى مجلة الهلال سبتمبر ١٩٦٨
- معركة نزاهة الحكم : جلال الدين الحمامصى
- اسرار السياسة : محمد التابعى
- كتابات لم تنشر : محمد مندور
- أوراق محمد فريد : مجلدين مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر .
- الحياة النيابية والأحزاب فى مصر : جاكوب لاندو . ترجمة وتعليق سامى الليثى
- سياسة الفكر : محمود مراد (الهيئة العامة للكتاب) .
- دراسات فى ثورة ١٩ : د. حسين مؤنس
- سعد زغلول يعارض الاستعمار : طارق البشرى
- فاروق ملكا : احمد بهاء الدين
- الملك فاروق : كريم ثابت
- أزمة المثقفين : محمد حسنين هيكل
- مصر والحرب العالمية الثانية : د. محمد جمال الدين المسيرى ويونان لبيب رزق ود.
- عبد العظيم رمضان
- الحياة الحزبية فى مصر : د. يونان لبيب رزق

- تاريخ المصرى فى السياسة : د. عبد العظيم رمضان
- القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها : د. حسن الباشا وعبد الرحمن فهمى وعبد الرؤوف على يوسف وحسين عبد الرحيم ومحمد مصطفى نجيب .
- تاريخ الوزارات المصرية : يونان لبيب رزق إشراف حسن يوسف
- شارع الصحافة : مى شاهين
- صحيفة تحت الطبع : للمؤلف
- الصحف أسرار : للمؤلف
- حكايات عن مهنة المتاعب : مصطفى بهجت بدوى
- سيد درويش : د. محمد أحمد الحفنى
- الصحافة وقضايا الفكر فى مصر : د. فاروق أبو زيد
- أزمة الديمقراطية فى الصحافة : د. فاروق ابو زيد
- الصحافة رسالة واستعداد : د. خليل صابات
- الوقائع المصرية : د. ابراهيم عبدة
- دور الكاريكاتير فى معالجة المفاهيم السياسية فى مصر مع دراسة تطبيقية لمجلة روزاليوسف رسالة ماجستير : عمرو عبد السميع عبد الله اشراف د. خليل صابات
- مجلدات :
- الوقائع المصرية - البصير - اللطائف المصورة - الاحرار - الأخبار - الجمهورية
- الشعب - الاحرار - الاهالى - مجلة الهلال - المتقطف - المصور - روزاليوسف -
- الطلاب - صباح الخير - آخر ساعة - الجريدة - اللواء - المؤيد - البلاغ - المصرى -
- الاهرام .
- أحاديث صحفية مع :
- نجيب كنعان - عبد السلام شهاب - مصطفى الحكيم - عبد الحميد سرايا -
- صلاح هلال - كمال نجيب - احسان عبد القدوس - احمد بهاء الدين - توفيق بحرى -
- حمدى فؤاد . - إبراهيم نافع - مكرم محمد أحمد . رائد عطار - صلاح جلال .
- للمؤلف :
- صحيفة تحت الطبع : طبعين (دار المعارف)
- الصحف أسرار : سلسلة إقرأ

● في دهاليز الصحافة : انترناشيونال برس

تحت الطبع :

الحياة على ورق : الهيئة العامة الكتاب
صحافة ولكنها أمريكية : انترناشيونال برس



سمير صبحي

عشرون عاما أو يزيد قضاهما المؤلف مخرجا صحفيا بجريدة الأهرام بعد حصوله على ليسانس الصحافة من جامعة القاهرة في أول دفعاته التي دخلت الجامعة عام ١٩٥٤ . ثم عمل في الأهرام حتى أصبح مساعدا لرئيس التحرير . لم يكن خلال هذه السنوات الطويلة مخرج صحفى بل كان ومازال صاحب مدرسة في الإخراج الصحفى . رغم ذلك لم يشأ أن يحصر نفسه فيما تفوق فيه بل رأى أن يجرد قلمه من غمد شرعى فيه طويلا . وأصدر سمر صبحي كتابه الأول ليضيف إلى موهبته الأولى في الإخراج الصحفى موهبة ثانية في الكتابة .. وكان كتاب صحيفة تحت الطبع الذى طبع في دار المعارف طبعين . وإنطلقت موهبة المؤلف الثانية تؤكد وجودها فصدر كتابه الثانى الصحف أسرار وها نحن على موعد مع وجبة فكرية دسمة في كتابة الثالث !

سامى دياب

ما رأيك في أزمة الإسكان في لندن



يقول علماء السكان وخبراء الإسكان ان الأسر الصغيرة تحتاج بطبيعة الحال إلى وحدات سكنية صغيرة ، ويقولون أنه يمكن أن نتبين من الأرقام التالية مدى ما يمكن أن يساهم به نمط الأسرة الصغيرة في حل مشكلة الإسكان

فلنترك الأرقام تتكلم ...

متوسط حجم الأسرة سنة ١٩٨٠/٢٠٠٠	عدد الوحدات السكنية المطلوبة	التكاليف
٥,٤ طفل	٨,٥ مليون	٣,٥ مليار جنيه
٢,٢ طفل	٥,٧ مليون	٢,٣ مليار جنيه
٢ طفل	٤,٥ مليون	١,٨ مليار جنيه

والتكاليف السابقة مقدرة على أساس تكاليف إنشاء الوحدات السكنية فقط ولا تشمل فيها تكاليف توفير المرافق مثل إنشاء الشوارع وإزالتها وغير ذلك

ألا ترى أن تنظيم الأسرة إلى جانب دفع مجازة التنمية الاجتماعية والاقتصادية بأقصى قوتها يساهم مساهمة فعالة في حل أزمة الإسكان

ما رأيك في الأسرة الصغيرة نتمتع بالحياة الهادئة المنظمة



توجهوا إلى اقرب وحدة أو مركز لتنظيم الأسرة تحصلوا على الارشادات مجاناً

تحت إشراف
الهيئة العامة للإستعلامات



• «ديسك» الاهرام القديم في
مبنى شارع مظلوم باشا ويظهر في
الصورة عبد الحميد سرايا وكمال
نجيب ويوسف صباغ ومحمود عبد
العزیز وأحمد نافع

• هـ. توفيق بحري سكرتير تحرير الاهرام حتى بداية عام ١٩٧٠ - لو
أطال الله في عمره لكان أعجوبة عصره في التطوير المستمر في إخراج
الاهرام •



• صالة تحرير الاهرام في مبناه الجديد بشارع الحلاء ويظهر في
الصورة سمير صبحي وأحمد نافع وعلى طرف الصورة ظهر عبد
السلام شهاب في طريقه إلى مكتبه •



ابراهيم نافع



أحمد بهاء الدين



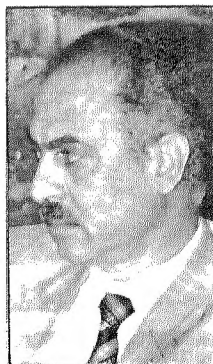
علي حدى الجمال



صلاح هلال



صلاح جاهين



صلاح جلال



محمد حدى

الطريق

الطريق

الطريق

الطريق

الطريق

الطريق

الطريق

الطريق

الطريق

الطورات الجديدة تشمل النظام الحزبي والصحف والحكومة



الحزب الجديد
معادلة صعبة

سكرتير الوسط يطلب الانضمام للحزب الجديد

فرنسبند النسا تدفن نفاياتها في مصر

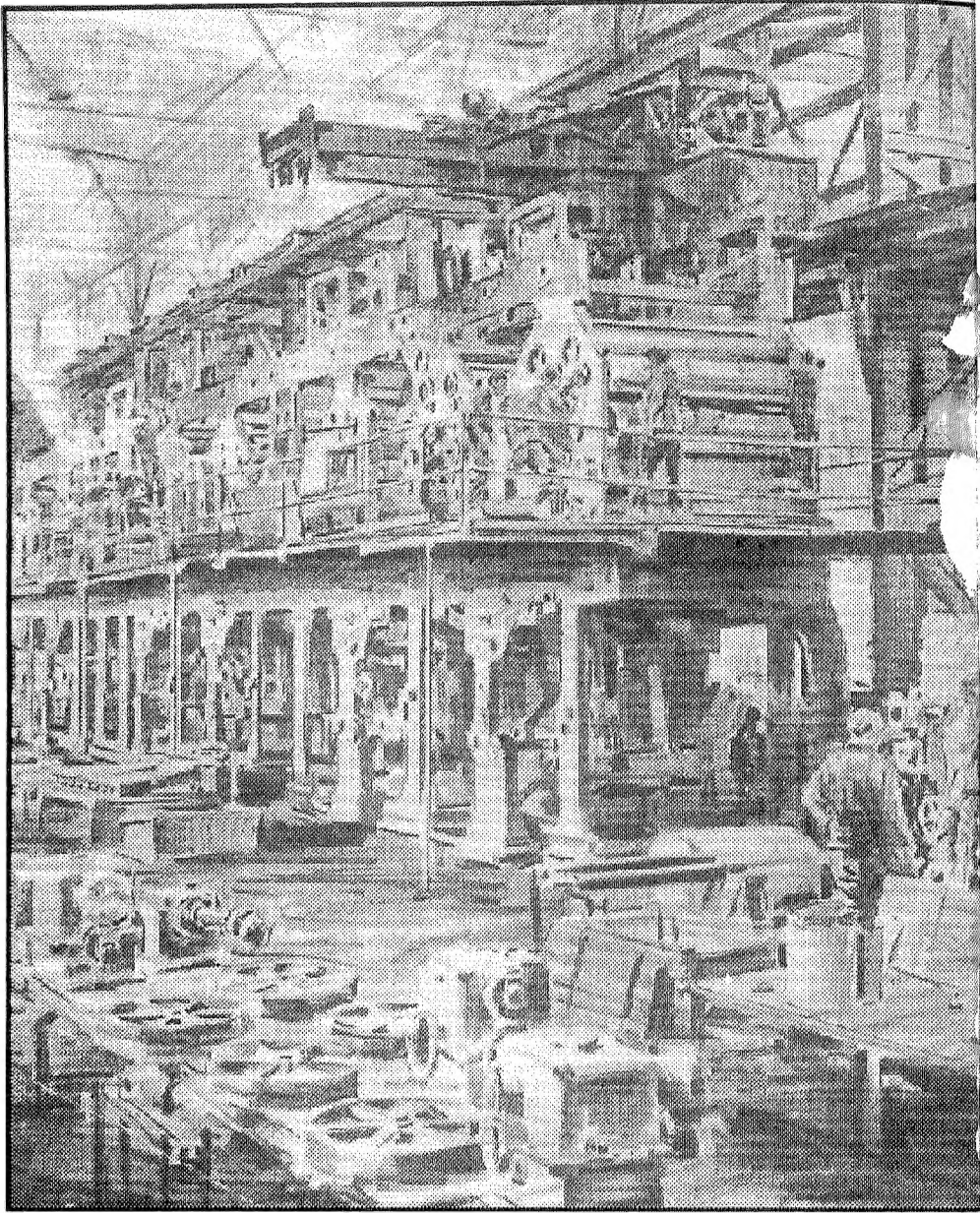
السكرتيرة العامة للتجسس تافس الظهور السياسية

• صفحة الاهالي الأولى رئيس مجلس الإدارة خالد محيي الدين ورئيس التحرير لطفي واكد والعدد يحمل تاريخ ٢٦ يوليو ١٩٧٨ •



• الصفحة الأولى
لصحيفة «الأحرار»
أحد الأعداد الهادرة
في عام ١٩٨١ ورئيس

مجلس ادارتها مصطفى
كامل مراد ورئيس
التحرير محمد
الغلبان •



لوحة عالجية { اسكتش } تمثل ما وصلت اليه ضخامة المطبعة الآن

مخاض الكتلة

عزى بسمي

لابد لى أن أعترف أنتى شديد الاعجاب -ربما إلى حد الحسد- بشجاعة هؤلاء الذين تطاوعهم أقلامهم على الاقتراب من قضية الصحافة المصرية وكل ما يتصل بأمورها من قريب أو بعيد.

لابد لى أن أعترف أيضا أنه فى مشروعاتى -ولعلها أحلامى- أن أفرغ يوما لكتاب عن قصة الصحافة المصرية كما عرفتھا وعشتھا تجربة وحياة من هنا فيان أعجابهى مضاعف هؤلاء الذين سيطروا على أقلامهم فأطاعت.. ثم مدوا أطراف أصابعهم فاقتربوا ولو باللمس من المشروع الحلم!

والحقيقة أن قصة الصحافة المصرية لم ترو بعد. فلم تصدر فى مصر كتب كتلك التى ظهرت فى الولايات المتحدة، مثل كتاب "القوة والمملكة" الذى قدم قصة جريدة "نيويورك"، ولا مثل كتاب "القوة حيث هى" الذى قدم فى وسائل الاعلام الأمريكية وهى جرائد "لوس انجلوس" و"الواشنطن بوست" و"لوس انجلوس" إلى جانب مجلة "تايم" ثم قنوات التلفزيون الرئيسية الثلاث "إن.بى.سى" و"اى.بى.سى" و"سى.بى.أس". كذلك لم تصدر بعد فى مصر كتب كتلك التى عرضت سيرة حياة قياصرة الصحافة البريطانية من أمثال "بيفربوك" و"تور تكليف" و"طومسون" وغيرهم.

لم يصدر فى مصر شىء مماثل لذلك كله مع أن القارىء فى مصر أحوج إلى أن يعرف "عن" الصحافة أكثر مما يعرف "منها"، هذا إذا كان فى استطاعته أن يعرف "منها" الآن شيئا على الإطلاق!

ماذا كان عن دور الصحافة المصرية؟ ما الذى مثلته؟ ما الذى عبرت عنه؟ أى القوة؟ أى التيارات؟ أى الشرعيات؟ أى العروش ولامبراطوريات؟ ماذا؟ متى؟ كيف؟ لماذا؟ أين؟... كلها أسئلة لم تعثر على جوابها بعد... ربما استطاع هذا الكتاب أن يرد على بعضها.. وربما لا يكون الأوان قد حان بعد.

